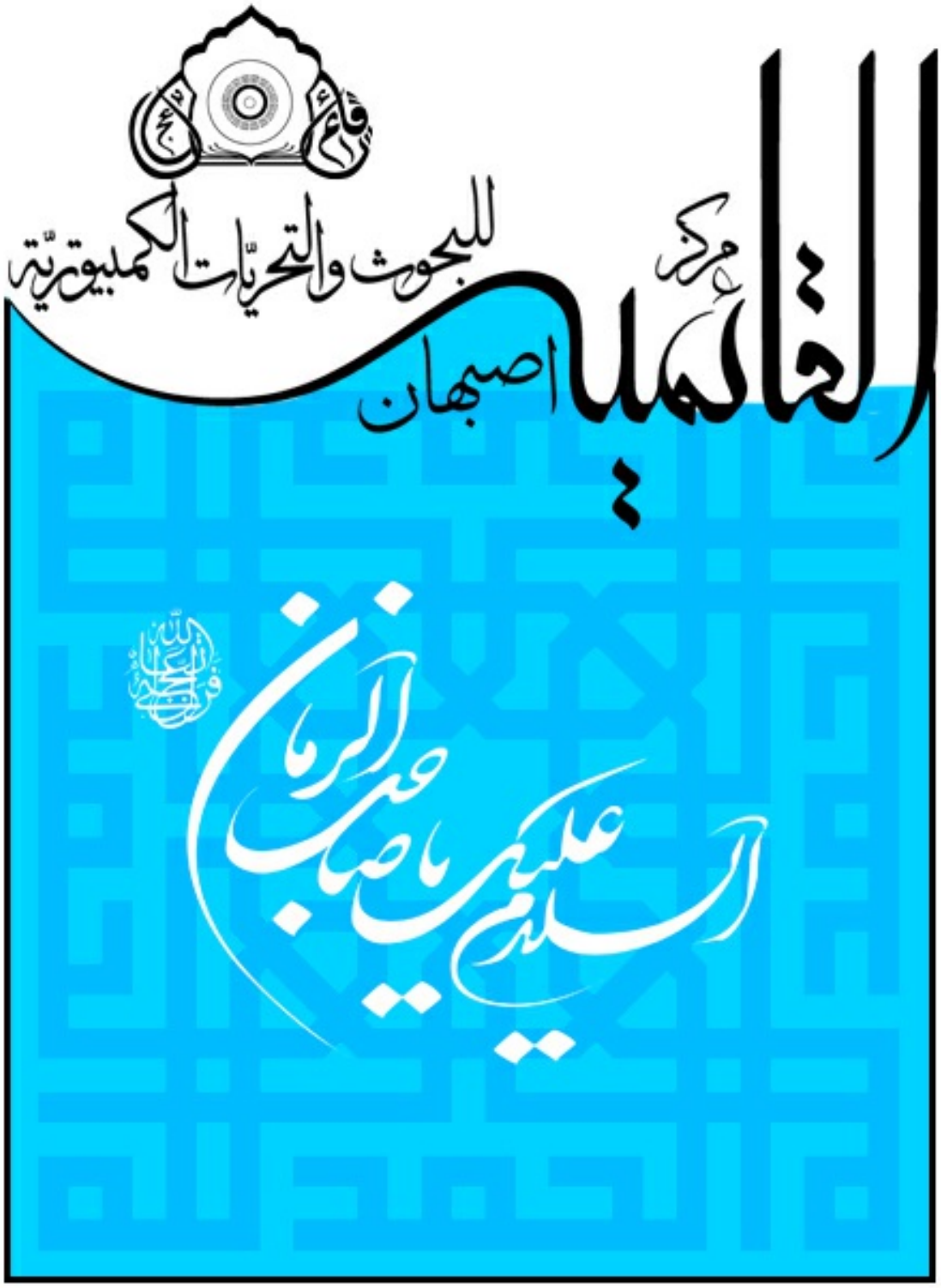

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

العتبة العلوية المقدسة

(٢)

الإمام علي عليه السلام

نبراس ومتراس

تأليف
سليمان كتاني

تعليق
هاشم محمد الهاجري

بسم الله الرحمن الرحیم

امام علي عليه السلام نبراس و متراس

كاتب:

سليمان كتانى

نشرت في الطباعة:

العتبة العلوية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

امام على عليه السلام نبراس ومتراس 8

اشارة 8

اشارة 8

المقدمة 12

تمهيد 15

المقدمات 28

الإهداء 73

فاتحة 74

مناجاة 76

مدخل 79

ركائز 83

الجزيرة العربية 84

ولادة النبي 89

علي بن أبي طالب في إطار تاريخي 93

شخصية الإنسان 101

شخصية ابن أبي طالب 105

إلى أرض الجزيرة 107

مولد الرسالة 109

قيمة الرسالة 112

واقع الأحداث 114

دور ابن ابي طالب 116

تأثير الرسالة: 118

زيارة الموت 120
موت النبي : 120
موت فاطمة 123
مجال الصدمات 124
الإسلام دين جديد 126
معركة أحد 128
وقعة الخندق 131
خطبة عبد الرحمن بن عوف 139
بين عكسين 142
الأول – فراغ يمتلاء: 142
الثاني – ملء يفرغ: 150
مقتل عثمان 154
أول ثورة 156
في تاريخ الجزيرة 156
الساحة المكشوفة 162
بين التردد والقبول 165
العدة الكاملة 168
الراية الجديدة: 178
القميص الطائر 189
الواقع المؤلم 192
افق الكوفة والشام 201
الكتلة الأولى: الشام 204
الكتلة الثانية: الكوفة 207
عائشة 209
طلحة والزبير في سطور 212

معركة جانبية 214
يوم الجمل 216
حق البكارة 217
تعقيب 219
صفين في بضع فقرات 222
ملحق 223
خاصرتا ابي موسى الأشعري 225
ذيول 227
الهدنة 229
19 رمضان 232
معابر نهج البلاغة 233
دهاة العرب 235
إلى معاوية بن ابي سفيان 247
ابن ملجم 257
الغروب المشرق 261
المصادر 265
الفهرست 270
تعريف مركز 275

امام على عليه السلام نبراس ومتراس

اشارة

امام على عليه السلام نبراس ومتراس

الناشر: العتبة العلوية المقدسة –قسم الشؤون الفكرية والثقافية.

تاريخ الطبع ، 132ه. 2010م

تنفيذ طباعي: دار الرافدين – بيروت

المكتبة الروضة الحيدرية

تاليف : سليمان كتاني

تحقيق : هاشم محمد الباججي

ص: 1

اشارة

امام على عليه السلام

نبراس ومتراس

الكتاب الذي أحرز الجائزة الأولى في مسابقة التاليف عن الإمام علي عليه السلام

تاليف : سليمان كتاني

تحقيق : هاشم محمد الباججي

ص: 2

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 3

* الإمام علي عليه السلام نبراس ومتراس .

* المؤلف : سليمان كتاني

* تحقيق :هاشم محمد الباججي.

* الناشر: العتبة العلوية المقدسة –قسم الشؤون الفكرية والثقافية.

* التنضيد والإخراج الفني : عبد الحسن هادي الشافعي .

* مراجعة ، قسم الشؤون الفكرية والثقافية

* الطبعة: الثانية.

* تاريخ الطبع ، 1432ه. 2010م

تنفيذ طباعي: دار الرافدين – بيروت

www.imamali-a.com

info@imamali-a.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولايحصـي نعمائه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا أجل ممدود وصلى الله على رسوله المصطفى الذي بعثه لانجاز عـدته وتمام نبوته وخلف في الأمـة ما خلفت الأنبياء في أممها إذ لم يتركوهم هملا غير طريق واضح ولا علم قائم وعلى آله الطاهرين اساس الدين وعماد اليقين.

اطلع الله سـبحانه وتعـالى اطلاعـة على الأـرض فاختار منها رسوله الكريم واطلع ثانيـة فاختار منها عليا وصـي رسوله صـلى الله عليه وآله (1)... ولد عليه السـلام في جوف الكعبة ففتح عينيه في بيت الله عز وجل وأول ما مست قدميه البقعة المقدسة من هذا البيت الطاهر فكان ايـذانا بعهد جديد لهذا البيت العتيق الذي اشـرق بنور محمد صـلى الله عليه وآله ووصـية الوليد ليعلن للدنيا بدء الدعوة الإلهية السـماوية الإسلامية ...

وقـد منحه الله تعالى من المزايا النفيسـة والخصائص الشـريفة والملكات الروحيـة .. فصار للمسـلمين وغيرهم كضوء النهار الباهر والقمر الزاهر.. فصار طريق الله المستقيم .. وحبله القويم .. والطريق الواضح .. وراية الهدى ..وعلم التقى .. والدال الى الله تعالى.

1- تاريخ مدينة مدشق، ابن عساكر: 2/ 13.

كيف لا وهو ربيب الرسول صـلى الله عليه وآله الذي يقول أدبني ربي فأحسن تأديبي حتى وصـفه الله سبحانه في كتابه الكريم (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)(القلم /4).

ما سر ابن ابي طالب ! .. عمل واحد .. ضربة واحدة .. افضل من عبادة الثقلين الى يوم القيامة.

ما سر ابن ابي طالب ! .. هو الإيمان كله؟.

ما سر ابن ابي طالب !.. قسيم الجنة والنار؟.

ما سر ابن ابي طالب !.. لوان البحار مداد والأشجار أقلام وجميع الخلائق كتاب فما استطاعوا أن يجمعوا إلا النزر اليسير من صفاته ، ولكلوا عن الاتيان ببعض وصف معجزاته. (1)

ما سر ابن ابي طالب .....؟؟؟

يناجي ربه : الهي كفا بي عزا ان اكون لك عبدا وكفى بي فخرا أن تكون لي ربا انت كما احب اجعلني كما تحب..(2)

عالمي مطلق .. الناس صنفان : إما أخ لك في الدين أو نضير لك في الخلق. (3)

علي .. عبد الله وأخي رسوله .. وكتاب الله الناطق .. وقلب الله الواعيوذاته من شدة الاقتراب .. محسوس في ذات الله..

فأينما يذهب علي .. يذهب الحق وراءه .. وايمنا يدور علي يدور الحق معه .. فلا تستوحش الطريق وان قل سالكيه .. فطريق علي هو طريق الحق

1- فضل الصلاة على النبي وآله صلى الله عليه (أمالي الطوسي: 424).

2- روضة الواعظين، الغنال النيسابوري: 109.

3- نهج البلاغة ، من خطبة الإمام علي عليه السلام وآله :84/3 ـ

والصدق، والمستمسك بعلي فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله واسع عليم.

من أجل اعادة بعض الكتابات المتميزة بحق إمام الإنسانية الخالد امير المؤمنين عليه السلام واستعدادا للنجف عاصمة للثقافة الإسلامية كانت فكرة اعاة طبع كتاب (علي نبراس ومتراس) لمؤلفه اللبناني المسيحي سليمان كتاني، هذا الكتاب الحائز على الجائزة الأولى لأفضل تأليف أقامته مدينة النجف الأشرف، فباشرنا في قسم الشؤون الفكرية والثقافية للعتبة العلوية المقدسة باعادة تنضيده واخراجه لأن الكتاب لم يطبع منذ عقد الستينات، وقد قمت بتخريج الأحاديث والحوادث الواردة فيه وترجمة بسيطة للشخصيات المذكورة في الكتاب، وقد اضفنا عنوان آخر للكتاب (تمهيد) لنعيد للذاكرة سيرة أولئك الرجال الذين أقاموا مسابقة أفضل تأليف في تلك الفترة، حيث قمنا بترجمة سطور من حياتهم وسيرتهم، وقد تم انجاز العمل بجهود منتسبي العتبة العلوية المقدسة – قسم الشؤون الفكرية والثقافية في شهر الله المبارك شهر الطاعة شهر رمضان، اعلاء لكلمة لا إله الا الله من خلال نشر الحق والفضيلة والله من وراء القصد..

ص: 7

تمهيد

المؤلف في سطور ..

سليمان كتاني .. أديب ومفكر ومؤرخ مسيحي .. علم من أعلام الفكر والأدب العربي، فهو الأستاذ القدير، وصاحب الذوق العربي الأصيل . والخيال المبدع.. راح قلمه يصدح بعدما اندمج وأمتزج بحب علي عليه السلام ولاء وأدبا بحب أهل بيته وأولاده وذريته عليهم السلام ..

ولد الأستاذ سليمان كتاني في الولايات المتحدة في ولاية ماين في التاسع والعشرين من شباط سنة 1912 حمله والده يوسف وأمه دليلة إلى بلدتهما بسكننا في لبنان وهو في الثانية من عمره حين درس الابتدائية فيها ثم انتقل الى معهد عينطورة ثم معهد الحكمة في بيروت ونال شهادة الفلسفة بامتياز سنة 1932م.

من أبرز أساتذة الأستاذ كتاني العلامة الحوزي روفائيل البستاني والأب فيليب السمراني والأستاذ طانيوس ملحمة.

بعد تخرجه انخرط في سلك التعليم ليدرس الأدب العربي، وراح يصدر بين فترة وأخرى كتبه المزدانة بأدب أنيق وفكر عميق ومعالجات وفيرة الصدق وكانت باكورة مؤلفاته تمثيلية (أمل وياس) فتكون من (28) صفحة طبعت سنة 1932 وبعدها كتب الكثير من المسرحيات وغيرها في عام 1964 صدر له كتاب (لبنان على نزيف خواصره)، وفي عام عام 1997 طبع له كتاب (علي نبراس ومتراس) الذي حصل على الجائزة الأولى التي اطلقتها جماعة العلماء

في النجف الأشرف، ثم أصدر كتاب (فاطمة الزهراء وتر في غمد)، وفي عام 1970 اصدر كتاب (محمد شاطئ وسحاب) وهو كتاب جسد السيرة النبوية ثم كتاب (يسوع أبد الإنسان) عام 1979 ، ثم كتاب جبران خليل جبران بمداره الواسع عام 1979 ، وكتاب (مي زيادة في بحر من ضما) في سنة 1984، وكتاب (الجذور) عام 1985، (الإمام الحسن الكوثر المهدوي) عام 1989 ،كتاب (ميخائيل نعيمة بيدر مفطوم) 1990 وكتاب (الإمام الحسين في حلة البرنيد) عام 1990 وله اعمال تلفزيونية عديدة ومسرحيات مخطوطة مثل محاكمة هارون الرشيد، طابع السم أكله، المهلب بن أبي صفرة ، اضافة الى مقالاته ودراساته الأدبية وقصصه الرشيقة.

التحق بالرفيق الأعلى الأستاذ سليمان كتاني صاحب اشهر المؤلفات المسيحية في آل البيت عليهم السلام في اليوم نفسه الذي ولد فيه في التاسع والعشرين من شباط عام 2006 في لبنان .. وظلت كلماته ترن في ذاكرة الأجيال :

محبتي للرسول و آله محبة خالصة.. وهي لعلي لا يوازيه حب آخر في الحياة.. علي .. عالمي مطلق.

علي هو الصدق ذاته في الفكر الإنساني .. وهو مصدر كل الانطلاقات الرسالية العظيمة على صفحة الأرض ..

ليس لدى غير علي فكر صحيح .. ولذا لا يجوز أن يتشيع في الحياة غيره .. التشيع هو التعلق بالحقيقة التي يمثلها الفكر الإسلامي العالي .. أراني أخيرا قد وجدت أهل البيت دائما في الحقيقة..

مسابقة في التأليف:

في عام 1966 اطلقت مدينة النجف الأشرف مسابقة التأليف في الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام ، فهي السباقة كعادتها في المشاريع الفكريـة والثقافيـة فقـد انبرى ابناؤها البررة بتبني مشـروع اسـلامي ثقافي علمي تاريخي جديد في مضـمونه وطرحه وهي اطلاق مسابقة في التأليف وقد كان صاحب هذه الفكرة سـماحة السيد جواد شبر الخطيب الحسيني المعروف رحمه الله ، وتبني الدعمالمادي لهذه المسابقة الوجيه السيد هاشم شبر وهو من تجار النجف المعروفين وابن عم السيد جواد شبر الذي تبرع من ماله الخاص لكل الجوائز الثلاث.

وكان لجماعة العلماء دور في تنظيم هذه المسابقة من خلال تشـكيل لجنة تحكيم تضم : سـماحة آية الله الشـيخ مرتضـى آل ياسين قدس سره وسماحة آية الله السيد محمد باقر الصدر، وسماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد موسى بحر العلوم بطلب السيد جواد شبر أمين سر اللجنة وسكرتيرها وقد وجه نداء الى الكتاب المحققين والمثقفين في العالم العربي والإسلامي للتنافس في الكتابة عن الإمام عليه السلام.

أصداء وآراء :

كـان لهـذه المسابقـة التاريخيـة اصـداء كبيرة في الأوسـاط العلميـة والاجتماعيـة حين ساهمت في خلق آفاق ومحاور جديـدة في الكتاب والتأليف خاصة في الإمام علي عليه السلام والذي يعتبر شخصية عالمية بكل المعايير لذا أن الكتاب

المسيحيين خاصة بالرغم من ديانتهم قد ابدعوا في الكتابة عن هذه الشخصية العظيمة فيقول :

الكاتب المسيحي شبلي الشميل :

الضـمير العملاق الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام عظيم العظماء نسخة مفردة لم ير الشرق ولا الغرب صورة طبق الأصل لا قديما ولا حديثا.

أما الكاتب القدير جورج جرداق فيصفه قائلا :

إن علي بن ابي طالب من الأفذاذ النادرين الذين عرفتهم على حقيقتهم بعيدا عن الصـعيد التقليدي الذي روضـنا على اساسه ندرس رجالنا وتاريخنـا، عرفت ان محور عظمتهم إنمـا هو الإيمـان المطلق بكرامـة الإنسان وحقه المقـدس في الحياة الحرة الشـريفة وإن هـذا الإنسان منضوم أبدا بان الجمود والتقهقر والتوقف عن حال من أحوال الماضين أو الحاضر ليس إلا نذير موت و دليل فناء.

وقد صور جبران خليل جبران صورة رائعة للإمام علي عليه السلام بالرغم من وصفه لحالة شهادته إذ يقول:

مـات علي بن ابي طـالب شـهيد عظمته، مات والصـلاة بين شـفتيه مات وفي قلبه الشوق الى ربه .. الى ان يقول انني اتمثله مبتسـما قبل ان يغمض عينه عن هذه الأرض.

وقد وصفه الشاعر الكبير بولس سلامة قال في ملحمته الخالدة عن اميرالمؤمنين عليه السلام :

يا سماء اشهدي و يا ارض قري ***واخشعي انني ذكرت عليا

وله ايضا :

هو فخر التاريخ لا فخر شعب*** بدعيه ويصطفيه وليا

لاتقل شيعة هواة علي ***ان في منصف ش يعيا

أما الكتب الفائزة بهـذه المسابقـة فقد طبعت طبعة أولى وثانية بأكثر من عشـرين ألف نسـخة ونفذت جميعها واصـبح الحصول عليها عزيز المنال.

وكان للعلماء دور كبير في التشـجيع على طباعـة هذه الكتب واقتنائها فقد دعما العلمين السـيدين الجليلين اية الله العظمى السـيد محسـن الحكيم (قدس) وآية الله العظمى السيد ابو القاسم الخوئي الكتاب الفائز وشجعا على طبعه.

واتماما للفائدة نعرض بصورة موجزة حياة الشخصيات الخمسة التي كان لها الدور الكبير في اقامة هذه المسابقة :

صاحب الفكرة .. الخطيب السيد جواد شبر(رحمه الله) :

ولد في النجف الأشـرف في 13 جمادى الآخرة سـنة 1332 ه من أسـرة علميـة درس في الحوزة العلميـة في النجف الأشـرف الى جانب دراسـته التقليدية ودرس في مدارس منتدى النشـر وتفوق حتى اصـبح من أساتذتها ثم شـكل سكرتارية المجمع الثقافي للمتندى اتجه الى خدمة المنبرالحسيني فكان من الخطباء المتميزين لأنه امتياز بالموهبة والاستعداد القطري والكفاءة العلمية والثقافية إضافة الى حفظه الكثير من الشعر والأدب العربي.

يعتبر السـيد جواد شبر من تلامذة الخطيب القدير المرحوم الشـيخ محمد حسـين الفخيراني الحسـيني حيث أخذ منه الكثير واصـبحت له مجالس عامرة كما في مجلس الفقيه المقـدس السـيد حسن الخرسان ومجلس العالم الورع السـيد نصـر الله المسـتنبط، وكانت له مواقف مشهورة ومشهودة في مدينة النجف الأشرف حيث قام بتأبين بعض الشخصيات العلمية مثل الشيخ عبد الحسين الأميني

صاحب كتاب الغدير، وآية الله العظمى السيد محسن الحكيم (قدس) وشيخ الباحثين اغا بزرك الطهراني وكان رحمه الله متواضعا مخلصا في القاء الخطبة المنبرية في النجف وكثير من محافظات العراق بالإضافة إلى بلدان الخليج ولبنان.

للسـيد جواد شبر مؤلفات عدة ابرزها موسوعة ادب الطف وهي في عشـر مجلدات، وكتاب الى ولدي ، وكتاب قبس من حياة امير المؤمنين، اشعة من حياة الصادق عليه السلام ، وعبرة المؤمنين ، كتاب شواهد الأدب في ثلاث أجزاء ، كتاب المقتطفات وسوانح الأفكار في منتخب الأشـعار وغيرها الكثير .. وله مساهمات كبيرة على المسـتوى الثقافي والعلمي كانت احداها هذه المباراة الثقافية الدولية في التأليف كما له اسهامات في الشعر الشعبي.

في عام 1984 اعتقل السـيد جواد شبر من قبل الزمرة البعثيـة الاعتقال الثالث اضافـة الى اعتقال اولاده زيد وحامد واللذين اعدمهما صدام لاحقا ولم يخرج من السجن الى اعلان سقوط النظام، وقد غيب جسده الشريف في السجون ولم يعثر عليه حتى الآن.

الداعم المالي .. السيد هاشم شبر:

من أسرة ال شبر تلك الأسرة العلمية المعروفة في النجف الأشرف الذي انجبت الكثير من العلماء والأدباء، فهو ابن عم السيد جواد وهو من التجار المعروفين في المدينـة وله اهتمامات واسـعة في العلم والأدب لـذا كانت جوائز هـذه المسابقة قد تبرع بها من ماله الخاص دعما منه للحركة العلمية والفكرية والثقافية.

اللجنة التحكيمية.. سماحة اية الله الشيخ مرتضى ال ياسن اندس (قدس)

هو الشيخ مرتضى بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ باقر بن محمد حسن ال ياسين الكاظمي، ولد في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة 1311ه بمدينة الكاظمية ثم انتقل الى النجف الأشرف ليبدأ دراسته الحوزوية هنالك ومن ابرز أساتذته السيد ابو الحسن الموسوي الأصفهاني(قدس)، أخوه الشيخمحمد رضا آل ياسين (قدس)، والشيخ محمد حسين الغروي النائيني (قدس)، وكانت له حلقة درس تخرج منها العديد من العلماء والأفاضل مثل الشيخ محمد حسن آل ياسين قدس، والسيد محمد باقر الحكيم (قدس)، والسيد محمد رضا شرف الدين (قدس)، والشيخ حسين الخليفة وغرهم، له جملة مؤلفات منها تعليقة على العروة الوثقى، وتعليقة على بلغة الراغبين، البكاء على سيد الشهداء ، النظرة الدامغة ونهضة مباركة وديوان شعر.

توفي الشيخ آل ياسين في شهر ذي القعدة عام 1398 ه.

اللجنة التحكيمية .. اية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس) :

هو السيد محمد باقر السيد حيدر الصدر ولد بمدينة الكاظمية يوم 25 ذي القعدة عام 1353 ونشأ يتيما فتكفل به اخوه الأكبر اية الله السيد اسماعيل الصدر الذي اهتم بتعليمه وتدرسيه وقد ظهرت علامات النبوغ والذكاء رغم صغر سنه في عام 1965م انتقل مع اخيه السيد اسماعيل الصدر الى مدينة النجف الأشرف للدخول في دروس الحوزة العلمية هناك وفي أوائل السنة الثانية عشرة من عمره درس كتاب معالم الأصول على يد أخيه اسماعيل الصدر وكان لفرط ذكائه يعترض على صاحب المعالم باعتراضات وردت في كتاب

الأصول للخراساني، من أبرز اساتـذة السـيد محمـد باقر الصدر خاله اية الله الشـيخ محمد رضا ال ياسـين (قدس)الذي درس عنده مرحلة البحث الخارج في صـغره، وآية الله الشيخ ملا صدرا البادكوبي (قدس) وقد درس عنده الجزء الثاني من الكفاية والأسفار الأربعة، وآية الله الشـيخ عباس الرميثي، وآية الله العظمى السـيدابو القاسم الخوئي (قدس)الذي درس عنده مرحلة البحث الخارج وكان السـيد الخوئي أول من أجاز السـيد محمـد باقر الصـدر (قدس) وقد كان يرجع طلابه إلى الصدر عند عدم فهمهم لبعض عناصـر الدرس، وآية الله محمد تقي الجواهري الذي درس عنده الجزء الأول من الكفاية وجزء من اللمعة، وآية الله حسين اسماعيل الصدر أما ابرز تلامذته اية الله السيد كاظم الحائري، وآية الله السـيد محمود الهاشـمي الشاهرودي، وآية الله السـيد محمد باقر الحكيم (قدس)، كان للسـيد الصدر (قدس) مجلسان للتدريس وهما:

بحث الأصول الذي كان يلقيه في مسجد الجواهري بعد اذان المغرب في أيام الدراسة.

بحث الفقه وكان يلقيه في جامع الطوسي في الساعة العاشرة صباح كل يوم من ايام الدراسة.

لسماحة السيد الصدر (قدس) الكثير من المؤلفات الذي أثرت المكتبة الإسلامية بالعلوم والمعارف المختلفة نذكر منها غاية الفكر في علم الأصول، فدك في التاريخ، فلسـفتنا، اقتصادنا، المدرسة الإسـلامية، الأسـس المنطقية للاستقرار، بحوث في شرح العروة الوثقى، دروس في علم الأصول، بحث حول المهدي، أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف.

كان السيد الصدر (قدس) مفكر وفيلسوف اسلامي كبير ومرجع ديني بارز إذ كان منفتحا فكريا علي باقي المذاهب يدعو الى السمو العقلي والفكري وعدم التعصب والانجرار الى الطائفية المقيتة بل جعل الفكر والعقل هما المحور والأساس والإنطلاق لحياة الإنسان.

في الخامس من نيسان 1980 ارتكب صـدام جريمة العصـر باعتقاله مع اختهالعلوية بنت الهدى بحجج واهية وفي اليوم التاسع من نيسان 1980 نفذ حكم اعدامه في بغداد وعادوا بجثته خفية إلى النجف الأشرف ليدفن فيها.

اللجنة التحكيمية .. سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد موسى بحر العلوم (قدس سره)

السـيد موسى بن السيد جعفر بن السيد محمد بن السيد محمد تقي بن رضا بن مهدي بحر العلوم الطباطبائي ، عالم أديب وشاعر .. ولد في النجف الأشـرف في شهر جمادي الآخرة عام 1327 من اسـره علمية عريقة عرفت بالتقوى والعلم، ونشأ على والده المتوفي سـنة 1334 ه دخل المدارس الرسـمية وتخرج منها وانصرف لتحصيل العلوم الشرعية، ومنذ صغره دخل الحوزة العلمية واستمر بالدرس والاشتغال وكان من ابرز اساتذته سـماحة اية الله العظمى السـيد محسن الحكيم، وآية الله الشـيخ حسـين الحلي، وآية الله السيد ميرزا بجنوردي، ولمكانته العالية والدينية رغب اهالي الكوفة بعامة طبقاتهم أن يقيم صـلاة الجماعة لهم في المسجد الأعظم مسجد الكوفة وان يكون لهم مرشدا دينيا واجتماعيا ، اضافـة الى مكانته العلميـة فهو من المتفوقين في العلوم الأدبيـة، نظم الشـعر وأجاد فيه وله شـعر راق وهو من عني بنظم التاريخ وارخ

به الحوادث والقضايا التاريخية ومواليد ووفيات وغيرها ونشـر منه في الصـحف العراقية، شارك في تأسيس جمعية الرابطة الأدبية) كما ساهم بتأسـيس فكرة جمعية منتدى النشر)، وكان مدرسا تتلمذ على يديه بعض الأفاضل، اضافة إلى علميته فانه يتمتع بصفات نفسية كريمة جعلته محبوبا في طبقات المجتمع عامة له خمسة عشـر أولا من الذكور خمسة هم السيد علي، السيد جعفر،السيد حسن، والسيد محمد حسين، والسيد رضا، مؤلفاته : ديوان شعره خ.

توفي بالنجف 8 صفر سنة 1397ه. ودفن بمقبرتهم الخاصة

نتائج مسابقة التأليف:

قررت اللجنة المشكلة من العلماء الأفاضل لتقيم افضل تأليف كالآتي :

1. الفائز الأول بأفضل تأليف للأستاذ اللبناني سليمان كتاني عن كتابه الإمام علي نبراس ومتراس) ويقع الكتاب في (260) صفحة.

2. الفائز الثاني بأفضل تأليف للدكتور مهدي محبوبه في كتابه (ملامح من عبقرية الإمام علي (ع)) وقع الكتاب في (283) صفحة.

3. الفائز الثالث بأفضل تأليف للأستاذ عبد المجيد لطفي (الإمام علي رجل الإسلام المخلد) ويقع الكتاب في (288) صفحة.

وقد حصل الأستاذ (روكس بن زائد العزيزي) على الجائزة الروحية والمعنوية عن كتابه (الإمام علي أسد الإسلام وقديسه).

إقامة الاحتفال:

أقيم احتفال ومهرجان كبير في مدينة الإمام الحسـين مدينة كربلاء بمناسبة ذكرى ولادة الإمام علي عليه السلام بطل الإسلام الخالد، وبعد قراءة القصائد

والكلمات اعلنت نتائج مسابقة التأليف ووزعت على الفائزين الجوائز والمبالغ المالية المخصصة وقد دعيت لهذا المهرجان والاحتفالية الكثير من الشخصيات العلمية والأدبية والفكرية وقداستضاف السيد جواد شبر في بيتهالأستاذ سليمان كتاني مع زوجه كان الاحتفاء بهم وتكريمهم بشكل لائق وما هو معروف عن ضيافة اهل النجف الكرام.

جائزة الإمام علي عليه السلام و العالمية للإبداع الفكري:

وعلى المنوال نفسه اطلقت الأمانة العامة للعتبة العلوية المقدسة جائزة الإمام علي عليه السلام العالمية للإبداع الفكري يوم 18 ذي الحجة سنة 1931 بمناسبة عيد الغدير الأغر واستعدادا واحتفاء بالنجف عاصمة للثقافة الإسلامية عام 2012، تعد هذه الجائزة مشروعا علميا قائمة على الإبداع في فن الكتابة والتأليف محوره شخصية الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام لامتداد هذه الشخصية الفذة في الماضي، وآثارها في الحاضر والمستقبل، وقد خصصت لهذا المشروع هدايا نقدية وعينية قيمة للفائزين الثلاثة مع تبني العتبة طباعة بحوثهم وسيعلن عن نتائجها في يوم ذكرى ميلاد الإمام علي عليه السلام (في 13 رجب لسنة 1933 الموافق سنة 2012ه). (1)

هاشم محمد محمد باقر الباججي

امحرم 1922ه

ص: 18

1- يمكنك الدخول على موقع العتبة العلوية المقدسة للاطلاع على المواضيع والتفاصيل. www.imamali-a.com info@irniarriali-a.com

تفضل سماحة الشيخ مرتضى آل ياسين رئيس جماعة العلماء في النجف الأشرف، ورئيس لجنة المباراة الكتابية بإلقاء هذه الكلمة المباركة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى على محمد وآله..

وبعد فقد شاء الله جل شأنه الذي أخرج هذا الكتاب من حيز القلب إلى حيز القلم أن يفتح له الطريق الى المطبعة في يسر وسهولة ليخرج إلى الناس كتابا صادعا بالحق وناطقة بالصدق فيفيد منه الجاهل علما والعالم اسلوب ونظمة، وحسبه ميزة أن يبرز بهذا الأسلوب الرائق الذي أقل ما يقال فيه أنه اسلوب بياني بديع له من مقومات اللفظ وخصائص المعنى ما يجعله جديرا بكل اعجاب وتقدير، ولعله في اسلوبه البلاغي أول كتاب في موضوعه جاء منسجما مع شخصية لها مثل نهج البلاغة، فشكرا لمؤلفه الأستاذ الألمعي من كل ولي للإمام علي عليه السلام، ثم شكرا لتلك الذوات الخيرة التي مهدت السبيل على انجاز مثل هذا الكتاب الفذ وغيره من الكتب المشاركة له في الموضوع، واخص بالذكر منهم السيدين الشريفين فضيلة الخطيب البارع السيد جواد شبر الذي كان لجهوده المشكورة اكبر الأثر في نجاح هذا المشروع والماجد الكريم السيد هاشم شبر الذي تبرع من ماله الخاص بكل الجوائز الثلاث التي وزعت على الفائزين الثلاثة وعسى أن تفتح هذه المباراة الفكرية القلمية التي

اسـفرت عن مثل هذا النتاج القيم بابا لمباريات أخرى تتحف المكتبة الإسلامية بنفائس كهذه النفائس أو اثقل وزنا وما ذاك عن ارباب الفكر والقلم بعيد والله المستعان وهو ولي التوفيق

مرتضى آل ياسين

ص: 20

المقدمات

منـذ أربعـة عشـر قرنـا واسم الإمـام علي عليه السـلام يحتـل الصـدارة في بيوت المؤرخين والمتتبعين، والباحثين، حين يجئ ذكر الإيمان، والاستقامة ، والعدل والشجاعة والجهاد في سبيل الله، والصبر على المكاره، أو حين يجئ ذكر المعرفة والحكمة، والأدب والشعر والخطابة، فتمر سـيرته في صور مزدانة بألوان من الصـفات التي لم تجتمع في شخصـية انسان عبقري موهوب كما اجتمعت في هذه الشخصـية الفذة العجيبة التي خلبت العقول، وحيرت الألباب، وكانت من القوة والرسوخ . من حيث هذه المزايا مزايا العلم والحكمة والمعرفة وسمو الخلق والإنسانية الحقة . بحيث تمردت على العوامل الفعالة التي من شأنها إبادة أي شيء. مهما عظم. إذا ما وقف أمامها.

يقول ضرار بن ضمرة الكناني وهو من معاصري علي حين ارغمه معاويه على أن يقول عن علي ما يرى فقال : (كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، ويقول فصـلا، ويحكم عـدة، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمـة من نواحيه، يسـتوحش من الـدنيا وزهرتهـا، ويـأنس بـالليل ووحشـته، وكان غزير الدمعة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، وكان فينا كأحدنا ، يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه ، ونحن والله مع تقريبه إيانا، وقربه منا، لا تكاد هيبـة له، يعظم أهل الدين، ويقرب المساكين، لا يطمع القوي من باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله).(1)

1- شرح نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد: 229/18 .

كان علي أمة مستقلة بذاتها، تحكى عقيلة الدهر، وتعبر عن نضج الزمان، وتصور نهاية المراحل من سمو البشرية، وقمة المجد، فليس من الصحيح أن يقاس علي بالأفراد فهو نسيج وحده، ومن الخطأ أن يقال عن علي : أنه كان أورعهم، واتقاهم، وأنبلهم، واسخاهم وأنت تعرض لسيرة العظماء والمزايا الإنسانية، فكما أنك لا تستطيع ان تقرن الأرض بالقمر بهاء، وتقرن معدن الراديوم بالمعادن الأخرى جواهرا وتقيس عليه، فإنك لا تستطيع ان تقرن اسم علي بأسماء العظماء – باستثناء من خصوا برتبة النبوة وهو غير نبي طبعا . لأن مزايا علي قد تجاوزن الحدود المألوفة، ولأن شخصيته بلغت القمة من الأمجاد والمثل العليا في دنيا البشرية.

وحين يستعرض المرء المبادئ الملكات والمزايا فلا يصح أن يأتي بعلي مثلا، ذلك لأن عليا – كما قلت . أمة مستقلة وليس لها بين الأفراد من شبيه ، وأنه قد سما بما جاء به من موازين، وما أعرب به من مزايا، وما عبر به عن صفات الإنسان الكامل العديم النظير، حتى صارت كلمة (علي) وحدها تكفي لترسم أمام العين كل الصور الجذابة من معاني الإنسانية.

ولعل كلمة (علي) التي يكتبها البعض فوق مخازنهم، وحوانيتهم، أو يعلقونها في اطار من الألواح الفنية المزخرفة في بيوتهم، أو التي ينقضونها على ابواب العمارات والمساجد، والمعاهد،والمؤسسات ، أقول: لعل هذه الكلمة ضرب من ضروب (البديع) ورمز من رموز الفن المعروف في علم البديع بالاكتفاء) وهي صريحة المنطوق، واضحة المفهوم، فلا حاجة لأن يضاف إليهاشيء ليفهم الناس : أن عليا يحكي المجموعة الكاملة من فضائل و مزايا.

يقول مهدي الجواهري:

ص: 22

تعدد المرء يعد منقصة إذا ***فاقت مزاياه عن التعداد

ولقد فاقت مزايا علي حدود التعداد، وتحدثت عوامل الزمن التي تجرف أمامها الماضي والحاضر فتجعله أثرا بعد عين.

لقد تحدت مزايا (علي) عوامل الزمن بقوة لم يعرف لها نظير في تاريخ العظماء حتى اصبحت شخصيته كالشمس التي إذا ما حجبها الضباب أو السحاب أو الغبار، أو حال القمر بينها وبين الأرض مرة فلن يستطع أن يحجبها مرات، ولن يقوى على تغيير جوهرها، ونفوذ عملها واثرها في الأرض وفي الطبيعة.

(1)

وانا اقصد بعوامل الزمن، والعوامل الفعالة: (الترغيب) الذي يتضمن أساليب الدعاية واستمالة النفوس بالوعود، والمنح والعطاء مما استخدمه اعداء (علي) بكل صوره وألوانه لاسدال الستار على فضائله وحجبها عن العيون، ومحو اسمه من دفتر الوجود.

وأقصد بعوامل الزمن والعوامل الفعالة : (الترهيب الذي يتضمن الوعيد والتهديد، والسجن، والتنكيل، والتقتيل بأبشع صوره للقضاء على أية بقية العلي وأولاده ومحبيه ، ممن لا يزالون يرون لعلي بن ابي طالب وذريته الصالحين شيئا من الحرمة والمحبة في نفوسهم.

وإذا ما تم الجمع بين الترغيب والترهيب بكل وسائلهما وطرقهما الجهنمية هان على من بيده القوتان الفعالتان أن يغير اتجاه الأفكار، وأن يبدل العقيدة وأنيسدل ستارة كثيفة على الماضي بجميع مزاياه وحسناته، وما قد يشد المرء إليه من ايمان به، وتمسك بمبادئه.

ص: 23

والترغيب وحـده يعتبر اليوم من اشـد أسـلحة الحرب مضاء، وأكثرها فتكا، فكيف لوانضـمت إليه عناصـر الترهيب؟ ولقد أضاعت الدعاية) الواسـعة اليوم على البـاحثين والمؤرخين حقيقـة الأـمور فلم يـدروا . مثلاأحقا كانت المانيا هي السـبب الأكبر في الحرب العظمى الأولى والثانية أم كانت انكلترا التي تريد أن لا يمس أحد طرفا من حقوقها في المستعمرات؟

ولكن شاهـدنا فيما قرأنا كيف فعل الجمع بين الترغيب والترهيب، وكيف بـدل سـجايا أصـيلة في أمم اصـيلة، وكيف غير اتجاهات شـعوب وعقائد شعوب إلى ما يعاكس اتجاهاتها وعقائدها، وكان من بعض ذلك أن استطاع الأيوبيون أن يحولوا مصر الشيعية بعقيدتها الأصيلة إلى مصـر السـنية ، واسـتطاع الصـفويون أن يحولوا ايران السـنية النشأة والعقيدة إلى إيران الشيعية، لأن كلا الطرفين . الأيوبيين والصفويين . قد استخدما وسائل (الترغيب والترهيب) استخداما ما ضمن لهما اجتثاث العقيدة من اصلها، وغرس عقيدة معاكسة لها تماما في محلها .

وقصة إدوارد الثامن ليست بعيدة عن الأذهان وهي تكفي لتكون شاهدة الكيفية تخلي الشـعب عنه ونسيانه بالمرة بين عشية وضحاها بمجرد أن انزلت الحكومـة صوره من أعالي الجدران وامتنعت الصـحف من ترديد اسـمه، وذكرأخباره، وبعد ان كان ملء الأذهان، وملء القلوب محبـة وولاـء، ولم يعرف – إلاـ القليـل أن يقيم اليوم، هـذا الملك المحبوب والمعبود بالأمس؟ وكيف يعيش؟ هـذا (والدعايـة) لم تتجاوز الحدود البسيطة الأولية.

يقـول ابن ابي الحديـد: (روى عطـاء عن عبـد الله بن شـداد بن الهـادي قـال : ان الأحـاديث الواردة في فضـل علي لو لم تكن في الشـهرة والاستفاضة وكثرة

النقل إلى غاية بعيدة لا نقطع نقلها للخوف والتقية من بني مروان مع طوال المدة ، وشدة العداوة، ولولا أن الله تعالى في هذا الرجل – يعني عليا – سرا يعلمه من يعلمه لم يرو في فضله حديث، ولا عرفت له منقبة، ألا ترى أن رئيس قرية لو سخط على واحد من أهلها، ومنع الناس أن يذكروه بخير أو اصلاح، الحمل ذكره، ونسي اسمه، وصار وهو موجود معدوما، وهو حي ميتا).(1)

(3)

الترغيب

وقد استخدمت تلك العوامل والوسائل، وسائل الترغيب والترهيب بمختلف صورها ووجوهها ضد علي وأولاده من بعده حتى ظلت هذه العداوة تماشي الزمن الى هذا التاريخ بالرغم من تقدم العلوم، وانتشار الثقافة، واتساع الأذهان للمناقشة، والتتبع والاستقصاء ونبذ التعصب، فلم يزل حتى هذا اليوم من يكره عليا ويسبه ويلعنه، ولقد مر أكثر من ثلاثة عشر قرنا على استشهاد علي ووفاته ونحن لم نسمع صوت عمران بن حطان الرقاشي(2)وهو

1- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد:ز4/73

2- عمران بن حطان السدوسي البصري المتوفي سنة 84ه الخارجي الملعون الذي مدح المجرم عبد الرحمن بن ملجم المرادي .. أفجهل قوله (ص) : يا علي أتدري من أشقى الآخرين ؟ فقال علي : الله ورسوله أعلم، فقال (ص) : قاتلك يا علي (مستدرك الوسائل، الميرزا التوري: 18/1)، وروى عنه البخاري وقد أكثر علماء الرجال من الطعن فيه (السقيفة ، محمد رضا المظفر: 189)، وهذا معاصره القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعي يقول في عمران ومذهبه : اني لأبرأ مما أنت قائله*** عن ابن ملجم الملعون بهتانا با ضربة من شقي ما اراد بها ***إلاليهدم للإسلام اركانا أني لأذكره بوما فألعنه*** دنياوالعن عمراناوحطانا عليه ثم عليه الدهر متصلا*** لعائن الله اسرار و اعلانا

يبجل عبد الرحمن بن ملجم ويثني على تلك الضربة التي شج بها ابن ملجم رأس الإمام علي إذ يقول:

با ضربة من تقي ما أراد بها*** إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

أني لأذكره يوما فأحسبه*** أو في البرية عند الله ميزانا(1)

فحين زار ابن بلة الزعيم الجزائري (2)العراق كان أول ما سأل عنه، سأل عن قبرعبد الرحمن بن ملجم أو محل مقتله، وأبدى رغبته في زيارته وقراءة

فأنتما من كلاب النار جاء به ***نص الشريعة برهانا وتبيانا

الغدير ، الأميني : 329)ـ

قال الـدار قطني: إنه متروك الحـديث وخبيث في مـذهبه (دراسات في الحـديث والمحدثين، هاشم معروف الحسـيني: 190)، عمران بن حطان أحد رؤوس الخوارج الخبيثة ولو أهل البدع بلغ الأمر مبلغا من المتفق عليه، (شـرح معاني الآثار احمد بن محمد بن سـلمة 408/4)، غضب الله تعالى عليه (تفسير الألوسي، الألوسي: 168/8)

1- 1. الكامل، المبرد : 49/3 ط محمد بن صبيح -القاهرة

2- ولـد الرئيس أحمد بن بلة يوم 25 ديسمبر 1919 بمدينة مغنية ، وأصل تعليمه الثانوي بمدينة تلمسان وقد أدى الخدمة العسـكرية سـنة 1937 ، تـأثر بعمق بأحـداث 8 مـايو 1945 ، فـانظم إلى الحركـة الوطنيـة بـاشتراكه في حزب الشـعب الجزائري وحركـة أنصار الحريات الديمقراطية حيث أنتخب سـنة 1947 مسـتشارا لبلدية مغنية، اصـبح بعدها مسؤولا على المنظمة الخاصة حيث شارك في عملية مهاجمة مكتب بريد وهران عام 1949 بمعية السـيدين حسـين آيت احمد و رابح بطاط ، ألقي عليه القبض سنة 1950 بالعاصمة و حكم عليه بعد سنتين بسـبع سـنوات سـجن. هرب من السجن سنة 1952 ليلتحق في القـاهرة بـأيت احمـد و محمـد خيـذر حيث يكون فيما بعـد الوفد الخارجي لجبهـة التحرير الوطني . قبض عليه مرة اخرى سـيئة 1951 خلال عملية القرصـنة الجوية التي نفذها الطيران العسكري الفرنسي ضـد الطائرة التي كانت تنقله من المغرب نحو تونس رفقة أربع قادة أخرين لجبهة التحرير الوطني (بوضـياف ، بطاط، آيت احمد ، لشـرف)، أطلق سراحه سنة 1992 حيث شارك في مؤتمر طرابلس الذي تمخض عنه خلاف بينه و بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، في 14 سبتمبر 1993 انتخب اول رئيس للجمهورية الجزائرية، في 19 جوان 1990 عزل من طرف مجلس الثورة، ظل معتقلا إلى غاية 1980 ، و بعد إطلاقسراحه انشا بفرنسا الحركة الديمقراطية بالجزائر، التحق نهائيا بالجزائر تاريخ 29 سبتمبر 1990.

الفاتحة له..! وقد حصل من صـرفه بلباقة عن مثل هذا السؤال وأشار عليه بما يقتضـي أن يراعيه في هذا المقام مما تقتضـيه السياسة، فإذا لم تصح هذه الرواية عن ابن بلة فهي صـحيحة في عدد غير قليل من قوم لا يزالون حتى اليوم يسـبون عليا ويترحمون على قاتله عبد الرحمن بن ملجم.

نقول لقـد اسـتخدمت كل الوسائل من الترغيب والترهيب لطمس أسم علي وفضائله ولم تترك طريقة ذات جدوى كبيرة كانت أم صـغيرة إلا اتخـذت للوصول إلى هـذه الغاية، ولكن هذه الوسائل على ما فيها من حول وقوة ونفوذ، واعدادها باتقان وإحكام على ايدي اعداء مهرة ذوي خبرة وحنكـة ، فأنها لم تكن بأكثر من خيوط واهنـة أشـبه بخيوط العنكبوت اين لها أن تشـد على رقاب الأسود وتجرها حيث تشاء، لـذلك خرجت ذكرى علي وأولاـده الصـالحين بعـد تلـك المحاولاـت الـتي قـد يعجز عن حبكهـا حتى الشـيطان في جميع بضـروب (الترغيب والترهيب) – أكثر صفاء، وأوضح بيانا وأجلى واقعا.

صحيح أن الاضـطهاد قد يساعد على التمسك بالرأي المعاكس ، وبالعقيدة المخالفة لعقيدة المضطهد (بكسر الهاء) ويجعلها أكثر رسوخا في النفس، ولكن الاضـطهاد المصـحوب بالترغيب وحسن الدعارة لن يجعل رد الفعل بمثل هذه القوة التي صاحب رد فعل المضـطهدين لعلي وأولاده ، وشـيعته، والتي كان من آثارها ظهور الغلاة، والمؤلفين لعلي، والمحلقين به كل معجزة لم يسـتسغ العقل نسبتها إلى الأنبياء فكيف نسـبتها للخلفاء، وجعلت اسم (علي)يذكر في أذان الشـيعة وإقامة صـلاتهم كرد فعل للسـباب، واللعن الذي أوجبه اعداء علي على أنفسهم قبل الصلاة وبعد الصلاة ، وعند التوجه

الى الله بالدعاء ، فقد جاء في الأخبار، وعلى ما أورد ابن ابي الحديد: (إن معاوية، وعمرو، والمغيرة ، والوليد بن عقبة، وأبا الأعور، والضحاك بن قيس، وبسر بن ارطأة ، وحبيب بن مسلمة، وأبا موسى الأشعري، ومروان بن الحكم، كانوا يقنتون ويلعنون عليا).(1)

وهذا هو دليل عظمة علي، العظمة التي كان من آثارها أن تظل شخصية علي اربعة عشر قرنا، وستظل عشرات القرون" بل ومئات القرون كما لو كانت شخصية عظيمة جديدة لا عهد للمؤلفين، والمؤرخين، ومستعرضي السير بمثيل لها في تاريخ البشرية.

ولقد اتقن اعداء علي سبك (الدعاية)ووسيلة الترغيب ضد علي حتى آمن بأقوالهم الكثير، وإن الكثير من الناس سوقة جهلاء لا يكلف تغيير رأيهم وتضليلهم شيئا من المجهود الذين يعرفون طرق الدعارة واساليبها والذين يوصفون بمعرفة (من اين تؤكل الكتف)، وإن الذي يتعمق في التاريخ الإسلامي يرى أن حظ القادة من أعداء علي في فهم الدعارة ووسائل الترغيب وطرقها، وضمان فعلها في النفوس كان كبيرا وكبيرا جدا خصوصا وأن عدد السذج من الشعب، والشعب الذي لم يختلط بالمدن ولم يعرف شيئا من الحضارة لم يكن في جميع الظروف والأحوال قليلا، ففعلت هذه (الدعاية) وعملية الترغيب في مثل تلك النفوس التي يسودها الجهل فعلها العجيب.

ويسوق المسعودي شاهدا على غباوة طائفة من أولئك السذج الذين استغلتهم (الدعاية)الاموية فيقول:

1- (الدعاية الأموية فيقول:ا. طرائف المقال ، السيد علي البروجردي: 11/2.

(بلغ في إحكامه (أي من احكام معاويـة) للسـياسة، واتقانه لها، واجتذابه قلوب خواصه وعوامه، وأن رجلا من اهل الكوفة دخل على بعير له الى دمشق في حال منصـرفهم عن (صـفين) فتعلق به رجل من (دمشق) فقال : هذه ناقتي أخذت مني (بصـفين) فارتفع أمرهما الى معاوية، وأقام الدمشقي خمسين رجلا بينة يشهدون أنها ناقته، فقضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير إليه ! فقال الكوفي:

– اصلحك الله أنه جمل وليس بناقة.

فقال معاوية . هذا حكم قد مضى.

ودس إلى الكوفي بعد تفرقهم فاحضره، وسأله عن ثمن بعيره، ودفع اليه ضعفه، وبره، وأحسن إليه وقال له:

أبلغ عليا : إني أقابله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل).(1)

وإذا كانت هذه القصة مما تسـتوجب المناقشة في صحتها فليس هنالك من شك أنها وليدة ظروف وبيئة ونهج اختص به معاوية وأعداء علي والكثير من الناس بحيث جاز أن يوضع مثل هذه القصص على السنتهم.

وقد اسـتطاع اعداء علي وأولاده، وهـم (أي الأعداء) مصدر القوة والسلطة وبيدهـم القدرة على التعبئة العامة لجميع وسائل الدعاوة أن يثيروا في نفوس الرعية . ومعظمهـم من السذج والجهلة . السـخط العام على علي وأولاده، وأن السخط العام هو غير الرأي العام كما يحدده علماء الاجتماع.

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة: (هنا ينبغي للباحث أن يفرق تفرقة واضحة بين طبقتين – على الأقل . من طبقات المجتمع :

1– ام مروج الذهب، 722ط البهية المصرية

طبقة المستنيرين أو المثقفين الذين يستطيعون أن يدرسوا الأمور، وطبقة السوقة أو الدهماء أو المنقادين الذين ينقادون انقيادا اعمى لرأي من الآراء، أو فكرة من الأفكار، لأنهم عاجزون تماما عن مناقشتها لمعرفة مقدار الخطأ أو الصواب فيها).(1)

(4)

وعلى هـذا فلم يكن السـخط العام بأي وجه من الوجوه معبرا عن الرأي العام المسـتنير، وقد حدثنا التاريخ عن أن جماعة (علي) في عصـره وفي العصور الأـخيرة كانوا في الطليعـة من حيث السـيرة، والطيبـة، والفهم، والعلم، والأدب، والإيمان بالحق، وليس فيهم من يجوز اتصافه بالغوغائية فقلد كان عدد من شـهد (بدرا) مع رسول الله صـلى عليه وآله 313 من المهاجرين والأنصار، وقـد اشترك من هؤلاء الى جانب علي في حرب صفين كل من بقي حيا وكان عددهم 178 بدريا، وقد استشهد منهم 3 نفرا، كما اشترك مع علي في معركة صفين 800 رجل من بايع النبي صلى عليه وآله ، بيعة (الرضوان) تحت الشجرة(2)ومن بقي حيا حتى ذلك اليوم.

وكل هؤلاء من الطبقة المؤمنة، ومن أئمة الإسـلام، وأعلام الهدى، وهم الذين يؤلفون الرأي العام المنطقي الواقعي الذي يمثل جانب الخير والحق والصـلاح لو ترك الأمر لشأنه ولم يسـتعمل اعـداء علي الأساليب الشـيطانية ويثيروا الغوغائيـة، ويحاولوا اسـتخدام وسائل الترغيب لاجتثاث اسم علي وأولاده من الجذور، كيف لا ومن اصحاب علي وانصاره في عصره امثال ابي

1- المدخل في فن التحرير الصحفي : 240 ط 3.

2- المصدر نفسه :348.

ذرالغفاري ، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، والمقداد، وحذيفة بن اليمان، وخزيمة بن ثابت الأنصاري، وجابر الأنصاري، وهاشم المرقال، ومحمد بن أبي بكر، ومالك الأشتر، وعبد الله بن مسعود، والحارث ابن النعمان، ومئات غيرهم.

أما الذين شاركوا معاوية في حرب علي (فكلهم من مسلمي الفتح الذين اسلموا مقهورين، والطلقاء والمؤلفة قلوبهم، وعلى رأسهم عمرو بن العاص، وابو العلاء الأعور السلمي، ويسر بن ارطاة، ومسلم بن عقبة وغيرهم)(1)ممن صال بهم معاوية في الفتك والترهيب واثارة السخط العام والغوغائية.

وإن الوعي والإدراك في البلدان والشعوب إنما يقاس بالرأي العام الخاضع للمناقشة والمنطق ، ولا يقاس مطلقا بالغوغائية والسخط العام (وذلك لسبب واحد فقط، وهو أن الناس في حالة الرأي العام) يتمتع كل منهم بمفرديته ، ويستطيع ان يظهر شخصيته، وأن يظفر بالحرية الكافية لشرح وجهة نظره التي يقتنع بها ويريد أن يقنع غيره بما فيها صواب، ولكن الناس في حالة (السخط العام) تنعدم فرديتهم وذاتيتهم أو تكاد، ففي الزحام والتجمع تنمحي هذه الصفات ويفكر الناس بالصور والخيالات ويكون المجال واسعا أمام الزعماء والقادة – من غير العقلاء . وهم المعروفون عند الأوربيين باسم الديماجوج) ممن يثيرون الجماعات، ويستغلون سذاجتها، وانعدام الفردية أو الذاتية بين افرادها).

أن الشعب في حالة (السخط العام) يكون اشبه شيء بالنظارة في المسرح يتأثرون بالمسرحية وتحت مشاهدتهم لها، فلا يستطيعون الجمع وقتئذ بين.

1- المدخل في فن التحرير الصحفي : 293

المشاهدة والنقد، ولا يستطيعون التمييز بين شتى المواقف المسرحية المعروضة عليهم في ذلك الوقت).(1)

وهـذا مـا حـدث فعلاـ في وقعـة كربلاـء حين أغار القوم على الحسـين وأصـحابه ولـم يكتفوا بل حزوا رؤوسـهم ، وداسوا بسـنابك الخيول صـدورهم، وأحرقوا مخيم حريمهم، وردعوا أطفالهم ونساءهم، وساروا بأهليهم سـبابا وأمامهم رؤوس قتلاهم مرفوعـة فوق الرماح يطوفون بهم المدن دون أن يكون هنالك ذنب أو أي شيء يستوجب بعض هذا..

(5)

ويظهر ان استغلال السذج من الناس لتوليد السخط العام والغوغائية من قبل اعداء علي وأعداء أولاده في جميع الأدوار قد جرى بشكل غاية في الاتقان بناء على الجهل المتفشـي بين الشـعوب، فقد كانت الأغلبية من السذاجة وعدم الإدراك ما سهل توجيهها نحو الغاية المنشودة : وهي كره علي وأولاده أو تناسيه وتناسي فضائله على الأقل.

فقد روي أنه بلغ من أمر طاعة أهل الشام لمعاوية : أنه صـلى بهم عند مسـيرهم إلى صـفين صـلاة (الجمعة) في يوم الأربعاء)(2) ..!! وأنهم ادركوا إلى قول عمرو بن العاص أن عليا هو الذي قتل عمار بن ياسر الذي كان يقول فيه النبي (عمار جلدة ما بين عيني)(3)ويقول فيه : (من عادى عمارا عاداه الله

1- المدخل في فن التحرير الصحفي : 29 ط3.

2- مستدرك سفين البحار، الشيخ علي النمازي : 357/3

3- المسترشد ، محمد بن جرير الطبري: 648.

ومن ابغض عمارا ابغضه الله)(1)فلو لم يخرجه علي من حرب صفين . على ما يقول عمرو بن العاص – لما قتل عمار، لذلك كانت اللعنة المفروضة على قاتلي

عمار) إنما تعني عليا بصفته المسبب للقتل، ولا تعني القاتل الحقيقي وهومعاوية أو جنود معاوية.

ويقول المسعودي :

(ثم ارتقي بهم الأمر في طاعته. أي في طاعة معاوية . إلى أن جعلوا لعن على ستة ينشأ عليها الصغار، ويهلك عليها الكبار).

ثم اضاف قائلا : (وذكر بعض الإخباريين أنه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم، وأهل الرأي والعقل منهم :

من (ابو تراب هذا الذي يعلنه الإمام على المنبر؟ قال : أراه لصا من لصوص الفتن!!).(2)

وكان عبد الله بن علي حين خرج في طلب مروان الى الشام وقتله لمروان وجه الى ابي العباس السفاح اشياخا من أهل الشام من ارباب النعم والرياسة فحلفوا لأبي العباس السفاح انهم ما علموا لرسول الله صلى الله عليه وآله قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أمية !

وكان المدركون من أعداء علي يعرفون لعلي فضله وشأنه ولذاك يسعون بك ما أوتوا من قوة لطمس هذا الفضل ومحوه من الوجود.

يقول عمر بن عبد العزيز: (وكان أبي إذا خطب فنال من علي – رضي الله عنه – تلجلج.

1- الغدير ، الأميني: 1/331

2- مروج الذهب: 2/ 72

فقلت : يا أبه : أنك تمضي في خطبتك فإذا أتيت على ذكر علي عرفت منك تقصيرا.

قال : أوفطنت لذلك؟

قلت : نعم!

فقال : يا بني أن الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم تفرقوا عنا الى أولاده).(1)

(6)

وتفنن أعـداء علي في أساليب الترغيب والدعايـة، وخلق الأكاذيب ، والتلفيق والطعن في على طعنا كان من الصـعب على أحد أن يعتقد أو يتصور ان يكون بالإمكان بعث اسم (علي) من جديـد في تاريـخ الإسـلام بعد تلك الحملات والأباطيل التي الصـقوها بالإمام علي ، كما تفننوا في وضع القواعد الرصـينة الثابتة، والخطط التي تقضي على ذكر علي وذكر محامده ومزاياه، فتم لهم أن يقولوا عنه ما لم يقل حتى في الأشـرار المجرمين، فقـد جاء عن أبي جعفر: (أن معاويـة وضع قوما من الصـحابة ، وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السـلام تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم ابو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير).

1- . الكامل في التاريخ : 42/5 مطيعة صادر ودار پيروت، شرح نهج البلاغة :257/1.

وروى الزهري : أن عروة بن الزبير حدثه قال : حدثتني عائشة قالت: كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس وعلي فقال يا عائشة (إن هذين . يشير الى العباس وعلي - يموتان على غير ملتي، أو قال على (غير) ديني !!).(1)

وروي أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي ان الآية (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ *وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ) (البقرة : 204-205) قد انزلت في علي عليه السلام.

وإن الآية الكريمة : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ)(البقرة:207) قد نزلت في عبد الرحمن بن ملجم!! فلم يقبل سمرة بذلك، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له اربعمائة ألف درهم فقبل .(2)

قال محفوظ : قلت ليحيى بن صالح الوحاظي(3): قد رويت عن مشايخ من نظراء حريز فما بالك لم تحمل عن حريز؟

قال :أني أتيته فناولني كتابا فإذا فيه : (حدثي فلان عن فلان : أن النبي صلى الله عليه وآله لما حضرته الوفاة أوصى أن تقطع يد علي بن ابي طالب عليه السلام).(4)

1- شرح نهج البلاغة :358/1.

2- المصدر نفسه.

3- يحيى بن صالح الوحاضي الحمصي من شيوخ البخاري وثقه يحيى بن معين وأبو اليمان وابن عدي ونه أحمد لأنه نسبه إلى شي من راى جهم وقال إسحاق بن منصور كان مرجئا وقال المساجي هو من أهل الصدق والأمانة وقال أبو حاتم صدوق وقال أحمد بن صالح حدثنا بأحاديث عن مالك ما وجدناها عند غيره وقال الخليلي روى عن مالك عن الزهري عن سالم عن أبيه في المشي أمام الجنازة ولم يتابع عليه وإنما هذا حديث سفيان ويقال إن سفيان اخطا فيه. (مقدمة فتح الباري ، ابن حجر: 452)

4- المصدرنفسه :260/1

وكما وضعوا الروايات والأخبار والأحاديث في ذم علي وفسروا الآيات القرآنية كما شاؤوا فأنهم شجعوا الشعراء على هجاء علي وأولاده، ولا يبعد أن يؤلف هذا الشعر عدة دواوين لو لم يتحاش تسجيله المؤرخين، ولم يصلنا منه إلا بعض الشواهد ومن هذه الشواهد قصيدة كعب بن جعيل، التي يقول فيها :

وقالوا (1)علي إمام لنا ***قلنا رضينا ابن هند رضينا وقالوا نرى ان تدينواله ***فقلنا ألا لا نرى أن ندينا

ومن دون ذلك خرط القتاد*** وضرب وطعن يقرالعيونا

وقال أبو العباس المبرد : (وفي آخر هذا الشعر ذم لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه أمسكنا عن ذكره). (2)

وكان المتوكل شديد الانحراف والكره لعلي وأولاده حتى قام بحرث قبر الحسين وغمره بالماء ليطمس آثاره ، وليضيع معالمه، وقد جرأت عداوته لعلي واولاده طائفة ومنهم الشاعر علي بن الجهم أن يذكروا عليا عنده بالسوء والاستهزاء وإن ينالوا من علي بن ابي طالب بما وسعهم.

وما أصدق البيتين اللذين قالهما علي بن الجهم في مروان بن حفصة على علي بن الجهم نفسه لو أراد العلويون أن يقولوهما في ابن الجهم فقد قال ابن الجهم في مروان :

1- ويقصد الشاعر بقوله: (وقالوا) أهل العراق.

2- . الكامل ، المبرد :223/1

بلاء ليس يعدله بلاء ***عداوة غير ذي حسب ودين

يبيحك منه عرضا لم يصنه *** ويرتع منك في عرض مصون

والترغيب والطمع في المثوبة وحسن الجزاء والصالات هي التي كانت تدفع بالشعراء وواضعي الأخبار، وملفقي الأحاديث إلى أن يتخذوا من سب علي وسيلة ارتزاق وبلوغ جاه إذا لم تكن(الدعاية) فقد فعلت فعلها في نفوسهمفكرهوا عليا عن جهل وعدم ادراك، ثم تحول هذا الكره الى ايمان بعد ذلك.

قال الحجاج يوما: من كان له بلاء فليقم فنعطيه على بلائه، فقام رجل فقال:

اعطني على بلائي.

قال : وما بلاؤك؟

قال : قتلت الحسين.

قال : فكيف قتلته ؟

قال : دسرته بالرمح دسرة، وهبته بالسيف هبرة، وما اشركت معي فيقتله أحدا .!!

قال فإنك لا تجتمع أنت وهو في مكان واحد، وقال: أخرج، ولم يعطه شيبا.(1)

وقال الحجاج يوما لعبد الله بن هانئ، وهو رجل من بني أودحي من قحطان وكان شريفا في قومه ، وقد شهد مع الحجاج مشاهده كلها، وكان من

1- الكامل في التاريخ : 1080/4

انصاره وشيعته، وقد أراد الحجاج أن يجزيه على ما قدم له، وأن يحسن إلى صنيعه فقال له :

والله ما كلفتك بعد.

ثم أكره الحجاج اسماء بن خارجه (سيد بني فزارة)، وسعيد بن القيس الهمداني (رئيس اليمانية) وحملهما قسرا على تزويج ابنتيهما لابن هانئ مهددا إياهما بالقتل بعد أن رأى منهما امتناعا، وقال الحجاج لابن هانئ:

انظر .. لقد زوجتك بنت سيد فزارة، وبنت سيد همدان، وعظيم كهلان.

فقال ابن هانئ: لا تقل . اصلح الله الأمير – ذاك فإن لنا مناقب ليست الأحد من العرب.

قال الحجاج : وما هي؟

قال : ما سب امير المؤمنين عبد الملك في ناد لنا قط.

قال : منقبة والله..

قال : وشهد معنا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلا، ما شهد منا مع أبي تراب إلا رجل واحد، وكان ذلك الرجل – والله (على) ما علمته : امرأ سوء.

قال الحجاج : منقبة والله.

قال : ومنا نسوة نذرن إن قتل الحسين بن علي : أن تنحر كل واحدة عشرة قلائص ففعلن..

قال : منقبة والله.

قال : وما منا رجل عرض عليه شتم ابي تراب ولعنه إلا فعل وزاد ابنيه

حسنا وحسينا، وأمهما فاطمة !!

قال الحجاج : منقبة والله(1)

فإلى أي مدى هذه الدعاية، واستمالة الناس بالمال والعطاء والمناصب والإكراهوالإشراف على تزويج بناتهم لمن هم دونهم شرفا ومحندا، خروجا على سنن العرب وتقاليدهم حتى يحملوا الشخص على أن يباهي في كره رجل إذا لم يعرف فضله ومقامه فليس له منه ما يستوجب ان يحمل له ولأولاده مثل هذا الكره، وهذه العداوة.

ويكثر طلاب الجوائز والعطاء بسبب ما يحملون لعلي وأولاده من العداء وكم بين هؤلاء من لا يجهل قدر علي وأولاده ومكانتهم في الدنيا والآخرة ، ولكنه يعاديهم طمعا بصلات اعدائهم وتوقعة لما يغدقه الأعداء عليه من الهبات والعطايا، ومن هؤلاء قاتل الحسين بن علي بن ابي طالب، فقد دخل على يزيد بن معاوية بالسبايا من آل الحسين وهو يخاطب يزيد قائلا :

أوقر ركابي فضه أو ذهبا ***فقد قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أما وأبا***وخيرهم- إذ ينسبون - نسبا(2)

وحين قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة، جاء الى مسجد الكوفة، لما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلعته مرارا وقال :

ياهل العراق، اتزعمون أني أكذب على الله وعلى رسوله؟ واحرق نفسي بالنار، والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : (ان لكل نبي حرما وأن

1- بن ابى الحديد: 357/1.

2- العقد الفريد: 381/6 ، مروج الذهب: 65/2 والشريشي: 193/1 (أعلام الزركلى)

حرمي بالمدينـة ما بين عير أو ثور (يعني به الجبل) فمن أحدث فيها حدثا فعليه عنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأشـهد أن عليا احدث فيها).

فلما بلغ معاوية قوله أجازه، وأكرمه وولاه امارة المدينة (1)

وبلغ الأـمر بـالنس انهم لم يعودوا يصـدقون أن بإمكـان أعـداء علي وأعـداء أولاده الصالحين أن ينسوا أو يتناسوا على الأقل بغضـهم لعلي وأولاده وإذا اتفق شـيء من هـذا حتى مع الصالحين تلقوه بالاسـتغراب والدهشة، فحين منع عمر بن عبد العزيز سب علي اسـتمرت بعض المـدن في السب خوفا من أن يكون خبر هذا المنع غير صـحيح، وحين كتب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالمدينة يأمره بأن يقسم في ولد علي بن ابي طالب عشـرة آلاف دينار تلكأ هـذا العامل كما لو كان يسـمع أمرا يسـتحيل صدوره، وإن عليه أن يتحقق من صدوره قبل تنفيذه فكتب إلى عمر بن عبد العزيز يقول :

(ان عليا قد ولد له في عدة قبائل من قريش ففي أي ولده يقسم هذا المبلغ ؟).

فكتب إليه عمر بن عبد العزيز:

(لو كتبت اليك في شاة تذبحها لكتبت الى: سوداء أم بيضاء ؟ (2)

(8)

واسـطورة (عبد الله بن سـبأ) هذه الشخصـية الوهمية التي لا وجود لها بالمرة والتي نسجها سيف بن عمر التميمي المتوفي في عصر هارون الرشيد بعد سنة 170 ه هي أحد أساليب (الدعاية) ضد علي وشيعته ، والتي خفيت

1- ابن ابي الحديد: 359/1.

2- مروج الذهب : 168/2

غايتها غير الشـريفة على كثير من المؤرخين فتصوروها – دون أن يناقشوها ويبحثوا عنها . حقيقـة غير قابلـة للتنفيذ، فقد روي عن سـيف بن عمر بما وضع هو من الأسانيد أن (عبد الله بن سـبأ) يهودي أسـلم في عهد خلافة عثمان، وراح يدس الأخبار الاسـرائيلية، والروايات وبما روي عنه من الأكاذيب مما يخالف جوهر الإسلام وحقيقته، فصدق بها شيعة علي وأخذوا بمبادئها وفاتهم اكتشاف هذا الدنسالمقصود من عبد الله بن سبأ في الإسلام.

ويبـدو أن هـذه الاسـطورة التي وضـعها سـيف بن عمر بأسانيده الملفقة لم تجد لها مؤيدا في وقتها حتى جاء الطبري بعدها يقرب من قرن ونصف قرن من وفاة سـيف بن عمر فنقلها لأول مرة في كتابه فبـدأت من هنا كما لو كانت قصة حقيقية لشـخص حقيقي، وحال طول الزمن بين الناس أن يفهموا أن قصة عبد الله بن سـبا هي وسـيلة من وسائل التشـنيع ضد علي وأولاده وشيعته وان سيف بن عمر قد خلقها متعمدا بداع من دواعي التشـهير والدعاية، ووجد فيها البعض تحقيقا لرغبته بعد أن نقل ابن جرير الطبري لها فأتخذ منها حجةتنديد، والبسـها لباس البراهين واطلق عليها اسم (اسرائيليات) والصقها باتباع علي وشيعته، ولم يحصل من يسأل :

لقـد كان من وجود (عبد الله بن سـبأ) – إذا صح وجوده – وبين وجود سـيف بن عمر التميمي الذي خلق هذه الشخصـية الوهمية نحو قرن ونصف قرن على وجه التقريب، وقـد عاش في هـذه الحقبـة كثير من الرواة والمؤرخين ، فلماذا لم يرو هـذه الروية أحد قبل سـيف بن عمر ويؤيد وجود عبد الله بن سبأ؟

وقد كانت المسافة بين وجود سيف بن عمر وابن جرير الطبري نحو قرن ونصف القرن، فلماذا لم ينقل رواية(ابن سبأ) الراوون والمحدثون قبل الطبري؟

ولم يسال احد لماذا انصب ما انصب من هذه المختلقات والأكاذيب التي سميت بالاسرائيليات على علي وشيعته، ولماذا نقلت على لسانه ونسبت اليه روايات هي في الظاهر مما ترفع قيمة علي – لاسيما عند السذج من الناس والبعيدين عن الفقه والتفقه والشريعة وفلسفتها . وهي في الباطن تحط من قدره، وتثير الأحقاد عليه، وتطمس حقيقة علمه، وتلبسه اثوابا من الأوهام لكي تحول بين العيون ورؤية الحقيقة حتى إذا ما بدد العلم غشاوة هذه الأوهام لم يبق في شخصية علي لمن ير منها إلا تلك الغشاوة ما يسر ويبهج فيكون مجال الطعن في عظمته وفي أيمان شيعته به من لدن خصومه واسعا ويسيرا.(1)

وإذا ما توسعنا في حقيقة سيف بن عمر الأسدي التميمي سهل علينا ما نقرأ في كتبه أن نتعرف بطبيعته وأن نتوصل إلى أن ميوله الى بني أمية قد حملته غير مرة على ان يتفق الأخبار ويختلقها اختلافا كضرب من ضروب (الدعاية) للأمويين عن طريق الأخبار الدينية والأحاديث والحوادث.

وأمثال سيف بن عمر كثيرون سواء في العصور الإسلامية المتقدمة أوالعصور الأخيرة ممن كانوا يضعون الأخبار، ويختلقون الروايات ويكذبون على الله ورسوله والأولياء والتاريخ بقصد الحط من كرامة علي وأولاده، ومن بين هؤلاء كان عدد غير قليل من أئمة العلم والأدب والتاريخ..!

1- . افرا تفنيدا تاريخيا مهما لهذه الأسطورة الملفقة : اسطورة (ابن سبا) انفرد بتحقيقها العالم الجليل السيد مرتضى العسكري في كتابه (عبد الله بن سبأ).

فهـذا أبو حيان التوحيـدي أحد علماء اللغة وأعلام الأدب في القرن الرابع الهجري لم يحل بينه وبين بغضه لعلي ما هو عليه من أدب وعلم، ولم يحـل مرور أكثر من ثلاثـة قرون ونصف قرن بينه وبين وفاة علي من أن يطلع علينا بتلك المراسـلات المخزيـة التي اختلقها، ووضـعها على لسان الخليفة أبي بكر، وعمر بن الخطاب، وعلي بن ابي طالب، تلك المراسلات المفعمة بالزراية بعلي والتحقير لشأنه، وقد اثبتها عدد من المؤرخين كنماذج لمقدرة ابي حيان الفنية في اختلاق الأكاذيب الأدبية ووضعها بذلك القالب البديع.

ولقـد فنـدها المؤرخون وكـذبوها منـذ أول يوم انتشارها على لسان أبي حيان التوحيدي (1)بل ان ابا حيان نفسه قـد اعترف باختلاقه لهـذه الكذبـة، وافتراءه على الخلفاء بوضـعه لها حين آخذه البعض على وضع مثل هذه المراسـلة ، فقال أنه قد اضـطر الى ذلك نكاية بأحد محبي علي وشـيعته، وكان هـذا يحضـر المجلس الـذي اعتاد ابو حيان ارتياده فلا يجئ ذكر علي في هذا المجلس حتى يبالغ هذا المتشـيع لعلي بمزايا علي ويبدأ بالرواية عنه والتحدث بأفضاله.

ويقول أبو حيان بما معناه : واني اردت ان ارغم انف هذا الرجل فوضعت هذه المراسلة ليكف عن التبجح بذكر علي وأفضاله ..(2).

وان مرور القرون الطويلـة على وفاة علي كان كافيا لينسـى العدو عداوته والحقود حقده،والموتوروتره ، ولكن الذين عادوا عليا. على ما يبان. لم يستطع مرور الزمن، ولم تستطع الثقافة والعلم ان تغير ما بأنفسهم.

1- شرح ابن ابى الحديد:.597.593/2

2- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني، في باب الكني

إن مثل هـذه الوسائل والأساليب من الـدعارة والترغيب وهي بيد أعداء اقوياء واذكياء وأشداء وقد أوتوا من القدرة ما أوتوا، إذا لـم تسـتطع أن تجتث اسم الشـخص من الوجود فإنها لتسـتطيع أن تجعله خيرا من الأخبار، ولكن عظمـة علي كانت كالشـمس، هكـذا وجـدت، وهكذا ستبقى، إذا حجبهـا الضـباب أو السـحاب أو الغبـار مرة فإنهـا لا بـد طالعـة، ولن تطبق الحوال – وإن عظمت . ان تجبها نهائيا عن العيون، والأفكار، والعقول.

على ان الترغيب بمجموع وسائله، والدعاية بمختلف أساليبها لـم تكن وحدها السـلاح الذي شهر في وجه علي وأولاده واشياعهم واتباعهم، وإنما نال عليا واولاده الصالحين من سـلاح (الترهيب) أكثر مما نالهم من سـلاح (الترغيب)، ولكن عظمـة علي التي لا تجاريها عظمة في التاريخ بعد عظمة النبي صلى عليه وآله قد تحدث اساليب الترهيب، كما تحدث أساليب الترغيب بمعجزة لـم يروا لنا التاريخ نظير لها.

(9)

الترهيب

يقول المسـعودي : وفي سـنة ثلاث وخمسـين قتل معاوية بن أبي سـفيان حجر بن عدي الكندي، وهو أول من قتل صبرا في الإسلام، وكان حجر هذا من الموالين لعلي ابن أبي طالب والمنكرين سـبه على المنابر، فحمله زياد من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة، وأربعة من غيرها، فأرسل لها معاوية برجل تلقاهم في الطريق فقال لحجر.

ص: 44

(إن أمير المؤمنين . يعني معاوية . أمرني بقتلك يا رأس الضلال، ومعدن الكفر والطغيان والمتولي لأبي تراب، ويقتل اصحابك إلا أن ترجعوا عن كفركم، وتلعنوا صاحبكم، وتتبروا منه).(1)

ففعل البعض وتبرأ خوفا، أما حجر وجماعته من كان معه فلم يفعلوا، وقال حجر: (ان الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعونا إليه، ثم القدوم على الله وعلى نبيه، وعلى وصيه، أحب إلينا من دخول النار). (2)

ثم نحر حجر بن عدي كما تنحر النعاج، والحق به من وافقه على قوله من اصحابه ..!! فمن ذا الذي يرى أو يسمع بمثل هذا المشهد ولا يرتهب ولا يتخوف من بطش أعداء علي وأولاده؟

ولقد كان من بعض فظائع الترهيب والتنكيل ان ارسل معاوية بن ابي سفيان بسر ابن ارطأة . وهو رجل تجاوز حدود القساوة، وانعدام الشفقة والمروءة – إلى الحجاز والى اليمن ليستأصل جذور جميع الموالين لعلي بن ابي طالب، وأمره بالفتك فيهم دون رحمة أو شفقة ، وقد جاء في شرح النهج عن ذلك ما يلي:

(إن معاوية قد بعث بسر بن ارطاة إلى اليمن في جيش كثيف، وأمره أن يقتل كل من كان في طاعة علي عليه السلام ، فقتل خلقا كثيرا، وقتل فيمن قتل ابني عبد الله بن العباس بن عبد المطلب).(3)

1- الأنوار العلوية ، جعفر النقدي : 468.

2- الأنوار العلوية ، جعفر النقدي: 418.

3- شرح النهج: 113 ط دار الكتب العربية.

والمعروف في التاريخ أن ابني عبد الله بن العباس كانا صبيين وقد قتلهما بسـر محض قرابتهما لعلي بن ابي طالب، فكيف ترى يستطيع أحد أن يجهر بحبه لعلي بعد هذا، وهو يرى أو يسـمع بمثل هذا القتل العام الذي يصـفه التاريخ بالخلق الكثير) ثم يرى أو يسمع بصبيين بريئين يقتلان صبرا لا لذنب إلا لأنهما قريبان لعلي بن ابي طالب !؟.

يقول جورج جرداق : وكان شعار معاوية : (أن لله جنودا من عسل)(1)، وهو يعني العسل الذي يداف بالسم فيقضي به على اخصامه.

بهـذا العسل قتل معاوية الحسن بن علي، وبالأموال العامة اشترى الناس، واصـطنع الأنصاروالمحاربين ، فإذا تأفف الناس من يزيد، وأبوا أن يبايعوه (مثلا) قال لهم متوعدا :

(اعـذر من انذر، أني كنت أخطب فيكم فيقوم الى القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس، فأقسم بالله لئن رد علي أحدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع اليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يبقين رجل إلا على نفسه)(2)

(10)

من ذا الذي يجرأ بعد هذا أن يقول شـيئا ومثل هذا التهديد يصك أذنيه؟ ثم من ذا الذي يستطيع أن يرفع صوته وهو يرى او يسمع منادي بني أمية بنادي بالخروج إلى قتال الحسـين في عرصة كربلاء ولا يخرج؟ وأي ترهيب يرهب به أعداء وأعداء أولاده الناس أكثر مما أنزلوا بالحسين وأولادهوأنصاره وعيالاته

1- شرح نهج البلاغه، ابن ابي الحديد:190/7 .

2- الإمام علي ، جورج جرداق: 215.

من التقتيل والمثلة بالقتلى على ذلك النحو من القساوة والفظاعة التي لم يرو لها التاريخ مثيلا في جميع أدواره؟

فلقد وقف الحسين يخطب جيش يزيد بن معاوية قبيل المعركة قائلا :

(.. أما بعـد فانسـبوني، وانظروا من أنا؟ ثم راجعوا أنفسـكم فعاتبوها، فانظروا هل يصـلح ويحل لكم قتلي. وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم وابن وصـيه، وابن عمه؟ أو ليس جعفر الشـهيد الطيار في الجنة عمي؟ أو لم يبلغكم قول مستفيض : أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي ولأخي: (أنتما سيدا شباب اهل الجنة، وقرة عين أهل السنة) فإن صدقتموني بما أقول – وما أقول هو الحق – والله ما تعمدت كذبا مذ علمت أن الله يمقت عليه، وان كذبتموني فإن فيكم من آن سألتموه عن ذلك أخبركم، سـلوا جابر بن عبد الله، أو ابا سعيد الخدري، أو سهل بن سعد أو زيد بن ارقم، يخبروكم أنهم سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله ، أما في هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمي).(1)

ثم واصل الحسين خطبته حتى قال :

(.. اخبروني، اتطلبونني بقتيل منكم قتلته ؟ أو بمال لكم استهلكته؟ أوبقصاص من جراحه ؟)(2)

فكان جواب القوم على تلك الخطبـة : ذلك الهجوم الذي سودوا به وجه التاريخ، والذي حملهم على ان يضـعوا سـيوفهم في رقبة الحسـين ورقاب أولاده وأنصاره، وما انجلى نهار ذلك اليوم حتى تساقطت اثنتان وسبعون جثة احتزوا رؤوسها، ومثلوا بها، وداست خيولهم صدورها، وصاح بهم صالحهم:

1- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: 62/4.

2- بحار الأنوار، المجلسي : 7/45.

(احرقوا بيوت الظالمين) فإذا بالنيران تلتهم مخيم الحسين ومخيم انصاره، فتفرالنساء والأطفال مذعورين لا يعرفون إلى من يلتجئون، ويمن يحتمون وتساق عيالات الحسين سبايا، ويطوفون بها المدن والدساكر، ورأس الحسين ورؤوس أولاده وأصحابه مرفوعة فوق الرماح ويمشهد من السبايا من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله!!

وحين وضعوا رأس الحسين أمام يزيد بن معاوية في الشام، وضعوه في طشت فجعل يزيد ينكثه على ثناياه بالقضيب وهو يقول:

نفلق هاما من رجال أعزة ***علينا وهم كانوا اعق وأظلما

من ذا الذي يرى هذه المشاهد أو يسمع بمثل هذا التقتيل والتنكيل والتفظيع بآل علي ولا يأخذ منه الخوف والهلع مأخذه؟ ثم كيف يستطيع اسم علي بن ابي طالب ان يظل لا معا وهذا بعض ما حورب به وحورب به أولاده من تلك الأسلحة الفتاكة لو لم يكن علي فذا، ولو لم يكن نسيج وحده بين رجال الدنيا؟

هذا مسلم بن عقبة أحد صنائع يزيد بن معاوية وهو مخلوق مسمم الطبيعة، في مسلاخ إنسان – على حد تعبير العقاد – وقد بلغ الغاية في التنكيل بأنصار علي وأنصار ابي عبد الله الحسين، وكان على ما وصف المؤرخون : (أعور، أمغر، ثائر الرأس، كأنما يقلع رجليه من وحل إذا مشى).

وقد بلغ من ضراوته بالشر وهو شيخ، فان، مريض : أنه أباح المدينة في حرم النبي صلى الله عليه وآله: (أباحها ثلاثة أيام، واستعرض أهلها بالسيف جزرا كما يجزر القصاب الغنم، حتى ساخت الأقدام من الدم ..!!وقتل ابناء المهاجرين ،

ص: 48

والأنصار، وذرية أهل بدر، وأخذ البيعة ليزيد بن معاوية على كل من استبقاه من الصحابة والتابعين على أنه عبد قن لأمير المؤمنين..!!).(1)

وانطلق جنـده في المدينة الى جوار قبر النبي يأخذون الأموال ويفسـقون بالنساء ..!! حتى بلغ القتلى في تقدير (الزهري) سـبعمائة من وجوه الناس وعشرة آلاف من الموالي!.

ثم كتب إلى يزيد يصف له ما فعل وصف البطل الظافر المتهلل بعد كلامطويل يقول:

(.. فأدخلنا الخيل عليهم .. فما صـليت الظهر- أصـلح الله أمير المؤمنين - إلا في مسـجدهم: بعد القتل الذريع، والانتهاب العظيم (كذا) وأوقعنا بهم السـيوف، وقتلنا من اشرف لنا منهم، واتبعنا مدبر هم!! واجهزنا على جريحهم (كذا) وانتهبناها ثلاثا كما قال أمير المؤمنين . أعز الله نصـره . وجعلت دور بني الشـهيد عثمان بن عفان في حرز وأمان، والحمد لله الذي شـفا صدري من قتل أهل الخلاف القديم، والنفاق العظيم، فطالما عتوا، وقديما ما طغوا.

اكتب هـذا إلى أمير المؤمنين وأنـا في منزل سـعيد بن العـاص مـدنها مريضـا مـا أراني إلاـ لأبي، فما كنت أبالي متي مت بعـد يومي هـذا 90(2)؟؟!!

ويقول العقاد في تعليل هذا الحقد:

(11)

1- شرح نهج البلاغة :259/2.

2- الإرشاد : 227 ، مروج النهيا: 65/2، أبو الشهداء:

(وكل هـذا الحقـد المتأجـج في هذه الطوية العفنة إنما هو الحقد في طبائع المسـخاءالشائهين .. يوهم نفسه انه الحقد من ثأر عثمان أو من خروج قوم على ملك يزيد).

وكان هذا الحقد منصـبا على علي بن ابي طالب وأولاده وانصاره، وقد ذهب الكثير منهم ضـحية تلك القساوة والضراوة سواء في الحجاز، أو اليمن أو العراق الذي كان نصيب علي وأولاده وأنصاره من التنكيل فيه من أكبر الأنصباء .

وعندما قتل زيد بن علي بن الحسـين في الكوفة خشـي أصـحابه من التمثيل به . كما خشـي آل علي من التمثيل يجسد الإمام علي من قبل أعداءه أن دفنوه علانية أو عينوا عند دفنه قبره – وكان الوقت ليلا، ولـم يعرف بعد القوم بسـقوط يزيد بن علي بن الحسـين قتيلا، فدفنوه في (نهر يعقوب) وكـانوا قـد سـكروا النهر، ثم حفروا له في بطنه قـبرا، دفنوه في ثيـابه ، ثـم أجروا عليه المـاء، ووشـى به الواشون فاسـتخرجه أعـداؤه الأمويون، وقطعوا رأسه، وصـلبوا جسـده، ثم أمروا بحراسـته لئلا ينزل، فمكث يحرس زمانا وبعث برأسه إلى هشام بن عبـد الملك، فأمر به فنصب على باب مدينة دمشق ثم ارسل به إلى المدينة، ثم حمل الى مصر فنصب بالجامع، حتى سرقه أهل مصر ودفنوه.(1)

وحين ولي الوليد الحكم كتب الى عامله في العراق وكان يوسف بن عمرالثقفي يقول له :

(إذا أتاك كتابي هذا فانظر عجل العراق – يعني به جسد زيد بن علي – فأحرقه ثم انسـفه في أليم نسفة). وقد نفذ يوسف بن عمر، وأمر خراش بن

1- اعلام الزركلي (زيد بن علي) : 59/3.

خوشب: (فأنزل زيدا من جذعه، وأحرقه بالنار، ثم رضه فجعله في قوصرة ، ثم جعله في سفينة ثم نراه في الفرات). (1)

فأية حادثة من حوادث التاريخ روت فظاعة أشد وأقسى وأنكى من فظائع اعداء علي وأعداء أولاده، ومشايعيه، ومن هم الذين انفردوا في التاريخ بالوان التنكيل وبشاعة الجرائم غير هؤلاء الذين عادوا عليا وعادوا أولاده ؟ فهل لو كان قبر الإمام علي معروفا في أول أمره أكانوا يتجاوزون عنه ويتخلون عن نبشه؟

(12)

وكتب هشام إلى عامله بالبصرة وهو القاسم بن محمد الثقفي أن يشخص كل من في العراق من بني هاشم الى المدينة خوفا من خروجهم، وكذلك كتب الى عامله في المدينة بأن يحبس قوما منهم، فقال الفضل بن عبد الرحمن من قصيدة طويلة له نورد بعضها كنظرة عابرة لبعض ما لقي العلويون من أعدائهم من التنكيل فيقول الفضل من بعض ما يقول وقد أوردها ابن أبي الحديد كلها في الشرح:

كلماحدثوا بأرض نقيقا***ضمنونا السجون أو سيرونا

اشخصونا إلى المدينة اسرى*** لأكفاهم ربي الذي يحذرونا

قتلونا بغير ذنب اليهم*** قاتل الله أمة قتلونا

جعلونا ادنى عدو إليهم*** فهم في دمائنا يسبحونا

أين قتلى منابغيتم عليهم ***ثم قتلتموهم ظالمينا

1- . تاريخ الأمم والملوك ، الطبري:38/5

ارجعوا هاشمأوردوا أبا ***اليقظان وابن البديل في آخرينا

وارجعوا ذا الشهادتين وقتلي*** انتم في قتالهم فاجرونا

ثم ردوا حجرا اصحاب حجر ***يوم انتم في قلتهم معتدونا

ثم ردوا أبا عمير وردوا ***لي رشيدا وميثما والذينا

قتلوا بالطفوف يوم حسين ***من بني هاشم وردوا حسينا(1)

ويستمر الفضل في قصيدته ويذكرهم بقتلى كربلاء، ومسلم بن عقيل،وزيد بن علي وغيره.

والعلويون يترفعون عن الانتقام اذا ظفروا بخصومهم وكانوا يترسمون خطى جدهم علي بن ابي طالب في الحلم والعفو والصفح عن شاتميهم ومضطهديهم، وقاتليهم مما اتصف به علي فكان ذلك من بعض سجاياه الخالدة التي يضرب بها المثل والتي يعود بعض سر خلود علي في الزمان إليه.

لقد قرأت – ولا أتذكر أين – ان احد خلفاء بني أمية ويغلب على ظني أنه عمر بن عبد العزيز قد بلغه بان هشام بن اسماعيل عامل بني أمية على الحجاز كان يختلق الحجج لإيذاء آل البيت ولا سيما إيذاء علي بن الحسين عليه السلام فعزله الخليفة وأمر بأن يوقف فيمر به من كانت له شكوى ليسجلها، ودعي الإمام علي بن الحسين وهو أكثر من لقي من آل البيت من ظلم هذا العامل واضطهاده – وطلب منه أن يمر به ويعدد ما اصابه منه فمر بناء على اصرار أوامر الخليفة ، لقد مر على هشام بن اسماعيل الظالم القاسي ونظر إليه ولكنه لم يكلمه، ولم يذكره بظلمه، حتى ولم يشر ولا بإشارة صغيرة إلى ما فعل هذا العامل به وبال

1- الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي: 233/1.

الرسول حتى إذا ابتعـد الإمام علي بن الحسـين عنه ، والعامل واقف وقفة الذليل الصاغر صـرخ ورأى اعراضه وعدم الوشاية به صـرح بأعلى صوته : (الله اعلم حيث يجعل رسالته).

ومن أحسن من وصف اخلاق العلويين وصور سجاياهم كان دعبل الخزاعي الذي يقول عنه :

ألم تراني منذ ثلاثين حجة ***أروح وأغدو دائم الحسرات

أرى فيأهم في غيرهم متقسما*** وأيديهم من فينهم صفرات

إذا وتروا أمدوا إلى أهل وترهم ***أكفا عن الأوتار منقبضات

بنات زياد في القصور مصونة*** وبنت رسول الله في الفلوات

هكذا كان وترهم إذا وتروا يمدون الى واترهم أكفا لا تعرف الحقد والانتقام.

(13)

وفعـل المنصور بـالعلويين مـا فعـل، وقـد روى التاريـخ عن بطش المنصوربأولاد علي ابن ابي طالب ما تقشـعر له الأبـدان لشـدة الفتك ، وضروب القتل، وأنواع السجون في المطامير وبطون الأرض التي يحبس فيها هؤلاء ، يقول محمد علي الطاهر :

(كان المنصور يحبس المتهمين السياسـيين من آل البيت النبوي في مطامير، ويقيدهم بالحديد، ويضـربهم ويكسـر اعضاءهم، ويجلدهم، ويفقـأ عيونهم، وكـانوا لا يرون النور لا نهارا ولا ليلا، بل كانوا يعرفون الوقت بمرور زمن قراءتهم أحزاب القرآن ... وكان المنادي ينادي من حين إلى آخر بين هؤلاء

المساجين : هاتوا أحدكم لنقتله فيتسابقون على الموت ، راجع كتاب تاريخ الطبري : ج9.(1)

وقد فعل المنصور ببني الحسن بن علي خاصة اقسى ما يفعله الوحش الهائج، على أن للوحش الهائج حدودا لهياجه وضراوته، أما المنصور فلم يعرف التاريخ لوحشيته حدودا حتى مات، فقد أخذ من العلويين مشايخهم مثل عبد الله المحض(2) بن الحسن بن علي بن ابي طالب – وكان هذا شيخ الطالبيين في عصره – وأخذ بنيه ، وأخوته، وبني أخوته سادات بني الحسن وسجنهم، وقتل عدة منهم في الحبس، ومات الآخرون في حبسه(3) وقد روي أنه خرج حاجب المنصور مرة فقال : من كان على الباب من بني الحسن فليدخل، فدخل مشايخ بني الحسن، فعدل بهم الى مقصورة، ثم ادخل الحدادين، من باب آخر فقيدهم وحملهم إلى السجن وحبسهم حتى ماتوا في حبسه بالكوفة.

ومن غرائب ظلم المنصور : أن رجلا من بني الحسن جاء حتى وقف على المنصور، فقال له المنصور:

ما جاء بك؟

قال : جئت حتى تحبسني عند أهلي فأني لا أريد الدنيا بعدهم.. فحبسه معهم، وكان ذلك الرجل علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب، وكان من أحسن الناس صورة .. كان يسمى (الديباج الأصفر) لحسنه وجماله، فأحضره المنصور وقال له :

1- تاريخ الطبري: ج. 2.

2- الأصل المحظى والصواب ما أثبتناه .

3- مقاتل الطالبيين لابن الفرج الأصفهاني : 178.

انت الديباج الأصفر؟

قال : كذا يقولون..

قال المنصور : لأقتلنك قتلة لم اقتلها أحدا..!!

ثم امر فبنى عليه اسطوانة وهو حي فمات فيها.(1)

هـذا مضافـا لملاحقـة المنصور (للنفس الزكيـة) وقتله اياه، وملاحقته ابراهيم بن عبـد الله ، والمئات من مشاهير السادات العلويين الـذين لاحقهم بنو العباس وشـردوهم في الأصـقاع، وقد اضطر الكثير منهم إلى التخفي في القرى النائية والقبائل البعيدة، وتغيير أسمائهم وبزتهم وهيأتهم، وحشـر أنفسـهم بين الطوائف المسـيحية، والتظاهر بدين غير دينهم، إيغالا في التستر حتى لم يبق اليوم من أبناء أولئك المتسترين من يعرف تاريخ أسرته إلا القليل ومن هذا القليل من العلويين – على ما علمت . الشاعر اللبناني الكبير أمين نخله، ببيروت، ومنهم الأديب الوجيه : بديع هاشم بكفر شـيما، أما الذين افقدهم التشـريد حفظ لسانهم فلا يبعد أن يكونوا قد تجاوزوا العشرات أصولا للشجرة، والمئات والألوف فروعا لها.

(14)

يقول جورج جرداق وهو يشير إلى أبيات ابي العلاء المعري في (علي والحسين) عليهم السلام في حين قال المعري :

وعلى الدهر من دماء الشهيدين علي ونجله شاهان

فهما في أواخر الليل فجران، وفي أولياته شفقان

1- تاريخ الدول الإسلامية : 164.

ثبتا في قميصه ليجيء الحشر مستعديا إلى الرحمن يقول جرداق :

(وإني لا أرى من لوعة العاطفة في هذه الأبيات الثلاثة، ومما يختفي وراءها من ثورة الفكر والوجدان، ما هو حقيق بأن يجمع القول المتلوع الثائر في امتداد المأساة العلوية إلى مآسي انصار الحق الذين أوذوا، وجلدوا واضطهدوا ، وشردوا في المفاوز والفلوات ليموتوا جوعا، وبردة، ودفنوا أحياء، وصلبوا ، وأحرقوا مع ابنائهم وأخوانهم، أنفة منهم لأن يخونوا ضمائرهم، فيتبرأوا من الإمام علي أسوة بالعبيد، وينكروا شرف الخلق الإنساني الذي استشهد الإمام في سبيله.

ولكني أحس أن المأساة العلوية التي امتدت عصورا طوالا تحيا بهذه الأبيات الثلاثة مادة وروحا).(1)

ويقول السيد أحمد صقر الذي تولى شرح وتحقيق (مقاتل الطالبيين) لأبي الفرج الأصفهاني في مقدمته:

(ولا يعرف التاريخ أسرة كأسرة ابي طالب بلغت الغاية من شرف الأرومة، وطيب النجار، ضل عنها حقها . إلى أن يقول . وقد أسرف خصوم هذه الأسرة الطاهرة في محاربتها، وأذاقوها ضروب النكال، وصبوا عليها صنوف العذاب، ولم يرقبوا فيها إلا ولا ذمة ، ولم يرعوا لها حقا ولا حرمة، وافرغوا بأسهم الشديد على النساء والأطفال، الرجال جميعا في عنف لا يشوبه لين، وقسوة لا تمازجها رحمة، حتى غدت مصائب أهل البيت مضرب الأمثال في فظاعة النكال، وقد فجرت هذه القسوة البالغة ينابيع الرحمة والمودة

1- الإمام علي صوت العدالة الإنسانية : 361، جورج جرداق)

في قلوب الناس، وأشاعت الأسف الممض في ضمائرهم وملأت عليهم اقطار نفوسهم شجنا، وصارت مصارع هؤلاء الشهداء حديثا يروى، وخبرا يتناقل،وقصصا يجد فيه الناس ارضاء عواطفهم، وإرواء مشاعرهم فتطلبوه وحرصوا عليه).(1)

وقد استجاب الرواة والمؤلفون لنداء هذه الرغبة العارمة، أو لطلب المثالة بين الناس، فشرعوا يؤلفون أخبارهم، ويسطرون فضائلهم، ويديجون سيرهم، ويؤرخون مقاتلهم.

ومن هؤلاء العلماء : أبو مخنف المتوفي قبل سنة 170ه فقد ألف مقتل علي(2) و(مقتل الحسين).(3)

وألف نصر بن مزاحم المنقري المتوفى سنة 212 (مقتل الحسين).(4)

وألف الهيثم بن عدي المتوفى سنة 207 (اخبار الحسن ووفاته)(5) وألف الواقدي (مقتل الحسين) و(مقتل الحسين).(6)

وألف ابن النطاح (مقتل زيد بن علي).(7)

وألف الغلابي (مقتل علي) و(مقتل الحسين).(8)

وألف الأشناني (مقتل الحسن) و(مقتل زيد بن علي). (9)

1- . مقاتل الطالبيين ، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق أحمد صقر : 13.

2- فهرست ابن النديم: 126.

3- المصدر نفسه: 127.

4- فهرست ابن النديم: 137.

5- المصدر نفسه : 146.

6- المصدر نفسه : 144، ومعجم الأدباء :282/18.

7- المصدر نفسه: 156

8- المصدر نفسه : 119.

9- المصدر نفسه : 166

وألف عمربن شبه(مقتل محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن).(1)

وألف المدائني المتوفى سنة 225ه كتاب: (أسماء من قتل من الطالبيين).(2)

ثم جاء أبو الفرج الأصفهاني المتوفى سنة 356 فألف (مقاتل الطالبيين) أو (مقاتل آل أبي طالب) كما يسميه ابن النديم (3)وترجم فيه للشهداء من ذرية أبي طالب منذ عصر رسول الله صلى الله عليه وآله لا إلى الوقت الذي شرع يؤلف فيه كتابه وهو جمادى الأولى سنة 313ه .

وقد ترجم أبو الفرج الى حين هذا التاريخ لنيف ومائتين من شهداء الطالبين، وكلهم من سارة القوم، ومن الأئمة والوجوه، وأعلام الأدب والشعر، والعلم والفضيلة ممن قتلوا ظلما وعدوانا بسيوف الناصبيين لهم ولعلي البغضاء والعداوة.

(15)

وهنالك المئات من الشواهد على ما عملت الدعاية من جهة والتنكيل من جهة أخرى بعلي وأولاده لاجتثاث جذوره يجدها القارئ في جميع الكتب التي الفت قديما، والمئات من الشواهد في الكتب الحديثة التي الفت عن علي وأولاده ومآسيهم وما لقوا من أعدائهم من الاضطهاد ككتاب عبد الفتاح مقصود(4) وككتاب الشيخ عبد الله العلايلي،(5) وككتاب جورج جرداق،(6)

1- المصدر نفسه : 193.

2- فهرست ابن النديم: 192.

3- .148، ومعجم الأدباء

4- كتاب (الإمام علي بن أبي طالب)

5- كتاب (سيرة الإمام الحسين) 2.

6- كتاب (الإمام علي صوت العدالة الإنسانية)

وككتاب عباس العقاد(1)، وككتاب الشيخ محمود (أبو رية)(2) وكتب ألفت باللغات الأجنبية وعرضت لما اصاب عليا وآل بيته من التنكيل والاضـطهاد ، هذا مضاف إلى عدد لا يحصـى من الوان الفضائع التي ورد ذكرها كشواهد في عرض السـير والمقالات، ودواوين الشعر مما تضـمنت العجائب مما استخدمهخصوم علي ليطمسوا بذلك ذكره، وليمحوا آثاره، وليضللوا أفكار الناس فيه، وليشوهوا حقيقته، ولا يبعد أن يكون الذي اضاع التاريخ ذكره من الأساليب التي اتخذه خصوم علي لمحو اسمه والقضاء عليه كان كبيرا ولم يتسن للمؤرخين ثبته أو أنه قد أهمل ذكره عددا – ولاسيما الشعر منه – احتراما لمقام علي لما كان يتضمن من الشتائم النابية.

كل هذا وعلى ظل كما هو نفسا أزكي جميع النفوس بعد رسول الله صـلى الله عليه وآله ، وإنسانا تمثلت فيه كل عناصر الإنسانية لتخلده ما خلد الدهر مثلا للشهامة، والعفة، والرأفة، والحنان، والعدل، والأدب الذي ما عرف له نظير بعد أدب القرآن الكريم، ومثلا لعقلية جبارة حار في وصـفها الأقـدمون ولم تزل مبعث الحيرة في العصور الأـخيرة، وسـتظل هـذه الشخصـية موضوع بحث البـاحثين في ميادين الحكمـة، والفلسـفة والأدب إلى ما شاء الله ، والى نهايـة عمر البشـرية ، إذا كان لعمر هـذه البشـرية من نهايـة، وذلك لتعـدد جوانبها وتعدد نواحيها، واتساع آفاقها.

1- كتاب (عبقرية علي)

2- أضواء على السنة المحمدية ، أبو هريرة شيخ المضيرة

وإذا ما أغفل التاريخ برهة من الزمن – وقلما غفل بالرغم من عوامل الترهيب والترغيب – ولم يذكر التاريخ اسم علي عليه السلام قام هناك عشرات من أولاد علي عليه السلام في مختلف الأدوار ليذكروا الناس بعلي وبقيمته، وبجدودهم وقيمهم في حياة البشرية ووجود الإنسانية فيما يقدمونه للناس من سيرة تمتلك القلوب، وتأسرالأفئدة، وتضرب الأمثال للمدى الذي يستطيع الإنسان أن يبلغ من ذروة المجد فتعود الألسن تلهج بذكر علي، وتمجد أفضاله.

يقول عباس محمود العقاد (.. وإنك لتنحدر مع أعقاب الذرية في الطالبيين أبناء علي والزهراء مائة سنة ومائتي سنة وأربعمائة سنة، ثم يبرز لك رجل من رجالها فيخيل إليك إذا هذا الزمن الطويل لم يبعد قط بين الفرع واصله في الخصال والعادات، كأنما هو بعد أيام معدودات لا بعد المئات وراء المئات من السنين، ولا تلبث أن تهتف عجبا : إن هذه الصفات علوية لا شك فيها، لأنك تسمع الرجل منهم يتكلم ويجيب من يكلمه، وتراه يعمل ويجزي من عمل له، فلا يخطئ في كلامه ، ولا في عمله، تلك الشجاعة والصراحة، ولا ذلك الذكاء والبلاغ المسكت، ولا تلك اللوازم التي اشتهر بها علي وآله وتجمعها في كلمتين اثنتين تدلان عليها أوفي دلالة وهما (الفروسية الرياضية ، طبع صريح، ولسان فصيح، ومتانة في الأسر يستوي فيها الخلق والخلق، ونخوة لا تبالي ما يفونها من النفع إذا هي استقامت على سنة المروءة والإباء).(1)

هذه الشخصية . شخصية الإمام علي – التي تحدث الزمن ، وتحدثت كل الوسائل الفعالة التي يكفي أن يغتر بعض مفعولها حقيقة الأمم وواقعها، ويبدل مجرى التاريخ وحقيقته، هذه الشخصية كانت ولم تزل ملء العين،

1- أبو الشهداء الحسين بن علي (عباس محمود العقاد): 51.52.

وملء القلب، والقـدرة المثاليـة عنـد ذوي الإدراك والعقول النيرة، والباحثين عن الإنسانية الكاملة في دنيا البشـرية، هذه الشخصـية التي لـم تكتف بأن (تصمد) وتثبت كالجبل أمام تلك الزعازع والعواصف والوعود والبروق التي نسجتها الدعابة بكل ألوانها واصنافها من وعد ووعيد وحسن جزاء ، وصب نقمـة، بلاصـبحت مبعث الحيـاة ومأمـل الأمل على رغم تلك الحروب التي شـنت عليها – حتى الفت فيها الكتب، ووضـعت عنها الـدراسات، ونقلت عنها الشواهد والأمثلة، فكانت نبراسا يهتدي به التائه في ظلمات الدنيا، واسـتوى الباحثون في حقيقتها، والمتتبعون لآثارها، والذائبون فيها: الشـرقيون منهم والغربيون، العرب وغير العرب، المسـلمون وغير المسـلمين، ولـم يطلع على الناس يوم جديـد حتى يخرج علينا العلماء، والأدباء، والحكماء، والمؤرخون بكتاب جديـد يحمل فكرة جديدة عن هذه الشخصـية العجيبة المدهشـة التي ضربت أروع الأمثال لاسمى الأفكار في أسمى النفوس من دنيا البشرية، وعجز الدهر ان يزعزعها أو يغير شيئا من جوهرها.

وهـذا الكتاب الـذي اكتب مقدمته بطلب ملح وفي غاية الإلحاح من مؤلفه ، ومن الباذل في اخراجه، والناشـر له، هو واحد من الكتب التي يخرج علينا بها المؤلفون بين آونة وأخرى عارضين جانبا جديدا وفكرة جديدة عن شخصية الإمام علي الفذة.

وإنا إذ أقول أنه طلب مني أن أضع مقـدمته في كثير من الإلحاح إزاء شـدة الامتناع والاعتذار البادي مني أقول ذلك لا غرورا ولا كبرياء وإنما العلمي بمعجزي – وأقول هـذا عن يقين – في القيام بكتابـة كلمـة تصـلح ان تكون مقدمـة الكتاب يخص شخصـية هذا الإمام الفذ الخالد خلود الدهر، وعلى اني

اضطررت الى النزول على رغبتهم ولكني لم ازل واثقا بأني غير أهل لعمل مثل هذا .

وفكرة هـذا الكتـاب انبثقت . أول مـا انبثقت – من ذهن التاجر الوجيه السـيد هاشم شبر، حين علم بأن هنالك كتابا يكتبون آراء عن الإمام علي، ويؤلفون كتبا جديـدة عن جوانب جديـدة من حياة أمير المؤمنين عليه السـلام فتحول المادة والنفقات بينهموبين اخراج مؤلفاتهم إلى حيز الطبع وان من بين هذه المؤلفات مجموعة ضخمة ألفها الخطيب المعروف الأستاذ السيد جواد شبر أحد خطباء الدرجة الأولى للمنابر الحسينية.

والتاجر السـيد هاشم شبر من اسرة علمية عريقة تولى غير واحد منها زعامة دينية مرموقة في التاريخ القديم أمثال الحجة السيد عبد الله شبر، وفي التاريـخ الحـديث مثال العلماء الأعلام السـيد علي شبر في الكويت، والسـيد عباس شـير الذي جمع بين الزعامة الروحية والأدبية في البصرة وغيرهما.

والسـيد هاشم شبر، هاشمي علوي ، يشده إلى علي عليه السلام نسبه، وتولعه بسيرته، وإيمانه بمبادئه، فعرض على الخطيب جواد شبر مبلغ الف دينار كثمن التأليفه للكتاب المذكور كما عرض استعداده لدفع جميع النفقات التي يقتضيها طبع مؤلفه هذا واخراجه اخراجا لائقة.

والخطيب جواد شبر نفسه فرع من هذه الشجرة الشبرية، والأسرة التي تعددت مزاياها، التي عرف البعض من أفرادها بالإيثار على انفسهم في كثير من المواقع فلا عجب ان اعتـذر عن قبول هذا البذل لنفسه بدافع ذلك الإيثار وراح يشـير على السـيد هاشم بان يقيم بهذا المبلغ الذي خصصه : مسابقة

تستهدف الكتابة عن شخصية الإمام علي عليه السلام شي ان يستثني الخطيب جواد شبر نفسه من دخول هذه المسابقة !!

ولقيت هـذه الفكرة ترحيبا من لـدن السـيد هاشم شبر ، وألفت لجنة من كبار رجال العلم للنظر في مؤلفات المتسابقين والداخلين في حلبة السباق فأحرز هذا الكتاب الجائزة الأولى.

ومؤلف هذا الكتاب هو الأسـتاذ سـليمان كتاني من بسـكتنا بلبنان لا أشك أنهمجبول من تلك الطينة التي يعنيها مزاج الإنسانية من الوجود كله، هـذا المزاج الذي يلذه حديث المآثر، وقصـص المروءة، وعزة النفس ، التفاني في الحق، وان مثل هذه الطينة المجبولة من هذا المزاج لا تسـتقر، فهي في بحث دائم واستقصاء مستمر عن هذه الخصائص بين الزعماء، والساسة، والحكماء ، والأدباء، حتى اذا عثرت على بغيتها كلا أو جزء تعلقت بها على قدر ما وجدت فيها من قابلية الجذب والاستهواء، ثم تأثرت بها روحا، واصبحت من اشياعها واتباعها فكرا بقدر ما يجيز لها مفعولها ومفهومها ومعتقداتها.

وهناك ما يؤيد عندي هذا الرأي عن طينة مؤلف هذا الكتاب ومزاجه، وولعه بهذه الصورة التي تجذب اليها الطيبين من النفوس الخيرة ، وإذا اضفنا إلى ذلك ملكته الأدبية التي تحبب إليه الأدب، وتحمله على التغلغل في بطون الكتب نشدانا عن تلك اللذة ، سهل علينا أن نعرف سر ولع سليمان كتاني بالإمام علي عليه السلام، وتتبع آثاره والتأثر بسيرته، قراءة وكتابة، وسهل علينا ان نستشف هذه الروح وهذه الملكة الأدبية من هذه الصـفحات المشـرقة التي دبجتها براعة الكاتب في اسـلوب – لا أعدو الحقيقة إذا قلت -إنه نسـيج وحده، وقد عني الكتاب بتسجيل انطباعاته وتصوير افكاره وماقد استخلصه من حياة

الإمام علي عليه السلام ما قاله فيه محبوه، وما قاله مبغضوه ، وما قاله الذين ليس لهم به صلة حب أو بغض ، وما قاله هو عن نفسه وما خلفه للناس ليقولوا فيه ما يشاؤون إن يقولوا حين يرجعون إلى ضمائرهم فيتخذون منها حكما.

بهذه الروح، وبهذا المزاج، وبدافع من الضمير الحي كتب سليمان كتاني كتابه هذا مصورا فيه أفكار أديب اجتذبه الإمام علي عليه السلام من هذه النواحي التي سيمر عليها القارئ بل سيقف عندها القارئ وقفة طويلة وفي شيء كثير من الإعجاب.

جعفر الخليلي

ص: 64

بسم الله الرحمن الرحيم

الى لجنة التحكيم في النجف الأشرف.

بواسطة أمين سر، العلامة الخطيب، السيد جواد شبر.

أقدم إلى لجنتكم الكريمة كتابي (علي بن أبي طالب متراس ونبراس) وانحني عند ذكر الاسم الكبير، لاستخفره عن كل تقصير قد يكون بدر مني عن غير قصد، إذ ليس لقلمي من القدرة أكثر من ذلك كي أمكنه من التطراف في العوالم الشاسعة التي تمكنت من أن تغوص فيها نفسية هذا الفذ من بعيد العباقرة .. ولكني رميت بالمحاولة، والنية الحلوة تجدوني على شغف، فجمعت على زندي بعض الخصل من تلك الرياحين لألقيها في هذه الباقة، عل النية الصادقة تسهل لها أمام هذا الماثل الكريم بعض القبول.

وإلى لجنتكم الكريمة أقدم شكري، إذ أتاحت لي سبيل الأقدم على المحاولة، أجلو بها نفسي مع أطيب واسخى من غرفته حتى الآن أجيال الإنسان.

بكل اخلاص

سليمان كتاني

ص: 65

الإهداء

إلى كل من يستهويه علي بن أبي طالب ..

في بطولة القسيم .. وفتح كوى النفس..

على الحق والخير والجمال ..

ص: 66

فاتحة

قلـة أولئك الرجال الذين هم على نسج علي بن ابي طالب .. تنهد بهم الحياة، موزعين على مفارق الأجيال كالمصابيح، تمتص حشاشاتها لتفنيها هدايا على مسالك العابرين.

وهم، على قلتهم، كالأعمدة تنفرج فيما بينها فسحات الهياكل، وترسو على كواهلها اثقال المداميد، لتومض من فوق مشارفها قبب المنائر.

وانهم في كل ذلك كالرواسي، تتقبل هوج الأعاصير وزمجرة السحب التعكسها من مصافيها على السفوح خيرات رقيقة رفيقة عذبة المدافق.

هؤلاء هم في كل آن وزمان، في دنيا الإنسان، اقطابه ورواده.

أنهم في حقول البحث والتنقيب مرامي حـدوده، وفي كـل خط ضارب في مهمـة الوجود اقاصـي جوامحها، وفي كل تيه ضوابط تلملم عن الشطط شوارده، وهم له في دجية الليل قبلة من فجر، وفوق كلاحة الرمس لملمة من عزاء .

من بين هؤلاـء القلـة يبرز وجه علي بن ابي طـالب في هالـة من رسالـة وفي ظل من نبوة، فاضـتا عليه انسـجاما واكتمالا كما احتواهما لونتا واطارا.

وهكـذا توفرت السانحـة لتخلق في أكلـح ليل طالت دجيته على عصـر من عصورالإنسان فيه من الجهل والظلم والحيف ما يصم ويذل .. رجلا تزاخرت فيه وفرة كريمة من المواهب والمزايا .. لا يمكن أن يستوعبها انسان دون أن تقذف به الى مصاف العباقرة.

ص: 67

فإلى علي بن ابي طالب اسوق بحثي هذا، تيمنا في طلب واستجابة لميل .. فيه من الاستئناس ما يشفي من نفسي بعض عليلها.

ص: 68

مناجاة

اصحيح يا سيدي أنهم بدل ان يختلفوا إليك اختلفوا فيك؟!

فمنهم من فقدوك وما وجدوك..

ومنهم من فقدوك ثم وجدوك..

ومنهم من وجدوك ثم فقدوك..

انه لعجب عجاب !!

اربعة عشر عمودا من اعمدة القرون، بساعاتها وايامها وسنيها ذابت كما تذوب حبة الملح على كف المحيط، ولما يذب بعد حرف من حروف اسمك الكبير، فكيف لهؤلاء ان يفقدوك ولا يجدوك ، أو يجدوك ثم يفقدوك ؟! ويا السخرية القدر؛ حتى هؤلاء الذين وجدوك كيف تراهم حدودك ؟!

ان الحرف الذي انزلقت عن شفتيك لا ـ يزال منذ اربعة عشر قرنا يأبى ان يتقلص في زمان أو مكان، لأنه عنك نور قيم الفكر واعتلاجات حقيقة الحياة .. وهي ابعد ان يحصرها اطار.

إن الحرف، منطلقا من بين شفتيك، ابي ان ينزل في نطاق، فكيف بك أنت إذحدودك بشورى تنحيك على امارة)،(1) أو ببيعة تصلك

1- . صير عمر الأـمر شورى بين ستة نفر من أصحاب رسول الله صلى عليه وآله و علي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص وقال: أخرجت سعيد بن زيد لقرابته مني فقيل له في ابنه عبد الله بن عمر قال حسب آل الخطاب ما تحملوا منها ، أما عبد الله لم يحسن بطلب امرأته رأمر صهيبا أن يصلي بالناس حتى يتراضوا من السنة بواحد واستعمل أبا طلحة زيد بن سهل الأنصاري وقال ان رضي اربعة وخالف اثنان فاضرب عنق الاثنين وان رضي ثلاثة وخالف ثلاثة فاضرب اعناق الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن وان جازت الثلاث ايام ولم تيراضوا باي احد فاضرب أعناقهم جميعا (تاريخ اليعقوبي: 160/2).

بخلافة؟![1]؟! وكيف تمكنوا من ان يحشروك بين بداية ونهاية؟.. فإذا قماطك قميص عثمان، وإذا لك على كف ابن ملجم دثار الكفن .

وكيف وجدوا تلك المقاييس فأخذوا يتلهون بها عنك وراحوا يقيسونك بها؟.. فإذا أن ريع القامة ،[2]لست بالطويل ولا بالقصير، عريض المنكبين تميل إلى سمنة وليس بالغليظ، وعيناك على دعج، عنقك كإبريق فضة .. لك ساعدان مفتولان ليس للسيف فقط، بل حتى لاقتلاع المزاليج.[3]

ثم كيف اقحموك بين المشاكل والأحداث فإذا بها تتلقفك كما تتلقف الحلبة مناجزة المتصارعين؟

تبتدا هكذا يوم الجمل بعرقبة (عسكر)[4] وجندلة (طلحة والزبير)،وتنتهي ب (صفين)، حيث تتحول المسرحية إلى مهزلة تختتم بمأساة .

ويصفه الإمام علي في خطبته الشقشقية هذه الشورى فيقول: (متى اعترض الريب في الأول منهم حتى صرت اقرن إلى هذه النظائر! لكني اسففت از اسنوا وطرت از طاروا فصغي لجل منهم لضغته وما الآخر لصهره مع هن وهن) (نهج البلاغة، تحقيق فارس حسون : 27)

1- يصف الإمام عليه السلام حال المسلمين في بيعته للخلافة: (فما راعني إلا والناس إلي كعرف الضبع ينشالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان، وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم، فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخرى وفسق (قسط) آخرون (نهج البلاغة ، تحقيق فارس الحسون: 38).

2- . صفته: كان عليه السلام ربع القامة ، ازج الحاجبين ، أدعج العينين انجل تميل الى الشهلة، كأن وجهه القمر ليلة البدر حسنا ، وهو إلى السمرة ، أصلع له حفاف من خلفه كأنه إكليل وكان عنقه إبريق فضة ، وهو أرقب ، ضخم البطن، أقرى الظهر، عريض الصدر، محض المتن، شثن الكفين ، ضخم الكسور، لا يبين عضده من ساعده قد ادنجت إدماجا، عبل الذراعين، عريض المنكبين، عظيم الشاشين، كمشاش السبع الضاري، له لحية قد زانت صدره ، غليظ العضلات، حمش الساقين (بحار الأنوار، العلامة المجلسي :2/35).

3- المزاليج: مغالق الأبواب الحديدية ، أو الصخور اللس.

4- الجمل الذي ركبته عائشة في معركة الجمل ضد الإمام علي عليه السلام

أهكذا نقشت على حدودك تخوم وحوط كيانك بسوار؟ .. وانت أنت الوسيم، ليس لدعج على عينيك، بل للهب في بصيرتك .. ولا لبهاء في طلعتك ، بل لصفاء في سريرتك .. ولا لغيد في عنقك، بل لجبروت في شيمك.

وأنت أنت البطل، صلب السيف والترس في كفيك، ليس لفتلة في زنديك أو لعرض في منكبيك ، بل لفيض رجح على اصغريك، ثم فاض على نهجيك.

وأنت أنت الناهج الأول، نسجت للدنيا قميصا على غير النول الذي حيك عليه قميص عثمان، وصغت للدين حساما كان من غير معدن سيف عشيق (قطام).(1)

وأنت أنت الذي ابتدأت الركيزة وشهقت بها، تطل على الدنيا فوق حدودها وفوق مداها، تحمل في يدك مصحف الرسالة، تلوح به على غير النمط الذي لوح به في (صفين) .. مشعلا يتجاوز وجه سنم الجمل ومجرى الفرات، ليعبر من مكة والمدينة ، ليس الى نفوذ الجزيرة وربعها الحالي وحسب، بل ليتجاوزها مع الشمس إلى حيث ينبزغ الشروق، والى حيث يرتطم الغروب.

لو أدرك الذين فقدوك، وحتى الذين وجدوك، أنت العملاق ولو بقامة قصيرة وان وجهك ولو من التراب هو من لون الشمس .. لما وصفوك، ولما صدقوا حتى اليوم انهم فقدوك.

1- عشيق قطام : يشير إلى عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين عليه السلام و اثناء الصلاة وكان قد اتفق مع قطام للزواج منها شريطة فتل علي بن ابي طالب عليه السلام.

مدخل

بهذه المناجاة أحببت أن أقرع الباب في دخولي على علي بن ابي طالب.

وأنا أشـعر بأن الـدخول عليه ليس أقل حرمـة من الولوج الى المحراب، وإني أدرك الصـعوبة في كل محاولة أقوم بها في سبيل جعل الحرف يطيع لتصوير هذا الوجه الكريم، لأن التصوير يهون عليه ان يلتقط بالأشـكال والأعراض، في حين يدق عليه ان يتقصـى ما خلف الاعراض من معان والوان.

علي بن ابي طالب هو بتلك الألوان اكثر مما هو بتلك الأعراض، وإنه عصي على الحرف بتصويره بقدر ما هو قصي عليه بمعانيه.

فهو لم يـات دنيـاه بمثـل مـا يأتيهـا العاديون من الناس ، جماعات جماعات، يأتي الناس دنياهم يقضون فيها لبانات العيش ثم عنها بحكم القدر يرتحلون لا تغمرهم بعد آجالهم إلا موجة النسيان .. أما هو، فلقد أتي دنياه، أتاها كأنه أتي بها .. ولما أنت عليه بقى وكأنه أتى عليها.

فإذا اكتفى الحرف فقط بأن يصروه في الفسحة التي هو بين مهده وحده ،فإنه يكون كالآلة، تأخذ مظاهر الأشياء دون بواطنها.

إن الفرق بعيـد بين الباطن والظاهر .. فعلي الـذي ولـد في مكة، وعاش سـتة عقود، ثم مات في الكوفة .. ليس عليا الذي تقمط الجزيرة ولا يزال يعيش في اربعة عشر قرنا دون أن يعرف خرقة الكف.

ص: 72

وعلي الذي رضي العيش بالأسمال(1) هو غير علي الذي رفض الحياة بالأسمال.

فإنه ما يقنع الحرف بهذا الشكل ان يصور، يجيء ابن ابي طالب انشف من كثيب في هجيرة، وتبقى مكة مسقط رأسه، ويظل النجف الأشرف مثوى الجثمانه، ويدم مكفكف بأسمال .. وبين الكثيب (2)والهجيرة، واحة تشتاقها النفوس على عطش، وبين مكة والنجف، واحات تضيء إلى اظلالها اجيال الإنسان، وفي تلافيف اسماله برود لا تلبس إلا في الجنان.

أما إذا كان ابن ابي طالب قد حصره التجوال لفترة قصيرة من الزمن بين البصرة والكوفة أو بين مكة والمدينة ، فإذا ذلك لم يمنع كونه ابدا ذلك العداء الذي كانت مواقع خطواته ابعد من محط رجال القوافل.

ومهما يصفه الساردون بأقلام تشط في معاييرها أو تتنزى بها الأهواء، فإن بطولته التي تغلب في سردهم على بطولة اصحاب الأساطير تبقى بطولة اضعف بكثير من حقيقته، لأنها من الذي تخيب في وصفه حروف الساردين .. لأن السرد الذي يتناول الأعراض دون أن ينفذ إلى مضامينها يبقى سردا يتعطش الى معناه كما تتعطش فوهة البئر الى مخازنها.

من هنا: أن كل قول في علي بن ابي طالب يحصره في مكان او زمان يبقيحديثا له قيمة السرد، ويبقى حروفا مقفلة لا تنفذ إليها الوان المعاني..

وما أكثر الأقلام التي تناولته بهذا النوع من السرد الكليل، فحصرته ضمن الحروف، ولم تتمكن من أن تطوف به في غير جو مكة، المدينة .. كأن

1- الأسمال : جمع سمل بالتحريك وهو الثوب الخلق البالي، (تحف العقول: ابن شعبة : 277).

2- الكثيب : التل من الرمل، الهجيرة : نصف النهار عند زوال الشمس من الظهر او من عند زوالها الى العصر..

مجاله البعيـد لا يمكن أن يتعـدى دائرة تصـطف عليها (بـدر) و (أحد) أو (خيبر) و صـفين) .. وكأن قوته لا اعتبار لها الا ان تكون من النوع الذي يأتي به مارد القماقم).(1)

وتاه هؤلاء الساردون از خلطوا بين القوة والبطولة، فاستبدلوابالوصف هذه بتلك..

والحقيقـة ، أن بطولته هي التي كانت من النوع الفريد، وهي التي تقدر ان تقتلع ليس فقد بوابة(خيبر) بل حصون الجهل برمتها، أن تتعاجف لياليها على عقل الإنسان.

كل ذلك لأخص إلى القول انه يكون من باب الفضاضة أن نربط عبقرية رجل كعلي بن ابي طالب بخيوط الأحداث التي بعثرها حوله ظروف كئيبة كما تبعثر الريح في الجو بعض الغيوم.

فالأحـداث التي مرت على جـانبيه لـم يكن له فيهـا ايـة ارادة، في الوقت الـذي لميكن لها في أي شأن في تغيير جوهر ذلك المعـدن الـذي انغلقت عليه شخصيته الفذة ، كالغيوم عينها التي تتغشى بها صفحة الفضاء لا يمكنها بحال من الأحوال أن تطفئ الشمس.

وبالتـالي : أن هـذا الأحـداث ليست غير اشـكال واعراض، ومهما تتكثف ومهما يكثفها المغرضون، فإن جوهر ابن ابي طالب يلبث خلفها كما تلبث الشمس خلف الغمام..

لذلك فإني أحاول أن أهرب قدر الإمكان من كل سود يتناول الأحادث بيبوستها، من حيث تسأم على حواشيها المعاني.

1- القماقم: القائم من القماقم السيد ويقال سيد قم اقم بالضم لكثرة خيره.

ولن أدخل محراب هذا السيد الجليل الا بإطراقة المجل، وصمت المتأمل واصغاءة المسترشد.

ولسوف اغلب على حديثي اليه صيغة الأناشيد ما يتمكن من ذلك قلمي، إذ ان للأناشيد نفحات لا يطيب حرفها إلا مع ذكر الأولياء.

واستميح لنفسي من علي بن ابي طالب عذرا ان لم أجد، فهو اجود المجيدين وأسخي العاذرين.

ص: 75

ركائز

من واقع التاريخ:

انه لمن باب اللزومات . والحـديث عن قطب من الأقطاب الإمام علي – ان يؤتى بلمحـة تاريخيـة خاطفـة عن الأرض التي ولـد فيها، وعن البيئة التي عايشها، وعن المناخ الحياتي الذي تأثر وجوده فيه ، وعن الأهداف والمثل التي من أجلها عاش وجاهد.

فكل ذلك يرتبط ارتباطا وثيقا بحياة كل فرد من أفراد الناس، لأن الإنسان إنما هو انعكاس الأرض والبيئة والزمان، ولا تبني شخصـيته إلا في إطار من ايحائاتها.

ان كون علي بن ابي طالب ابن الجزيرة العربية ألف وأربع مئة سنة خلت، يتطلب بسطا موجزا عن تلك الأرض التي كان فردا من أبنائها.

ص: 76

الجزيرة العربية

جزيرة العرب هي شبه قارة صحراوية تمتد على رقعة كبيرة مستطيلة من الشمال الى الجنوب بين بادية الشام والمحيط الهندي، ومن الشرق إلى الغرب بين الخليج العربي والبحر الأحمر وصحاريها تغطي القسم الأكبر منها وتعرف با النفود) و (الربع الخالي) و (الحرات)، وهي تجتازها في خط طويل يمتد من الشمال الى الجنوب.

أما غرييها، فهو يتألف من الحجاز في شماله، ومن اليمن في جنوبه.

والحجاز كان على طول الزمان يشكو الشحة في رزقه بنسبة ما يشح عليه هطول الأمطار.

ومن بعض مدنه (مكة) و (يثرب) وفي الآخرة (جبل أحد) و (خيبراليهودية)، وفيها حصنها المشهور.

مناخ الجزيرة حار على وطئة شديدة.

أما محاصيلها، فمن الماشية التي تعيش على المراعي نسبة المساحاتها أكثر مما هي بالنسبة إلى الخصب فيها، ومن التمر، ومن بعض الزراعات الخفيفة، ومن تجارة الأفاوية، التي كانت تجعلها تحتك وتنفتح على ما جاورها من الشرق والشمال.

أما سكانها فمن البدو الرحل.

ويكثر الظن أنهم كانوا منـذ الفجر الأول مصدرا لهجرات انسانية ، فاضت عنها الى ما حواليها من البقاع شـمالا وغربا، لتتأسـس منها، على التولي، مدنيات مختلفة، من البابليين(1)

والفينيقيين(2) ,والعرانيين (3)

ص: 78

1- . البابليين: النسـبة في كلمة «بابلى»إلى بابل التي ظهرت الحياة المستقرة فيها خلال الألف السادسة قبل الميلاد. وقد أسس السومريون درهم شـعب غير سامي) حضارة لها أبعادها في بابل، ثم استقرت فيها القبائل السامية وأولها الأكاديون الذين غزوها عام 3800ق.م تحت قيادة سـرجون الأول وتبنوا كتابتها وحضارتها. ثم استولى العموريون وهم ايضا قبائل سامية على الحكم، وشيدوا لأنفسهم إمبراطورية على ضفاف نهري الفرات ودجلـة في الجزء الجنوبي من سومر (العراق). وقـد حكمت أول اسـرة عمورية بابل في الفترة (1530.1830 ق.م)، وكانت بابل آنذاك عبارة عن دويلات صـغيرة في ماري وبابل وغيرها من المدن. ثم ظهر أعظم ملوكهم حمورابي في القرن الثامن عشـر قبل الميلاد حيث اشـتهر بمجموعـة القوانين المعروفـة باسـمه (شـريعة حمورابي) وهو الـذي وحدهـذه الدويلات وقام بأعمال معمارية مهمة (موسوعـة اليهود و اليهوديـة و الصـهيونية249/10) وقـد طـور البـابليون اسـتخدام العجلاـته في الحرب، وهو مـا ساعـد على أن تصـبح إمبراطوريتهم مترامية الأـطراف. وحققوا إنجـازات ذات شـأن في الفلك والرياضـيات، ومنهم اقتبس اليونانيون العلوم وطوروها. كما كانت إنجازاتهم المعمارية والفنية ذات أثر عميق في الحضارات المعاصرة لهم والتي أتت بعدهم، وقد تأثر العبرانيون بهذه المعارف بشكل عميق بعد تهجيرهم إلى بابل (موسوعة اليهود و اليهودية و الصـهيونية : 10/250)، ولنـة البابليين هي البابلية ، وهي اللهجة الجنوبية من لهجات اللغـة الأكاديـة. كما أن كتابتهم المسـمارية التي أخـذوها عن السومريين قـد أثرت في الآشوريين، وقـد كان لهم أدب ثري، وخصوصا في مجال الملاحم التي قد جلجامش من أهمها.)

2- . فئة من قبائل سامية عرفت بالكنعانيين نزحت عن شـبه الجزيرةالعربية في أواسط القرن الألف الرابع قبل الإسلام واتجهت نحو الغرب حيث اسـتقرت بجوار البحر المتوسط و غلب اسم بلا د كنعان على المناطق التي حلت فيها، والاغريق هم الـذين دعوا فئة منها بالفينيقيين. وفينيقيا منطقة ساحلية تمتد من شـمال (راس شـمرا) على الشاطئ السوري حيث جبل الكرمل في الجنوب وفي الشرق تحدها جبال لبنان الغربيـة اما الغرب فلها واجهـة بحرية عريضة كان لها الفضل في ازدهار الحضارة الفينيقية .. ويعتبر و يعتبر البحر الأبيض المتوسط المدى الحيوي الأـوسع لنشـاط الفينيقيين .. عن الساحـل الفينيقي خمسا وعشـرين مدينـة معظمها في الواقع قرى كبيرة أما أشـهرها فكانت جبال (جبيـل أو بيبلوس) رصـيدون (بكر كنعـان) وصور وأوغاريت وبيروت والمـدن الفينيقيـة قـد تكون جزيرة كأرواد أو تكون رأسا كبيروت، أو تنقسم بين الجزيرة والشاطئ المقابل لها كصور وصـيلون .. تاريـخ فينيقيا حقبات منقطعـة من الولاء إلى التمرد تخللها فترة من الاسـتقلال الفعلي بدأت من الألف الأول قبل الميلاد، واشاع المؤرخ اليوناني هيرودونس ان احد الفينيقيين واسمه (قدموس)

3- . العبرانيون : لاـ تتوفر بين أيـدينا معلومـات دقيقـة عن الجـذور التاريخيـة للعبرانيين ، و يرى بعض البـاحثين أن كلمـة «عبراني»أطلقها الكنعانيون على ابراهيم عليه السلام بعد دخوله أرض كنعان، ثم أصبحت من ألقابه، و سرى ذلك في أعقابه ، لأن العبراني من مادة لع ب ر) و تعني عبور النهر، باعتبـار أن إبراهيم عليه السـلام عـبر نهر الفرات في طريقه إلى أرض كنعـان، و يرى بعض آخر من البـاحثين أن عـبراني منسوب إلى عابر ، وهو اسم جدمن أجداده الأقدمين، و يقول آخرون إن إبراهيم ينحدر من عرف آري، انطلاقا من كون اسم أبيه أو عمه أزر، إلا أن الباحثين يسـتبعدون هذه النظرية، لعدم توفر معلومات عن المعنى اللغوي لكلمة آزر في القرآن الكريم و المصادر الإسلامية. جدير بالذكر أن اسم والد إبراهيم عليه السلام في التوراة هو تارح (دروس في تاريخ الاديان: 70/1).

أما حياة السكان فيها فقد كانت بالنسبة الى شح اقتصادها بدائية، من حيث انعكست هذه البدائية على نمط معيشتهم وكل نشاطاتهم الفكرية، ولم تظهر في هذا المجال، مع الأيام، أي تغير على أسلوب معيشتهم أو أي تطوير على نمطهم الفكري إلا بالنسبة لما كان يتسنى لهم من احتكاك بتلك الهجرات التي صدروها هم أنفسهم بحيث أصبح ذلك ميسورة لهم، فأخذوا يقتبسون عنهم من كل ما حصلوه وأنشأوه.

ولم تكن معيشتهم البدوية، الضعيفة الاقتصاد، والمفتوحة على طول هذه الرقعةالمحروقة والشاسعة، لتوفر لهم تلك اللحمة الحياتية التي تنشأ في حضن المجتمعات الغنية المتراصة، فعاشوا قبائل قبائل، يغيرون على بعضهم البعض في سبيل سد ما ينقصهم من تأمين العيش، وهذا ما كان يسمى في جاهليتهم ب(الغزو). (1)

ابتكر حروف الهجاء ونشرها اثناء انتقاله نحو الغرب، ويضيف بأن أبجدية قاموس اقتصرت على ثمانية عشر حرفا اكملها من بعده احد الاغريق واسمه (بالا مينوس) ..(الحضارات، لبيب معبد الستار : 74، دار الشرق بيروت ، ط16، 2003).

1- . وهذا ما بينته الزهراء في خطبتها اذ قالت: تصنف العرب قبل الإسلام وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها مقذقة الشارب ولمزة الطامع، دقية العجلان، وموطاة الأقدام ، تشربون الطواق وتقتاتون الق، أذلة خاشعين تخافون ان يتخطفكم الناس من حولكم)، (السقيفة وفدك، الجوهري:143).

ونتـج لهـم من ذلـك مجتمع مشـرد ومفسـخ، لاـ يشـدهم إليه ذلـك الولاء المفهوم لـدى المجتمعات العريقـة .. ظاهرة كهـذه ترافق دائما المجتمعات الضعيفة الاقتصاد.

أما قبائلهم التي كانت تجمع وحـداتهم المتعـددة، فهي كانت مظهرة بارزة من مظاهر حياتهم الاجتماعية ، يربطهم بها وحدها ذلك الولاء المنشود لينشأ من ذلك تكريس دائم لمنافسات ومطاحنات تقلل على توالي الأجيال قيمـة المجتمع الأكبر الذي لا يزال يسـمى ب (جزيرة العرب).

ورافقت ذلك عقليـة ذكيـة ولكنها سـطحية بالنسـبة لعـدم توفر المؤهلات التي يمكن للعقل أن يغرف منها ما يروضـها ويجعلها قوة فاعلة، وكنتيجة معكوسة، برز مجتمع هزيل بكل مقوماته الفكرية ، غني بنزعاته الفردية.

و(القحطانية) و (العدنانية) لا تزالان الدوحة الكبيرة التي تتظللها النزعات القبيلية بكل ما تفرع عنها من (كهلان) و(حمير)، أو من (ربيعة) و مضـر)، أو ما تشـعب عن هـذه من (طي) و (همدان) و (مذحج) و (قضاعة)، أو تلك من (أسد) و (وائل) و (بكر) و (تغلب) .. إلى آخر ما يتفرع من شجرة الأنساب ، ن حيث تختصر باربيعة) و(مضر) و(اليمن).

أما عباداتهم، فإنها كانت محصورة ببعض الآلهـة ، ك (مناة) و (العزي) و اللات) و (هبل) .. أصـنام جمعتها مكـة تحت سـتائر الكعبة، لـم يكونوا اليحيروها كثير من الأهمية، بالنسبة لعدم انصرافهم الفكري نحو الفلسفات التي لا تخصب في المجتمعات المختلفة في اقتصادها.

ص: 80

غيران هـذه الحالـة الـتي كـانت تسـيطر على الجزيرة لم تحرمهـا من بعض المـدن التي ازدهرت فيهـا بعض التجـارات، من حرث رفعت اقتصادها وميزتها عن باقي اجزاء البلاد.

ومن بين هذه المدن الواقعة على خط تجاري مهم (مكة) مهبط رأس الرسول، ومهبط رأس علي بن أبي طالب.

ص: 81

ولادة النبي

وجاءت ولادة محمد، فكانت بداية ونهاية .. بداية لعهد جديد، ونهاية العهد عتيق.

والواقع أن الجزيرة في غيابها الطويل عن الساحة التي بثبت فيها الإنسان وجوده كإنسان، قيظ لها أن تستقبل في هذا المضمار ولادة عجيبة لرجل عظيم سينهج في مجالات الفكر نهجا يعوض عن الركود الطويل الذي غمرها. أي الجزيرة – طيلة أجيال بليله الدامس.

ومن واقع الأرض عينها قدم الرسول العظيم رسالته الكبيرة، ليكون فيما بعد للجزيرة دين ودستور يشدانها الى مناهج الإنسان المفكر، ويختلفان لها مدنية مماثلة للمدنيات التي تحيط بها من الشرق ومن الغرب .. ويرفعان بالتالي مجتمعنا من انحطاط القبلية التشردة الى مستوى الوحدة المتمددة ، من حيث تثبيت على اساس من الاقتصاد المولد المولد، تحت رعاية الحق والعدالة

والمساواة.

في ظل النبي الكريم ترعرع علي بن ابي طالب، ولم يكد يفتح عينيه على الرسالة المطروحة بين يديه حتى امتصها بنهم الجائع،(1) مستوعبا كل معانيها واهدافها في خطوطها القصيرة والطويلة على السواء، واصبح منها وأصحبت منه، بأمتن ما تكون من الصلاة، واعتبرها خشبة الخلاص لشعب يفككه

1- يقول الإمام عليه السلام: وقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القرية والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وأنا ولد يضمني الى صدره و يكنفني من فراشه، و يمسني جسده، ويشمني عرفه. (نهج البلاغة: 157/2).

اقتصاده الهزيل، ويلقيه في بؤرة من التقاليد القديمة الساذجة ويبعده عن محارم العقل السليم والقيم.

لا شك في أن الصدف كانت سخية .. إذ وافق أن جاء ابن ابي طالب في وقت كان من ألمع السوانح التي اختطفتها اجواء الجزيرة.

فاحتضان النبي ، هذا العقل المجنح، رجلا ثانيا هو علي بن ابي طالب قطب آخر من أقطاب العقل البشري، كان بالنسبة للجزيرة حظا مزدوج النتائج، لأنالرجلين جاء في وقت واحد، وكأن الثاني إنما جاء لتكملة الأول .. فكان هالته وكان اطاره.

وبالحقيقة، فإن ابن ابي طالب، ذلك العقل النير المولد، لم يستبعد، باحتكاكه الدائم بابن عمه الرسول، عن ان يكون المساعد الأول المستشار الأجل في كل ما كان من شأنه أن يصون الرسالة الجديدة ويمهد لها سبل نجاحها .. إن في الوقت الذي يجب أن تظهر فيه ام في الكيفية التي يلزم أن تؤدى بها، وكان بالوقت نفسه ذلك المناضل الجسور والبطل المقدام في دفاعه عنها، دفاع المؤمن الراسخ بصحتها وصدق مفعولها.

كان ذلك في سبيل الجزيرة اولا .. ومن ثم في سبيل الرسالة نفسها بصفتها ستصبح – بدون شك – رسالة الجزيرة للإنسان حيث يوجد إنسان.

وليس الذي يبشر في صحة ما يقول إلا وهو أول من ينعكس عليها قيمة ما يقول.

والرسالة التي بشر بها ابن أبي طالب، بعد أن ساهم في نحتها وتأديتها وأخراجها والذود عنها، كان يحمل من كل كلمة منها معانيها بنوع انها انعكست فيه تلك المعاني انعكاسا صادقا وملازما له في كل أقواله وأعماله

ومخططاته القريبة والبعيدة، وأخذ يطبقها نهجا دائما لحياته ليكون لها قدوة حية الغيرة .. في سبيل تحضير مجتمع فاضل، يعتمد الشخصية الإنسانية الملقحة بالفضائل كأساس متين يضمن له صحة العقل وصحة النهج وصحة الاستقرار.

ان بناء شخصية الإنسان بالعقل والمناهج والمناقب كان أبرز ما أخذ ابن ابي طالب يعول عليه في سبيل تطوير حياة الجزيرة.

ولقد بدأ بنفسه.

ومن هنا قيمة الرجل العظيم.

أقول (بـدأ) ولست اعني (حـاول) .. فـإن المبادئ التي اعتنقها كان أصـيلة فيه، فلقـد مرت، قبل طرحها على الرأي العام، على عقله، هكـذا أوحاها واقع الجزيرة، وهكذا اقتبلها واقعة العقلي والعلمي.

ان الجزيرة التي كانت تشـكو التخمة بفسـحة ارضها كانت تشكو المجاعة إلى شخصية الإنسان التي يمكنها ضبط مجالاتها، وكانت تشكو المجاعة الى مجتمع انساني تعززه الشخصية الفاهمة.

ان هـذه الشخصـية المنشودة قـدمت لها الرسالة الجديدة كل ملابسـها، وها هو ابن ابي طالب يفصل منها كل ثيابه، ويتقدم بها زيا وطرازا، ليعرضها على بني قومه ، ليكون لديهم في قدوة العارض .. لبسها في تفهمه للدنيا وفي تفهمه للآخرة ، فكان زهده بالأولى طريقا الى الثانية.

البسها بهذا العقل المولد والمستنير، فكان قوة وإرادة وشجاعة وبطولة ومثالا يحتذى.

عرضـها واختال بعرضـها، غير آبه بكل الصـدمات التي سـتقابله بها عقلية الجزيرة العتيقة ، بكل قحطانيتها وعدنانيتها المتسلسـلة حتى آخر مواليدها.

ولم يشعر قط بان الخيبة ستكون من نصيبه ، لأنه كان يرى الأشياء بمجالها الطويل، وان الذي يقدمه اليوم سوف يتعدى فسحة عمره .. لهذا قدمه مجردا من كل مساومة، في سبيل بناء هذه الشخصية .. قدم ابن ابي طالب جهود عمره مثبتا أن العقل هو كل ما في الوجود الإنسان).

(1)

ص: 85

1- وَ قَالَ (عليه السلام): لَا غِنَى كَالعَقلِ وَلَا فَقرَ كَالجَهلِ وَلَا مِيرَاثَ كَالاَدَبوَ لَا ظَهِيرَ كَالإمُشَاوَرَة (نهج البلاغة، محمد عبده : 14/4).

علي بن أبي طالب في إطار تاريخي

هو علي بن ابي طالب بن عبد المطلب، ابن عم الرسول محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب الهاشمي.

اصاب الجزيرة قحط انهك العائلة الكبيرة، فهب محمد يخفف العبء عن كاهل عمه، (فالحق عليا بأسرته).(1)

ربي علي وترعرع في كنف ابن عمه.

في هذا الوقت كان محمد يتقبل الوحي عن فم جبرئيل في غار حراء.

وكان أول من يشهد ولادة الرسالة الجديدة،(2) وفي سن مبكرة، بين التاسعة والعاشرة، اصبح مقتنعا بصحة الدين الجديد.

كان باكرا النضج، قوي البنية ، حاد الذكاء ثاقب النظر، شجاعا، ملما بدرجة عالية بالعلوم .. وترك اثرا كبيرا بعده في كتاب (نهج البلاغة)..(3).. طرحت الرسالة على الرأي العام مبشرة بالتوحيد.

1- إن قريشا اصابتها ازمة وقحط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله العميه حمزة والعباس : ألا تحمل ثقل ابي طالب في هذا احل، فجاؤوا إليه ويسألوه أن يدفع إليهم ولده ليكفره امرهم ، فقال : دعوا لي عقيلا وخذوا ما شتم، وكان شديد الحب لعقيل، فأخذ العباس طالبة وأخذ حمزة جعفرا، واخذ محمد صلى الله عليه وآله و عليا، وقال لهم قد اخترت ما اختاره الله لي عليكم عليا ، قالوا : وكان علي في حجر رسول صلى الله عليه وآله و منذ كان عمره ست سنين ، وكان ما يسدي إليه من شفقته و إحسانه و بره وحسن تربيته كالمكافأة والمعارضة صنيع ابي طالب به حيث مات عبد المطلب وجعله في حجره (بحار الأنوار، المجلسي : 254/38).

2- ، علي أول من أسلم (تاريخ الطبري:22/2)الكامل لابن الأثير: 22/2)، روى ابو ذرعة الدمشقي وأبو اسحاق الثقفي في كتابيهما انه قال أبو بكر : يا اسفي على ساعة تقدمني فيها علي بن ابي طالب عليه السلام و فلو سبقته لكان لي سابقة الإسلام (بحار الأنوار، المجلسي :228/38).

3- كتاب نهج البلاغة : مجموعة من الخطب والرسائل والحكم والمواعظ جمعها الشريف الرضي من كلام الإمام اميرالمؤمنين عليه السلام

قوامها زعماء واعتبروها نقضا لآلهتهم وتهديـدا بتقويض زعمائهم من هنا كانت بداية الصـراع الذي راح يتدرج من عنف الى اعنف، ثم الى حروب ومجازر.

في كل هذه المراحل كان على اليد اليمنى لابن عمه والأشجع والأجدى.

وكانت الهجرة اول منفذ للرسالة، اعتمدته مسلكا للنجاة من بين قبضات الزعماء الذين صمموا على قتل محمد في احدى الليالي .(1)

ولكن بان ابي طالب في سبيل تغطية انسحاب ابن عمه نام في فراشه ،اليوهم المرابطين ان النبي لا يزال تحت متناول أيديهم.

وهكذا وفر الوقت الكافي للإنسلال والابتعاد تحت جنح الظلام، من حيث حسبت على علي أولى بوادر التضحية.

بعد رجوع المهاجرين من الحبشة التي حدبت عليهم، بدأ الصـراع يأخذ شكله العنيف، وكانت معركة بدر) أول تحقيق، وتلتها (معركة أحد) التي كاد ينقلب فيها النسر إلى المخذال .. فقد جرح النبي فيها حتى ظن انه قتل، وانفرط عقد المؤمنين.

ولكن عليا ببطولته حقق النصر الأخير، وحقق معه هتاف جبرئيل المشهور:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى الا علي .(2)

1- بات ليلـة هجرة النبي صـلى الله عليه وآله يا إلى المدينة في فراش النبي مفتديا اياه بنفسه ثم هاجر الى المدينة بعد ثلاثة أيام بعد ان أدى الى قريش أماناتهم المودعة عند الرسول (أحاديث أم المؤمنين عائشة ، السيد مرتضى العسكري:106/1).
2- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: 217/11 ، لسان الميزان ، ابن حجر: 2/406.

وعقب هـاتين الوقعتين وقعـات أخرى، أشـهرها (وقعـة الخنـدق) التي تسـمى بوقعـة الأـحزاب) اذ تجمع فيها كل الأحزاب والفئات، على اختلاف الميول والقبائل، لمجابهة الرسالة الزاحفة، والتي اصبحت قوة جارفة ونصرا كبيرا.(1)

أما (وقعة خيبر)-(2) – المدينة اليهودية المحصنة المشهورة ببوابتها الصخرية التي افتعلها علي بقوة زنده – فإن فتحها كان بداية لفتح المدن الكبيرة التي أخذت تسقط أمام قوة الزاحفين، الواحدة تلو الأخرى .. حتى عم الفتح ، باسم الرسالة، سائر أنحاء الجزيرة.

في كل هذه المعارك كان الفضل أولا للمهاجرين، إذ كانوا أولمن لبى النبي في هجرته .. ثم للأنصار الذين استقبلوا العودة بالمؤازرة.

من أشهر هؤلاء المهاجرين الأولين هو علي بن ابي طالب.

وكثير هم الذين كان لهم شأن كبير في تسيير الفتح وتحقيق النصر.

1- ونقد كان دور الإمام علي بن ابي طالب عليه السـلام و كبيرا في رد جيوش الكفر وبعدما بزر عمرو بن ود العامري واجتاز الخندق وأخذ ينادي المسـلمين بالبراز فلم يبرز له احد الاعلى فبرز اليه وقتله وقد قال الرسول الأكرم صـلى الله عليه وآله : (ضربة علي يوم الخندق افضل من اعمال امي الى يوم القيامـة) كما جاء في ينابيع المودة للقندوزي:412/1 ، وجاء في شواهد التنزيل: 502/1 عن ابن مسعود قال : لما قتل علي عمر بن عبدوديوم الخندق انزل الله تعالى: (وكمى الله المؤمنين القتال) بعلي.
2- عكرة حصـلت بين المسـلمين واليهود المتحصنين في مدينتهم المحصنة خيبر، وبعد حصار المسلمين لها وقرار الأول والثاني الدخول إلى خيبر خطب رسول الله صـلى الله عليه وآله قال : لاعطين الرايـة غـدا رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتـح على يديه، ليس بفرار وفي كرار و غير فرار (الغدير:200/7).

وكـان علي بن ابي طالب من أحبهم اطلاقا على قلب النبي .. فهو ربيبه، رفيقه، مسـتشاره، ملازمه الـدائم، أخوه . زوج ابنته التي هي من عز الناس عليه، فاطمة الزهراء، أبو الحسن والحسين من فاطمة، الذين انحصرت فيهما ذرية النبي .

وهو أول المؤمنين، وأقوى المدافعين، وأشجع المناضلين، وأصمد المقتحمين، وأبلغ المحققين.

ولقد لمح النبي عن ذلك بمثل قوله:

اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه).(1)

علي مني وأنا من علي).(2)

(من أحب عليا فقد أحبي، ومن أحبني فقد أحب الله).(3)

(علي مع القرآن والقرآن مع علي)(4)

(حق علي على المسلمين حق الوالد على الولد).(5)

(أنت أخي في الدنيا وفي الآخرة).(6)

(ولداي هذان إمامان، قاما أو قعدا).(7)

1- فضائل الصحابة ، الإمام أحمد بن حنبل: 15.
2- خصائص الوحي المبين، الحافظ ابن البطريق : 145.
3- المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابروي:130/3.
4- المصدر نفسه، 176/3.
5- تاريخ مدينة دمشق،ابن عساكر:42/308.
6- .المستدرك على الصحيحين،الحاكم النيسابروي 3/14
7- بحار الأنوار ، المجلسي 44/2

(كل ولد أب فإن عصبتهم لأبيهم، ما خلا ولد فاطمة، فإني أنا أبوهم وعصبتهم). (1)

أنهم قالوا : مات النبي دون أن يترك وصاية صريحة بمن يخلفه، واختلف الرأي بين أن يكون الخليفة من المهاجرين أو من الأنصار .. ولكن الكفة رجحت مع المهاجرين، واعتبروا الحق للأكبر سنا، فعين (أبو بكر الصديق).

كان علي غائبة عن هذا الاجتماع الذي سمي ب(اجتماع السقيفة)، وكان غيابه لانهماكه بدفن النبي ، واعتبر نفسه مغموط الحق : لأنه حسب تصريح الرسول، هو الأحق.

ثم تجاوزته الخلافة بعد الصديق الى (عمر بن الخطاب)(2)بالحجة نفسها.

لما ضرع عمر بن الخطاب توجهت الأنظار نحو مجلس الشورى السداسي: علي بن ابي طالب، عثمان بن عفان ، سعد بن ابي وقاص، طلحة بن عبد الله بن الزبير بن العوام، عبد الرحمن بن عوف.

أسند الى هذا الأخير امر البت بتعيين الخليفة، وكان اختياره مؤكدا بين اثنين : أيهما يرضى بالشرط الذي يفرضه .. وهو : أن أيهم يتعهد بعدم تعيين أي من انصاره أو ابناء عشيرته في مساعدته في الحكم هو الذي يسند اليه امر الحكم.

وبما أن عليا لم يقبل بالشرط، فإن الخلافة وصلت بحكم الطبع إلى عثمان بن عفان1).(3)

1- انحام الأعداء والخصوم، السيد ناصر حسين الهندي : 77.

2- إشارة الى توصية أبو بكر باستخلاف عمر.

3- لقد قال عبد الرحمن بن عوف أولا لعلي بن ابي طالب: أبايعك على كتابالله وسنة رسوله والعمل بسيرة الشيخين ، فقال عليه السلام : بل على كتاب الله وسنة رسول الله واجتهاد راي، فعدل عنه إلى عثمان ، فعرض ذلك عليه ، فقال نعم. فمال إلى علي ، فاعاد عليه السلام و نوله . وفعل دلك عبد الرحمن ثلاثا . فلما راى أن عليا غير راجع عما قاله ، وان عثمان ينعم له بالإجابة ، صفق على يد عثمان وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين

وكان حكم ابن عفان صراعا بين الأمويين والهاشميين،(1) لذلك لم يجد الخليفة الجديد أمامه إلا نقض شرط ابن عوف وانتقاء كل معاونيه من بني أمية.

في هـذا الوقت، كان معاوية بن أبي سـفيان واليا على الشام، وكانت الفتوحات قد حققت اتساع الرقعة الإسـلامية، وحققت للعرب بحبوحة اقتصادية مغرية .. كان انسياقهم وراءها سببا من اسباب تكريس الانشقاق وكان حكم ابن عفان خروجا عن خط الرسالة، وجنوحا نحو

(ارستقراطية) خلقت طبقية جديدة، وأذكت نار الحقد بين القبائل التي كانت قد توحدت في سبيل

نصرة الإسلام .. فتولدت ثورة أدت إلى مقتل الخليفة.

أما معاويـة، والي الشام، الـذي كان يطمـح إلى تحقيق الخلافـة له، فإنه قاوم المبايعـة الجديدة لعلي، التي حققتها له الجزيرة الثائرة مع كل الأمصار المفتوحة، ما عدا الشام.

وكان بشير بن النعمان قد لف قميص عثمان وهرب به الى الشام، فاحتجز القميص معاوية، وأخذ يلوح به حجة في أخذ الثأر.

1- لم يعرف التاريخ هذا الصـراع من الهاشميين بعد البيعة، نعم، كان بين الأمويين وعموم المسلمين، بسبب جعل بيوت أموال المسلمين بيله مروان ابن الحكم، واستشار الأمويين بالأمر، مما ادى الى ثورة المسلمين ، وأنتهاءها مقتل الخليفة عثمان.

هكـذا ابتدأ الصـراع على جهتين : علي من جهة ومعه الهاشـميون والأنصار، ومعاوية من جهة ثانية ومعه الطامعون بالخلافة .. شأن طلحة والزبير.

وكانت عائشة ، أم المؤمنين تشد ازرنسيبها طلحة لتوصله الى الحكم، حبا به، وبغضا بعلي الذي كان بينها وبينه جفاء قديم.

وعطف معاويـة كثيرا على المحاولة، وكانت معركة الجمل)(1) بقيادة عائشة .. ولكن المعركة خسـرت، ومات فيها طلحة والزبير، واسـرت عائشة ثم تركت معززة مكرمة.

ويقي الصـراع يشتد بين هذين القطبين، وكادت (معركة صفين)(2) أن تكون فاصـلة لجهة علي، لولا خدعة رفع المصاحف وتحكيم عمرو بن العاص وابي موسى الأشعري، مما أدى الى خلع علي دون معاوية .. عكس الاتفاق على خلع الاثنين معا وارجاع الحكم شورى.

واسـتؤنف القتال بعـد بروز جهـة جديـدة هي جهـة الخوارج، الذين انتفضوا على علي لقبوله بالتحكيم، فأبادهم في معركة النهروان ، واثقل كاهل الأمة بالمعارك الأهلية.

1- معركة الجمل:حدثت سنة 39ه وهي حرب الناكثين التي أوصـى رسول الله بها الإمام علي فقد جاء عنه امرني رسول الله لا بكل الحق ومن الحق أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين (شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: 129/9).

2- . في الأول من صفر الخير سنة 37ه كانت وقعة صفين بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين معاوية وقيل في التاسع، وقال نصر بن مزاحم تقاتلوا في تمام ذي الحجة ثم تركوه في محرم ثم ابتدوا به في غرة مصغر، ومن الذين استشهدوا عمار بن ياسر وخزيمة بن ثابت.

وضاق على ذرعا بمعاوية، مما أدى أخيرا الى عقد هدية مؤقتة، تركت فيها الشام على حدة، وبقي علي يعالج شؤون الدولة في الكوفة.

أما الفتوحات، فقد تجمدت كردة فعل لهذا الصراع العنيف، الذي لم يتمكن ابي ابي طالب من وضع حد نهائي له.

وفي ذات اليوم، بينما كان الخليفة متوجها إلى مسجد الكوفة، عاجله عبد الرحمن بن ملجم بضربة سيف مسموم أودت بحياته.(1)

1- وكما اخبره للإمام علي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بأنه قاتله هر اشقى الأشقياء كما ان عاقر النانة مواشقى الأولين، وكان ذلك يوم 19 من شهر رمضان واستشهد بوم 21 من شهر رمضان سنة : 40ه (الغدير الشيخ المفيد:1/201)

شخصية الإنسان

إذا كانت الشخصية تبنى،، فعلى حساب العقل مجمل ما ينشأ من تلك العمارة.

فهو الـذي على يـديه يتم وصف الأساس لتقوم عليه البنايـة . أما متينـة شاهقـة تزخر باللون والجمال، وأما هزيلـة باهتة تتقزم ولا تثبت على حال، يسـتحيل له سواها في تقلبه في أديم الأرض .. كأنه الخلاصـة الأخيرة في أبعد واحدة من سلسـلة المصافي التي تمتد على طول خط الحياة .. كأنه القيمة تبتدأ في البان رغام المادة لتتناهى في صـفوة الروح .. كأنه الشذي يتسلسل من غبار التراب ليعبر تلاوين الزهر الى خفة الأريج.

هذا العقل المصفى من تربة الجسد، كما تصفى الراح من خشب الدوالي ، وكما يصفي العبير من خصل الرياحين .. هو الذي ينتهي فكرا، كما تنتهي الراح نشوة، كما ينتهي العبير شذى.

وهو بالتالي ذلك، الفنان الـذي لا يبرز مجال فنه إلا في مجالات مهارته، ولاتثبن جلالـة صـنائعه إلا اذا احتكت بفتنـة بدائعه، وهو بالنتيجة ذلك المرجع الذي لا تجد شخصـية الإنسان سواه .. إذ تلجأ الى كنفه ، فيعمل على اخراجها بقدر ما اوتيه من قوة على الإخراج .. فإذا هي منه بين راحتيه كأنها تعبير صادق عن قوة اصالته، أي أنها تكون منه بمقدار ما يكون هو من رهافة الوعي وعمق الصفاء.

ص: 94

ذلك الفنان، الـذي هو العقل، هواشب حالا بذلك المهندس الذي يعكف على عمارته، يرتاد من اجلها المقالع التي يعرفها، فينصب عليها نحتا وصـقلا وتشـذيبا ويكتنز لها من حيث تتمكن يـداه ما يراه لائقا بها من النقش والزخرف والرياش .. حتى اذا ما جاء عمله متكاملا أمام عينيه، جلس قبالته يـدل عليه .. ان هـذي هي مجاهـد يديهن أما تلك العمارة، فإنها تكون- بحق- عاكسة لتلك المجاهيد،اما حقيقتها فهى فى اعين النقاد:اما كوخ فقيريهتز مع اول هبه ريـح ،وأما بيت عادي تأنس اليه الاسـتكانة أو قصـر منيف يزخر باللون والترف، أو قلعـة جبارة تهزأ بصرصرة العواصف أو هيكل وقور تخشع اليه الأجيال في تطوافها عبر الزمن.

وقـد تختلط هندسـتها ويتـداخل بعضـها ببعض، فتتنابذ الوانها تتناحر أو تتضارب أشـكالها، وتتشاكس أو تهدل جدرانها، وتعوج أو تلتوي باحاتها، وتنكمش أو تتقلص شـرفاتها وتضيق ... كل ذلك حيث يحلو ويفضل أن تأتلق وتأتلف، أو تتآخي وتنسجم، أو تسترق وتستدير، أو تستقيم وتنفسح، أو تستطيل وتتسع.

وربما لا يختط من هندسـتها كل ذلك .. ولكن التشويش يدق فيها بعض مناقيره، والبلبلة بعض سـنانيرها .. فيمتد اليها التشويه ، ينهب من قيمتها،وقد يتم على قلة اخراج هندسـتها ذلك الانسجام الفريد في وحدة تتزاوج تأتلق بمباهجها، وباحاتها تندمج بواحاتها، ومطلاتها تزهو بهالاتها، وألوانها تتناسل من افنانها.

ص: 95

تلك هي العمارة المصلي بين يدي فنان جبار فاضت مفاهيمه على تصاميمه، واندمجت اشواقه باعراقه.

على هذا المقياس بالذات تتنقل شخصية الإنسان في مضاميرها بين يدي العقل.

أما المقالع التي يرتادها في سبيلها، فهي تلك المزايا والصفات ، يجمعها لها قبضات . تارة مقتورة، وطورا ميسروة، وساعةموفورة.

وهكـذا تتولـد، متدرجـة من شخصـية فقيرة ليس لها من الوجود غير تراب الجسـد ، دمية تكبواذ تحبو الى شخصـية خفيضة، تسـتكين الى هيكلها استكانة الأرانب الى اوجارها، تقضم عشبها بنابها، وتختبئ من نهارها في ليلها، وتنطفئ شمسها بفتحة رسمها.

إلى شخصية مزهوة، تستعير ألوانها من اذنابها وتتباهى احسابها بأنسابها، وتتوهم انها تستطيل ولكنها تذوب في اظلالها.

إلى شخصية كريمة الوشاح، مصقولة المزايا، موزونة الإخراج .. تعيش يومها في غدها، ويورق ذكرها في لحدها.

إلى شخصـية ممتنـة الحواشـي ، منزهـة السـجايا، موقرة الجوانب .. تتسامى بالتراب الى السـحاب، وتخصب الأمد بالأبد، وتكثف الخيال بالجمال، وتغطي اللحود بالخلود، وتعل الفناء بالبقاء، لتحقق الإنسان بالإنسان.

مدارج مدارج ..

منها التافه المعدوم تلفظه الحياة على حواشيها..

ومنها الساذج المسكين يتبرم بعبء نيره، ويتقبل الوجود خوفا من العدم ..

ومنها المتبجح المغرور، يقرقع اقدامه على الشاطئ بانتظار ان يستسلم اليه البحر بمكنونه.

ومنها النيرالموهوب، يغازل الشمس ولو خلف الغمام..

ومها المصطفى، جلت به الأوصاف واستجمعت به القيم.

ص: 97

شخصية ابن أبي طالب

من ذلك المعدن الطيب كفكفت شخصية الإمام مستكملة كل مقوماتها .. شخصية برز العقل فيها السيد المطلق، فإذا هي منه كما هي الديمة(1)من الغمام، وتسطره فينهمر بها انسجاما بانسجام.

وهكذا بسط عليها لواءه كما اسلست له قيادها، فامتصته وامتصها، قوة بقوة، ولونا بلون .. حتى لكان الهيكل المتين كحبيكة الفولاذ، ما استجمعت أوصاله إلا ليكون قاعدة جبارة لقائد جبار .. فإذا السيف في كفة وامض بكر، له حدان متساندان : حد على الترس وحد على القرطاس، في حلبة ابدا بيضاء ذات وجهين : وجه على الجهاد ووجه على السداد..

ازدواجية في البطولات، لملمها التوحيد فانساقت الى المضمار كانسياق الجوارف تلاحمت اليها الجداول، وجداول من الموهبات تلبست المزاياوالصفات كما تتلبس الأفانين أوراق الربيع، وتضافرت في تساجمها وتناسقها كحبال الشمس، وحدها المصدر، وكالمصهر، تتذاوب فيه المعادن.

هكذا انصهرت في هذه الشخصية مجموعة المواهب مجموعة الصفات ومجموعة المزايا، قيمة بقيمة، ووزنا بوزن، ومقدارا بمقدار .. فإذا هي يتزاوج بعضها في بعض كما تتزاوج الألوان في لوحة رسام .. وإذا المعطيات كالفيض، تجري كأنها في سباق، وتساند كأنها انداد.

1- .. الديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد و برق .

فالعفة والصدق ريشتان ناعمتان كان لهما من القوة لديه ما كان لهما منها فيزنديه : الترس (1)والفرند(2)، والزهد والجود .. جناحان رهيفان ازاء عليهما من ظله ، فإذا هما بعين المدى يتباعدان ثم لديه يلتقيان .. فإذا الزهد في الدنيا جود بها، وإذا الجود بالزهد اكتماله.

والتقوى والإيمان شعوران صميميان و منبعان صافيان، غارا في جنانه واندفقا على لسانه، فإذا هما به نصب الكعبة حسام، ومن ورعة قبلة للإسلام.

والحق والعدالة صفتان متلازمتان، وقلادتان فريدتان، وحجتان لامعتان .. وشم بهما وجدانهن، وحلى بهما بيانه، وسن عليهما ستانه .. فإذا القيم بين الحق والعدل تتلمس في معتقده تراثها.

والحب والخلاص حبلان وثيقان ودفقتان سخيتان، ترابط بهما فؤاده ولسانه .. فإذا الأره بجماعاتها، تنشد الدفء لتمرع.

والحزم والعزم نتيجتان منبثقتان من صلابتين متكاتفتين : القوة والإرادة.

كل لهما من عينيه انعكاس على ساعديه وثورة في منهجه فإذا الدين الدنيا في ناظريه قالبان يستكملان وحدة الوجود من حديه من كل تلك المقادير.

مواهب وصفات شربت شخصية علي بن أبي طالب ، فا هي في وجود الإنسان دعامة تثبت بها قيمة الإنسان.

1- الترس : كلما رقي من السلاح لأنه يستر صاحبه.

2- الفرند: بكسر الفاء والراء ، ثوب معروف معرب وهو نوع من الثيابه.

إلى أرض الجزيرة

أتنامين على الطوى وتكتفين بالشعر على دروبك تخطها القوافل محملة بالطيوب؟

ومالك بالبيد تتعطش رمولها على السراب فتتلظى ولا ترتوي؟

قربي يا نفود الجزيرة ويا ربعها الحالي .. قربي وتلملمي، فليس يلطف عنك سموم خط المهاجرة إلا تلك النسمات، تبريها المحيطات على حواشيك.

وحواشيك هي بعض فيوضك .. يا طالما زحفت إليها مع السحيق من أجيالك.

تلك كانت ظفراتك المتمردة عبر السنين في هجرات حائرة، ما انتقلت بقدم حتى تشبثت بمدنية.

فقربي وخذي مما اعطيت، غزوا بغزو، يا فيافي الجزيرة .. ولملمي ذيول ليلك الطويل على كف هذا الصبح الأصيل.

وتيمني، فمكة اليوم ضلعك الأملد(1)، تشهد ولادة ما شهدتها من قبل بيدك السمر.

وتيممي بالمر واللبان من أفاويهك، واجمعيها قوافل من خيراتك، فقد حان لك الأوان أن تحرقيها في جو صميم من اجوانك..

1- .الأملـد: الشاب الناعم، وامرأة ملـداء أملسود املدانيـة وشاب املود املداني شـبه بالقضـيب الناعم، قال بعد التصابي والشـباب (كتاب العين ، الخليل الفرا هيلي: 48/8).

وباركي الجم من آلام مخاضك، لأن المولود البكر الذي يقطع أوصالك سوق يربط أرشك بسمائك، ويفجر النور على ارجائك..

وكنسي الكعبة من اصنامك، فاللات والعزى ومناة قد بحت بها سورة الغرانيق كما اختبلتها روعة التوحيد.

وترابطي قطحانك بعنانك، فأنت منذ الساعة قبلة الملايين، ولسوف تنصب عليك أعين الوافدين.

فمع الأوس والخزرج نوري يثرب يا مدد الأنصار ويا سـهد المهاجرين، وأجلي الرمد عن عينيك .. فإن الفجر يحمل إليك تباشـير ضياء لن تتمكن مفاوزك على مداها من ان تستأثر بها ضمن آفاقها .. فهي رسالة بمستوى الفبض، مصدرها ازل ومداها أبد.

ولئن تحاولي .. ماذا يضـير؟ فإن الوهج المنبلج لن تئده (بئر أحد)، فهو نور يتعدى نطاق الحجب، لأن مصدره أبعد من المكان وأقصى من الزمان.

فاسترشدي، فإن المهدي على انبثاق بين يديك، وكوني القاعدة وكوني المزار، فليست تضـيرك ركيزة المنارة ..ولا تلعبي بترهاتك إذ تجازفين بمقـدراتك ، فإن الثوب الـذي به تنـدثرين رثت خيوطه، فأنت به على غضاضـة .. فتوحـدي ووحـدي، فإن الكلمـة أخذت تملا الدنيا على مسـمعيك : (الله اكبر)، وانظري الى البعيـد، فإن الطريق الذي خط أمامك لن تقود قدميك عليه عين كليلة، لأن الحقيقة التي نفرت معانيها سوف تضيق عليه قوالب الحروف ولن تتمكن من استيعابها سحب الخيال.

لـذلك، سوف تحتاجين إلى حيث تجد إنسانا فتخصـبه .. فكوني المطية وعبديالطريق، وقدري قيمة ما تحملين .. ان ذلك مع التاريخ افخم قوافلك.

ص: 101

مولد الرسالة

ما بالهم يتوافدون زرافات زرافات؟ .. أتراهم استهوتهم الكلمة؟؟

والكلمة ما قبلت إلا استقبلت بالهزء والسخرية كأنها الهراء ، وما استحقت إلا النبذ والاضطهاد كأنها التجديف، وما كانت الليالي العائمات إلا ستارا تغطت به هجرتان مشردتان، كأنهما لصوصية تتسلل.

على من يتوافدون والكلمة التي تستهويهم تجرعلى قائلها وقابلها على السواء الويل والتشريد؟!

وما قيمة الكلمة يتهدر بها رجل في خلوة؟

ومتى كان (جبل حراء) كعبة العرب، ومكة والمدينة ؟

كيف تجوز وقاحة الغار، ومن هؤلاء المتوافدون؟؟(1)

ومتى كان لرعاع القوم تشوف على الأسياد؟

وتشهد (بئر بدر) أول معركة بين سيد ومسود(2)، تثبت فيها قيمة الكلمة بين سيد أخذ يقلق على مصيره ومسود بدأ يغار على مصيره .. بين فئة ترى في ديمومة الأوضاع دواما لأمجادها واترافها، وفئة اصبحت تتحسن قبسا جديدا يزيل عن كاهلها حيفا مزمنا وذلا مقيما.

1- في الأصل ومن هم هؤلاء

2- معركة بدر الكبرى حدثت في السنة الثانية للهجرة بين المسلمين وكفار قريش.

ولا تنتهي (معركة أحد)(1) إلا والكلمة أصلب عودا واعز شكيمة، وإذا هي الشبث بمكنونها كما تتشبث الحجة بالمنطق ، ويتعلق الضعفاء بالأمل الجديد كما يتعلق الغريق بحل النجاة.

وإذا الكلمة تجنح بالخير والحق، وتشع بالعدل والجمال، وتنكشف عن رؤى تتجلى بالعقل الي فوق وتتطاول بالخيال الى محجات تستهيم بها النفوس على مدى القيم.

كلمة تحمل في طياتها خفقات الحنان كما تميد حروفها برطب الجنان ..

وإذا (الاله الأكبر) هو إله موسى وفرعون، وإله عيسى ومحمد .. أله قدير يلبسه الوجود كما يلبس الأبد الأزل، وتندمج به الآجال كما تندمج الآفاق بالأجواء، وتتوحد فيه المصادر كما تتوحد على بعضها خطوط الدوائر .. إله رحيم هفا الى حضنه مساكين أهل الأرض، جمعهم محمد من بين قبضات اقطاب قريش كما لملمهم من قبل عيسى من جور اسياد (روما).

وتتفق الكلمة على آفاقها كما يتفق الصبح على الغسق .. وإذا الغار كوة وبتهافت المتوافدون حيارى مثقلين .. يجتذبهم الشهور قبل أن يفعمهم الحجى، كأنهم عنه في ذهول .. ويتحسسون بالدفء كأنه ارتياح الخاطر على قلق المصير.

ويماط لثام، ويسقط قناع .. وإذا الحقيقة على سفور .. رسالة جديدة ،وإنسان جديد.

أولئك هم حثالات الناس ومساكين أهل الأرض، يتلمسون جباههم بعد تعفيرها، فإذا بها ترتفع من جديد أمام الشمس، تتعزز فيها قيمة الإنسان في

1- معركة أحد حدثت في شوال سنة 3ه بين المسلمين والمشركين.

وجوده وفي مصيره . إنسان يتلمس طريقه بقدميه، ويقرر مصيره بإرادته .. حر طليق لا تئده تقاليد، ولا تستذله عبودية.

وكما استعانت (بئر بدر) ب(أحد)، وهكذا استجار (أحد) (وقعة الخندق) .. ولن تنفع استغاثة الخندق بحصون خيبر، لأن غار حراء اصبح ذلك الصدى البعيد.

وإني لمكلة الأسياد وكعبة الأصنام آن تخنق صدى أخذ يلف أجواء الجزيرة ليتعداها، مع الشروق والغروب، إلى حيث يوجد انسان، وإلى حيث يمتد مكان وزمان.

ص: 104

قيمة الرسالة

إنه غار حراء .. اتراك خزان اللهب؟ .. أية نامة صدرت عنك؟..

لم تكن خفيفة كالأثير وطرية كالبراعم، ولكن الأثير الذي يغلف هو. مع خفته .أثقل منها، فهي عليه تستريح وفيه تدور .. وإن البراعم التي تنوء بها جزاله الاغصان هى نطاق وجودها،اذبهاتصلب ولها تعيش.

أهكذا كان عنك للكلمة هذا المدار؟

وليس بالعجب .. فإن الذي خاطب الإنسان بلغة الإنسان لم يسمعه إلا الإنسان .. والكلمة التي تنابث بها الغار لن تعج بها إلاغواء.

ومن هنا كنا وزن الرسالة .. فإذا هي ليست محض كلمات تتبختر بأساجيعها، بل هي مبان يطل منها الوجود على الخلود .. وتطوف في ردهاتها سحب الخيال، وتنهل على ارجائها خصائل الجمال. فهي للفكر تطوافه وارتياده، وهي للروح اشواقها ومداها، وهي مع الحياة برفقة العناء كفكفة العزاء، وهي للحياة خلف الحجاب دغدغة الأمل بحسن الثواب على كف المآب .. ومثاب فرشت دروبه بالعطور وعطور طيبتها اشداء الفضائل، وفضائل ما احتويتها إلا القلوب، وقلوب ما وسعها غير الإيمان، وإيمان ما رسخه إلا التوحيد، وتوحيد ما احتواه إلا العقل، وعقل ما سبغ إلا على الإنسان، وإنسان هو مدار الوجود، ووجود هو (الله) في البدن وفي النهاية.

ص: 105

تلك هي الرسالة، تقدم نفسها على كفها المفسوح : نور، وإيمان،واقتناع، وحق، وحب، وإخاء، ووفاء، وصفاء ، ورجاء ، وعزاء.

وهـذا هو النـداء على تلبيـة ، تتلقطه الأعماق كما تتلقط حبـة الرمل قطرة النـدى ، فإذا هو انعكاس في النفوس وفي العقول .. في طفرة تلين راحتها كأنها الدعـة، وتصـلب شـكيمتها كأنها العناد، وتقلع على الأذى كأنها العاصـفة، كل ذلك على كف يمسـح وعلى زنـد يـدفع، فإذا الجهاد جهاد يبشر على اقتناع وجهاد يدافع بغير هوادة، وإذا البطولات تشرع يسوقها الإيمان إلى نصر أكيد.

ص: 106

واقع الأحداث

إن السهم الذي انزلق عن قوسه لم يعد ملكا للكنانة.

ذلك كان شأن الرسالة .. فهي ما كادت تدور في خلد الناس حتى تخاطفوها كحق من حقوقهم، وهي لهم على كل حال.

ولقد استوعبوها بقدرها ما كانت حاجتهم إليها، ولقد كانوا بأمس الحاجة إلى كل ما يحرر نفوسهم وجسومهم، على السواء من عبودية طال حكمها وتكاثف ظلها.

فهي إذ كانت في البدء شعورا ينساب حثيثا إلى الخواطر، إذا هي تصبح حاجة تنساق إلها الخواطر.

وبينا كانت في أول عهدها تستظل الملاجئ والمخابئ ،إذا هي تنقلب إلى كنف يلجأ إليه المستظلون.

وإذ كانت تسير في طورها الأول بين مكة والمدينة وكأنها تحبو، إذا بها تعدو دون أن تتمكن من صدها الحصون، ولن تتوقف على تخومالحجاز، ولن تثنيها خطوط الصحاري.

وليس العراق وحده بانتظار، ولا الشام وحدها تومي .. فمصر، على أبواب افريقيا، راحت تجهز ركائز الأذن، وفارس على مفاسح الشرق أخذت تسهل اجتياز المعابر.

لقد انقلب الإنكماش الى انفتاح وانسياق، وتبدل الدفاع الى تبشيرفانذار، ثم إلى هجوم مركز.

من هنا، إن الحاجة اصبحت ملحة إلى تنظيم عاقل يستمر بدفع العجلة على دواليبها السلمية

إن ذلك لم يسبقه كثير من الاستعداد، لأن النجاح الذي تأمن بهذه السرعة لم يكن الى هذه الدرجة بالتوقع.

ثم أن المفاجأة الكبرى بدورها كانت أشد المفاجآت.

فصاحب الرسالة نفسه جلا عن الساحة، إذ راح يعرض ربه رصيد حسابه على الارض ،دون ان يسبق ذلک ای انذر.

وفوق ذلـك، فـإن الرسالـة لاـ يزال عودها طريا ولـم تتمرس بها النفوس على كفايـة، وهي مهـددة بردات كثيرة كردة أحـد والرجعـة، لا تزال تستنجد باقطاب قريش، أولئك الذين استنزلوا عن أرائكم على تحد.

وهناك (مناة) و (العزي) و (هبل) لا تزال تتململ في رغام حطامها تحت ستائر الكعبة.

والرسالة عينها لـم تزل بعد في اطارها القشيب،(1) فهي لا تزال مع الصحابةأحاديث مبعثرة، لـم يجمعها تنسيق ولا تبويب .. مع كل ذلك، فهي والأهواء.

في هذا الوقت عينه، كانت الرسالة الفتية، تتلمس طريقها لتستأنف سيرها نحو أهدافها البعيدة.

1- التشيب : الجديد النظيف.

دور ابن ابي طالب

عفوك يا ابن أبي طالب !.. فأنت من الرسالة كقطب الرحى.(1)

ان الدروب التي مشيتها برفقة الرسول صلى الله عليه وآله تشهد بثقل خطاك .. بضع سنين وريما مشاها وحده وأنت إلى جنبه، فيما عداها في وحدة العيش وفي وحدة المصير، في وحدة النهج وفي وحدة التفكير.

فأية اعتلاجة من اعتلاجات روحه لم يكن من نفسك فيها اعتلاجة يا رفيق الدرب والعمر والجهاد، بكل ما في الدرب من وعورات، وبكل ما في العمر من أوصاب، وبكل ما في الجهاد من أثقال؟

ويا حبيبا تنزل في شغاف حبيبه كما تنزل البلغة على الأوار.. ويا شاطرة تناول شطره في كل المهمات والملمات.

فإذا ما نمت في فراشه (2)فأي فرق كان ما بين ثوبك وبرده؟ .. فهل تكون وحدة الروح أضيق فسحة من بادرة الفداء.

ولا غرويا حبيب الرسول، فأنت في نظره كقضيب من النور أخذ بفلقتين، هو فلقة منها وأنت الثانية .. وكنت في رأيه بوابة العلم إذ يكون هو مدينته،(3) وأنت زوج ابنته وفلذة كبده فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين مع

1- ا. اشارة الى خطبته الشقشقية والتي يقل فيها (أما والله لقد تقمصها .. وإنه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى)(مناقب ابن شهر آشوب : 48)

2- 2. أول عمل فدائي في الإسلام قام به الإمام علي عليه السلام ليلة نام في فراش النبي صلى الله عليه وآله و من بعد ما ارادت قريش قتله الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، عبد الحليم الجندي: 48)

3- 3. اشارة الى قول الرسول الأعظم ه: (أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد البيت فليات الباب) (تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي : 181/3).

مريم بنت عمران، وأنت منه كما يكون القلب من الجسد وكما تكون العين من الحدقة.

أي فكر ساوره ولم تسقط عليك ديمه؟ .. رأيه عزم عزمه ولم يمر على زنديك ثقله؟ .. وأي سيف سله ولم يكن على مسنك شحذه ؟ .. حتى روحه الكريمة ما أحب أن يقدمها إلا على راحتيك وهو يطرحها على أحضان ريه. (1)

هكذا نعمت بالرفقة على طول السماح، وهكذا صدمت بالفرقة على ألم البراح.

فتهيأ، فإن الرسالة التي ترعرعت في ظل قبلك وغرفت من فيض حجاك ستظل ترتبط بمحامل سيفك نياط مفاوزها، لأنك لها غذ تغور بها الرحاب.

1- شارة الى اخر من كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله هو الأمام (تاريخ دمشق ، ابن عساكر:394/42) يمسح روحه الطاهرة بعد أن توفي على وجهه.

التحضير

تأثير الرسالة:

كيف كانت تهجع تلك الحمم التي تفور من هـذه الكوة الضـيقة التي يتنفس بها هـذا الجبل الصامـد؟.. أمن تلك الومضات الخفيفـة التي ولدها الاحتكاك قفزت تتوانب في القضاء كأنها سيول السعير؟

ذلك كان شأن علي بن أبي طالب، إذ كانت تهجع في اعماقه كوامن اللهب.

غير أن الرسالـة التي أنكب عليهـا بزخمه والتي انسـكبت بزخمها فيه، كانت الومضـة الوحيـدة في تفجير كوامن طاقاته، كما كانت الشـحنة الكبيرة التي أفرغت على هذه الطاقات وقودها.

أقول الرسالة بكلمة .. ولكنها كلمة أطول من حروفها .. فهي بطول قوس يرتكز حد منها على الأرض بينما يهيم حدها الآخر ما وراء الحدود والمحسوس .. فهي الرباط الذي يصل الدنيا والآخرة ، الإنسان بيومه بالإنسان بغده.

وأي إنسان ليس له يومان، يوم إقامـة ويوم رحيل؟ .. والأول موصل إلى الثاني، والموصل حائل، والمسـتقبل باق بقاء الوجود ، فإذا كان الأمر كذلك، وجب توفير الاهتمام باليوم الأول، لأنه عتبة اليوم الثاني، ولأن الشحنة التي تحضر هي التي بها يعبر.

أما ذلك اليوم، فمهما يكن لونه ومهما يعتوره من إبهام في الوصف والتحديد، فهو آت ما من مناص.

أما العدة التي تهيأ له، فأنه من اللازم تهيأ، إذ تكون عند ذلك موفورة أما الاستقباله واما للتمكن من فك أزاره.

والإنسان بيومه الحاضـر وبيومه المقبل هو ابن الحياة البكر، وفيه ينحصـر تراثها ... وهو وحده المكنة النامية التي تتمكن من تحقيق التطور، وهو وحـده القوة العاقلـة التي يتسـنى لها الإفادة من مقـدرات الوجود، وهو وحـدة الطاقة المدركة التي بها تحل الأحاجي وتفك الرموز .. وهو، بالتالي نواة المجتمع الذي هو اطاره الأكبر، وسياجه الأمنع، وتحقيقه الأصدق.

وإذا كان الإنسان هو ابن الوجود البكر، ففي حضن هذا الوجود يدور وليس في غيره يخور .. البداية منه، وفيه التلاشي .. الكيفية وحدها هي التي تخفي، وليست لا بالعقل تدرك.

وليس ايهـام الكيفيـة ، على كـل حـال، يمنع حصول مـا يتم .. فهم رغم كل ذلك يحصل تحت الإدراك وتحت النظر .. حتميـة لا تمنعها (كيف)، ولا تغيرها لماذا)، ولا تؤخرها (متى)، ولا تجعلها (إلى أين) .. ورضوخ يزيد جماله الإيمان من دون أن يقلل أهميته الشك.

بهـذا الإيمان راح ابن ابي طالب يحضـر شـحناته وشـحنات الناس في سبيل العبور من يوم بهي الى يوم خالـد البهاء، وبهذه الإيجابية أخذ يحضر العدة لبناء مجتمع فاضل يتمن بالإنسان ويتمن الإنسان فيه بالفضائل-

زيارة الموت

موت النبي :

وجلوة النفس، في أي موقد تجمع وقودها؟

هل في الألم وحده تحصل الجلوة؟

وما قيمة الحب؟ .. وأي تأثير للحرمان عليه؟

وقد تكون أسـئلة .. ولكن الجواب يكون كالانصـهار، لأن الألم الذي تتلقى الى نفي على نار غطاه يستعير من الحب ضلوعه ومن الحرمان اكسيره . أقول (ضلوعه) كي اكسب الكلمة مالها من جمال، وأقول (اكسيره) كي ارشف هذا الجمال من حلاوته.

فللألم قساوة ومرارة ربما لا تجد النفس في غيرهما ما يسـتحيلان فيها الى جمال وحلاوة، ولكنه جمال مصـهور وحلاوة مطبوخة، تقدمهما النفس للعقل طيقا يغطي منه بعض جوعه.

هـذا النوع من الألم زار عليا بن ابي طالب فاكسب نفسه ذلك النوع من الجمال، وانعكست حلاوته على لسانه بـذلك العـذب من الكلام .. وكان الموت وحداه ذلك المنهل .. جاء على الحب بالحرمان.

وبين يديه، في حضـنه، وتحت عينيه، انطفأت شـعلة الحياة من قلب الرسول، انكفأت عن عينيه تلك اللمع، وتراخت يداه عن كفيهما، ولف جسده ببرودة الموت.

ص: 113

كيف يسكت قلب نبضت فيه قلوب الناس وانصتت الى نبضاته آذان الملائك؟ .. وكيف ينكفئ النور عن عينين قد استعار النور منهما بهاءه؟. وكيف ترتخي يدان قد انبسطت على كفيهما أوقار الأرض وأفراح السماء؟ وكيف يلف الصقيع جسدا كان يحمل للدنيا بردا وسلاما؟

ولكنها الحقيقة..

يعود ابن ابي طالب من ذهوله ليصدقها، فهي تحت ناظريه في برودة الموت، تسلخ عنه أحب الناس إليه، إذكاهم، اروعهم، أمثلهم .. لقد هرب من بين يديه، في غفوة الأبد، الأمل الوطيد والرأي السديد، وتوقف مع رهبة الصمت القلب الحبيب والحب الخصيب.

يا رسول الله ! ترى هل هي النهاية القصي؟ .. ام (هل) هي البداية البهية؟..

والرسالة؟.. اتراها انكفأت بانكفائك الى غار حراء؟

وساحات الجهاد؟ اين (بدر) .. اين (أحد) .. أين (خيبر) أتراها الآن قد المحقت من أرض الجزيرة؟

و(مناة) و (العزي) و (هبل) .. أتراها تلملمت من جديد من حطامها التقهقه الآن قهقهة الشماتة؟

وفراشك هذا الذي استبدلت فيه، ألهذه الفترة القصيرة خدمت نزعة الفداء ؟

وربما لا ينتهي الألم، يحز في نفي ابن ابي طالب وهو أمام الجسد المسجيعلى رهبة الصمت .. وربما لا تنتهي مناجاة هذا الكبير لهذا الراقد الأكبر .. ولكنه سوف يختم قلبه على هذا الألم بختم الراضخ المؤمن.

ص: 114

وسوف يطبق عينيه هاتين ليفتح عينيه الآخرين اللتين لا ترف أهدابها أمام الموت، واللتين لا تريان القريب إلا في قصـيه، واللتين تبصـران أن الموت القصير هو فكاك الأسير والشأو(1)والمنير

1- 1. الشاو : السبقع والزبيل كالشاة كمسحاة والغاية والأمد وزمام الناقة و سرما ونزع التراب من البشر وذلك التراب المنزوع في القاموس المحيط ، الفيروزابادي:346/4)

موت فاطمة

غير ان الجرح الذي استختم بالصبر والإيمان عاد عليه موت فاطمة لينكأه على حنان.

وتفتق الجرح لينزف نزفا جديدا ومن لون جديد، هو لون الأرض بلحمها ودمها .. للأرض لون كلون الأساور والخلاخل، حلى يتثاقل بها الجمال، ويتكاثف بها الدلال.

والأرض وأن يكن لونها من لون القيود، فإن الإنسان يأتسر بها فيألفها كما يألف الجرح ضماده، ويهواها كما يهوى الكسيح عكازه، ولا يتبرم منها إلا كما يتبرم الصديان من السراب.

وكانت فاطمة من علي دفئا لقلبه ورباطا لدنياه، وما أن فصلها الوت حتى احس بعمق الفراغ وبرودة المتكأ، وإذا هوواقع الحياة على مجابهة .. جرح وضماد، وكسح وعكاز، وصدى وسراب .. وابن هو المنهل؟!.

ويلقي جرحه بفاطمة على جرحه بأبيها،(1) ويغمض عينيه على دمعتهما، ثم يستسلم للبصيرة فيقول : تخففوا تلحقوا.

1- كانت سريعة اللحاق بأبيها فقد توفيت بعد أبيها كما روى العامة بستة أشهر أو ثلاثة أشهر او شهرين (السيرة النبوية ، ابن كثير: 611/4)

مجال الصدمات

إذا كان للألم في النفوس فعل المشحذة في المقاطع، فللصدمات كذلك عليها فعل الوقود تحت المراجل.

وليس كل النفوس على السواء تفعل فيها الصدمات فعل الإثارة ، فالضـعيفة منها تقع مع التثبيط تحت الكلل، أما تلك التي تعلو بها مراتب النضوج إلى مستوى العقل والقيم فهي التي تتقبل الصدمات على صمود لتجعلها بقيمة المدد .

لم تكن نفسية ابن أبي طالب من هذا النوع وحسب، بل كانت من الطرازالفريد الذي كان يعتبر الصدمات حوافز في معابر الحياة.

فالصدمات التي كان يتقبلها سحابة عمره لم يكن ليقابلها بذلك التحسب الحريص الذي يتحسب به أهل الدنيا تجاه الملمات، وما ذلك إلا إنه كان يرى الدنيا بمنظار هؤلاء .. فهي وسيلة لديه، بينما هي عند الآخرين غاية بحد نفسها.

وما أبعد الفرق بين الوسيلة والغاية..

فالوسيلة أداة تصغر قيمتها حتما بالنسبة لقيمة ما تؤدي اليه، والغاية هي دائما أبعد.

بهذا الواقع النفسـي المبني على عقيدة واضـحة المرامي، عالج الدنيا، كل الدنيا ، بصدماتها ومآسـيها .. وقد افاد منها، ولكنها أفادة من وزنه ومن لونه.

ولقد أعد نفسه تمام الإعداد لتقبل الصدمات رياضة تتروض بها نفسه.

فالموت، حتى الـذي تـذوق طعمه بفقـدان الرسول ثم بفقـدان فاطمـة تمكنبسـرعة من هظم صدماته وتحويلها الى معناها الجميل .. ذلك المعنى الذي اعلنت

نفسها فيه الرسالة من حيث تلبسه كل حياته، وعكسه بجلاء في كل أقواله واعماله.

ومن هنا كان زهده وتقواه، لا بل مصدر دفاعه عن القيم بتلك البطولة الفذة.

وليست الأحداث التي مرت بعد رجيل النبي عن دنياه سحابة ربع قرن إلا مصداقا لمتانة صموده أمام الصدمات، دون أن توهن من عزمه أو تلين من صلابة معتقده، حتى ولا الأحداث التي سبقت هذه الحقبة من الزمن كانت اخف تأثيرا عليه، رغما عن كونها مرت وهو في يفعه لما يختزن بعد من تجاريب الأيام ووطأة العمر صفوة الحكمة وجلال المعرفة، وأنه لمن لذة السرد ان يلمح إلى هذه الأحداث بمواقعها، التي (1)هي بوزن الصدمات ، حتى يجئ السرد مصداقا لهالة الموضوع.

ص: 118

1- في الأصل والتي والصواب مل اثبتناه.

الإسلام دين جديد

لقد كان بحد ذاته من أهم الصدمات التي اصطدم بها ليس على الفتي وحده ، بل الجزيرة برمتها، بل العالم في شرقه وفي غربه.

فهو دين جمعت إليه قيم التوحيد على ضوء العقل الذي تمكن من هضم الوحي وبسطه على كف الحاجة إليه .. وقدم الجزيرة، فاستقبله باللامبالاة.

ومنى كان ابن الجزيرة يعير كثيرا من الأبه لدينه؟

ولا عجب في ذلك، فإن بضعة أحجار منحوتة بشكل لم يمسسها العقل فيه بفنه ولا الروح بشفافيتها، لم تتمكن، ولا بحال من الأحوال، ان ترخى فعلى من حولها وجبة خضوع أو احترام.

وليس ذلك بدليل على أن البادية لا تحب أن يكون لها دين، بل ان ذلك، بالأحرى، دليل على ان دينا عاقلا لم يشغل بعد عقل البادية .. حتى كان الدين الجديد، فإذا به عقل يوقظ العقل من سباته الطويل، وتتقبله الناس بعد ذهول.

وكانت الصدمة عليهم من نوع وهلة الموقظ على غفلة .. فهو مستحضر من نوم، ومستحث على قلة استعداد

في هذا الوقت كان ابن ابي طالب أول من يوسع عقله لاقتبال الدعوة الكبيرة، واستوعبهاعلى فهم واقتناع، ولم تشكل لديه صدمة كما شكلت عند غيره، بل أخذها من واقع الحياة عدة للحياة .. لذلك دافع عنها، ومن أجلها نام في فراش ابن عمه في أول بادرة قدمها كشهادة الاقتناعه المفعم بحقيقتهافحسبت البادرة عليه بمستوى التضحية وسر الفداء، وفي سبيلها قطع

الجزيرة على طول فيافيها ليحقق الفخر لقافلـة المهاجرين، وللـذود عنها اقتحم المعارك تلو المعارك (1)بتلك الشجاعة النادرة التي وضعته في مصاف الأبطال النادرين.

ص: 120

1- لقد شارك الإمام علي في كل غزوات الرسول صـلى عليه وآله وكان المدافع الأول عن الإسـلام ما خلا غزة تبوك الذي اسـتخلفه رسول الله صـلى الله عليه وآله على المدينة في غيابه وقال له انت منى بمنزلة هارون من موسـى إلا أنه لا نبي بعدي وفي لفظ الى النبرة (خصائص أمير المؤمنين، النسائي: 77).

معركة أحد

وجاءت معركة أحد طامعة بخنق الوليد الجديد .. فإذا الردة فيها تبرزبرأس ثعلب وقلب ارنب .. تتلوى على نفسها كأنها أفعى.

إنها صدمة العقل بجهالته، وصدمة القلب بضعف إيمانه، وصدمة الوعي بقصر بصيرته.

واي عزم يفقد هذه المقومات يبقى لديه بارقة من شجاعة أو نزوة من إرادة؟

وهكـذا كان .. فإن إشاعـة مقتل النبي في أحد نفثت سـمها، فانقلبت شـجاعة الضـعفاء من أهل الصـحابة الى وهن وانسـحاب، من حيث تضاعفت شجاعة المؤمنين فاستحالت إلى بطولة .. ذلك هو تأثير الصدمات في النفوس العزومة.

اما ابن ابي طالب، فقد اقتنص الصدمة في يوم أحد ليحولها الى ذلك الهتاف المدوي :

لا سيف إلا ذو الفقار*** لا فتى الا علي

تلـك الردة بالـذات وان تكن تحمل في قلبها عجوفها كما يحمل الصـدور جرثومـة دائه ، فإنها في كل حين تتثاقل على هزائمها لتخوض بها معارك جانبية ببطولات تدعيها، ولكنها تلبث دائما بطولات معكوسة يلعنها التاريخ فيما يسجلها عليها في باب التهديم والتخريب.

ص: 121

ذلك النوع من الردات عاش أحـدا وعاش فيما بعـد أحـد، وكثيرا من عانى صـدماته ابن ابي طالب على طول خط جهاده، وكان دائما يقابلها بنفس المصدر وعين المستوى.

وتوالت المعارك بعد أحد .. كل معركة تشتد ضراوتها عن الأخرى بنسبة ما كان يشتد توطيد قد الرسالة على أيدي المهاجرين والأنصار.

وكانت دائما فيها الصدمات تتحول الى غنائم، لأن مفهوم الرسالة كان قد غدا أكثر وضوحا عند المدافعين والمجاهدين

ويكفي أحدا نصر يقدمه أنس بن النضر،(1) وان كان محمد قد قتل بإن رب محمد لم يقتل!

وهكـذا اخذ الجهاد ينتقل من ماديته إلى روحانيته ، من قتال يطمع في سبية إلى جهاد يطمع الى تحرير سبية ، من نضال يسـتنزل الجنة في على الأرض إلى نضال يرفع الأرض إلى الجنة، ومن دفاع عن محمد بلا رب إلى دفاع عن محمد له رب السموات والأرض.

ولقـد حققت هـذه الروحـة بطولة ابي دجانة الأنصاري، إذ لما أراد الرسول ان يحله من بيعته بعد هزيمة الناس في احد بكى بين يديه وقال : والله ! إلى اين انصرف؟ إلى زوجة تموت أو ولد يفوت أو دار تخرب أو مال ينفي أو أجل قدا .

1- أنس بن النظر بن ضـمضم، عم انس بن مالك (مناقب أهل البيت ، المولي حيدر الشـيرواني)، عن انس ان انس بن النضر سميت به ولـم يشـهد بدرا مع رسول الله صـلى الله عليه وآله و فكبر عليه فقال اول مشهدة شهده رسول الله غيبت عنه صلى عليه وآله و أما والله أداء أراني مشـهدا مع رسول الله صـلى الله عليه وآله له فيما بعد ليريني الله ما أصنع قال فهاب أن يقول غيرها نشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد من العام المقبل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو اين قال واهن لريح الجنة أجدها دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون بين ضربة وطعنة ورمية فقالت عمتي اخته (اخت انس بن النشر) فما عرفت أخي إلا ببنانه.. (صحيح بن حبان: 9/15).

اقترب .. ويبقى وعليا جناحين على المعركة حتى قتل، وقد تحقق له الانتصار).(1)

ص: 123

1- لقد كان موقف علي عليه السلام في يوم أحد عظيما حتى باهي الله به ملائكة السماء فعندما انهزم المسلمون لم يبق غير علي يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وآله له ودينه (الجواهر السنية ، الحرالعاملي: 301).

وقعة الخندق

*وقعة الخندق(1)

ولم تكن وقعة الخندق إلا من تلك الوقعات التي تألب فيها الشرك مجمعا من كل شتيت.

فقد توحدت احزابه على اختلاف نزعاتها، وتوحدت لمجابهة الخطر المداهم، والخطر كان من نوع العاصفة التي كانت تهب على جدران متداعية، ولكن السنين الخمس التي مرت على الرسالة لم تكن إلا لتهزأ بالعدد المجمع على غير توازن، وبالقوة المعبأة على غير تلاحم .. وإن القوة التي تجلت على زندي عمرو بن عبدود لم تكن من وزن البطولة التي كان يعتمر بها صدر ابن ابي طالب.

لذلك كانت الغلبة في وقعة الخندق للقوة المتصلبة بالحق المبين، وكانت الهزيمة للقوة المنتفخة بالكفر المزندق.

وليست القاعدة لتخطأ .. فإن الذي دافع عن حق واقتناع هو دائما في صف المنتصرين .. ولا فرق إذ ذاك أن يكون النصر لديه بضربة السيف أو بقرعة اللسان، والنصر لن يكون إلا في نهاية الميدان.

وبهذه القوة المتصلبة تم فتح مكة وثقيف وهوازن بسلسلة من المعارك أخذتفيما بعد تتضاءل الواحدة منها عن الأخرى ، لأن المقاومة بعد هذه المدة

1- حدثت في السنة الخامسة للهجرة حيث تجمع الأحزاب والقبائل واليهود بقيادة عمر بن ود على الإسلام وقد علم الرسول بعدتهم وعددهم فحفر خندقا حول المدينة ولم يستطع المشركون عبور الخندق إلا عمر ابن ورد العامري الذي على صوته بالمبارزة فلم يبرز اليه احد من المسلمين إلا علي فقال عنها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: برز الإسلام كله الى الشرك كله فلما قتله علي عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أبشر يا علي فلو وزن عملك اليوم بعمل امتي ترجح عملك بعملهم (ينابيع المودة ، القندوزي: 281/1).

من الزمن صـبح لها شأن معكوس عن الشأن الـذي كان لها في المبتـدأ حتى الردة، فإنها انكمشت وأحضـى مفعولها متسترا في قرارة بعض النفوس بدلا من ان يكون على السواعد والأبدان.

والردة، بحد ذاتها، ليس لها مفعول النضال على ايمان، لأنها فاقدة الإيمان .. وهي وان تفعل فإن فعلها لا يكون إلا كخبط عشواء دون هداية ، لأنها دون أهداف .. حتى وأن يكن لها بعض الأهداف، فهي حقيرة وقصيرة ، سريعا ما تذوب مع الزمن

هذا ايجاز لأهم ما برد من أحداث منذ طرحت الرسالة كدعوة على الرأي العام حتى جلاء صاحب الدعوة عن الميدان.

حقبـة ليست بالطويلة إذا ما قيست بالزمن، ولكنها كانت أبعد بكثير منالفسـحة التي انفتحت عليها، ولقد فعلت كما تفعل الشـرارة في قلب البراكين .

أما أن نقول أن فعلها هذا كان في كل النفوس على السواء، فذلك ما لـم يكن على الإطلاق.

فالتفاوت موجود وان يكن الشبه قريبا .. الشبه وحده يجمع جنس البشر بكل ما تجمع به الاشباه .. فهو الشبه الواحد المشترك كالعين واليد، فلكل إنسان عينان ويـدان، وغير أن العين عنـد أي إنسان تحمل من الميزان المتفرقـة عن عين أي انسان آخر ما لا يتمكن حتى التصوير من حصرهاوتعدادها.

أحرى بـذلك النفوس وما تنطوي عليه عوالمها من مذاهب واهواء تتفرع بها إلى نواح، ومنها ما يضـبطها المحسوس، ومنها ما يجنح بها إلى ما ورائه في شتى التيارات، على تباين قواها ودوافعها ومسانيدها، وتحكم العقل بها أو

ضياعها عن ضوابطه .. إلى آخر ما يمكن أن يجعل ازالة الفوارق بين إنسان وإنسان في حكم المستحيل؟

غير ان ذلك لا يمنع كون خطيئة التيارات الفكرية التي وحدها التي تقدم البونقة التي تنصـهر فيها مذاهب الناس لتتقارب فوارقها وتنسـجم مناهجها وتستقيم بوادرها في سبيل وحدة التفكير وجمع القوى لما هو خير المجتمعات الإنسانية.

والتيارات الفكرية هذه تجترح الاعجوبة بقدر ما تحمل في قلبها من قيم تتناسب مع حاجة الإنسان.

ويقدر ما تقدم له من صحة هذه القيم، بقدر ذلك يكنها أن ترافقه في حياته .. اما من يوم الى يوم، أو من جيل إلى أجيال.

على هذا المجال الطويل رافق الإنسان رسالة الإسلام .. رافقها منذ ذلك اليوم، ولا يزال يرافقها حتى الساعة، لانها اخصبت حاجاته من قبل كما اخصبتها من بعد.

هـذه النظرة في القيم هي تلك التي فعلت في كل كيان ابن ابي طالب ، فإذا يوما من أيامها، ولم يقعـده عن الظهور عليها لا ملل ولا كلل .. حتى الرمد(1) فإنه ازيل عن عينيه على طريقة الأعاجيب كي لا يحسب عليه تنقيص خوضة من خياض الغمار.

1- . اشارة إلى فتح حصن خيبر فعندما كان علي ارمد العينين ونال رسول الله صـلى الله عليه وآله له بعدما لم يلفح الأول والثاني بن الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فتطاولت لها اعناق القوم، فلما كان الغـد دعا عليا وكان ارمـد فمسـح على عينيه واعطاه الراية ، وذكر مرحبا وبرز اليه وقتله وفتح حصن خيبر (العمدة ، ابن البطريق : 855).

كل ذلك لأخلص الى القول: أن علي ان ابي طالب عاش الرسالـة منـذ أن فهمها، وتقبل كل الصـدمات التي اعترضت سبيلها تقبل المؤمن الصامد .. فإذا به في نهاية الأحداث عند موت النبي ، قطب من اقطابها يشار إليه بالبنان.

وبعد موت الرسول ..

وديعة تسترد ووديعة تترك أمانة .. والأمانة هذه هي تلك التي ولدت في الأمس فتشـردت، ثم لم تلبث أن اسـتجمعت من تشريدها فصارت تلك الانفتاحية المنساقة.

وليس قليلا منا كلفها بلوغ هذا المستوى، فلقد تدرج الجهاد في سبيلها بدماء اسقيها على شديد من الظمأ.

ثم أنها، بهذا الاستطراد الذي كان لها في نموها، أخذت تتطاول بعنقها الى ما بعد آفاق الجزيرة

(1).. ولم يعد شأنها كما كان في الأمس، فلقد اضحت من الوزن الجليل اثقل من الكواهل، وأطول من العمر، وأبعد من المكان.

وها هي اليوم تترك حضن صاحبها لتستلقي على اكتاف الذين ترعرعوا في حضنها.(2)

إنها المسؤولية بكل مداها .. وليس المدي إلا بالغ الأهمية ..

فالقضية المطروحة بلغت مستوى يتناول الإنسان فيه حياته وفي مصيره، في حياته مفرد، وفي حياته كمجتمع، وفي مصيره كعابر من فناء الى بقاء، فهي إذا

1- اشارة الى الفتوحات الإسلامية في العراق والشام ومصر وبلاد فارس

2- اشارة الى الرسالة والقيادة الإسلامية.

تتناول الحياة في كل نواحيها الفلسفية ، اجتماعية كانت أم دينية .. ترتبط هذه بتلك كما ترتبط الروح بالجسد.

فمن هو الذي يتمكن من تحمل المسؤولية، وملءالمركز الخالي، واستلام الحكم، وتوجيه الدفة في السفينة التي نشرت اشرعتها وأخذت تسير في عرض اليم؟

ليس من الأهمية بمكان أن يورد في هذا الصدد كل الجدل الذي قام في ذلك الحين بين المهاجرين والأنصار في أي منهم هو الأحق بالخلافة، فإن ذاك كان من نوع الصميميات، وكانت تمليه حالات معينة بالنسبة للمجتمع والعصر وبالنسبة للرسالة..

غيران الذي حصل ثبت هذا الحق للمهاجرين في الدرجة الأولى كجزاء مباشر لما قاسوه، وهم أول من قاسي في سبيل دعم الرسالة والذود عنها بأرواحهم وأجسادهم.

وكانت الخلافة الأولى من نصيب (أبي بكر الصديق) بالحجة نفسها التي أخذ بها المهاجرون والأنصار.

أخذ ابن أبي طالب رفقاءه المهاجرين .. فهو أولهم إيمانا بالرسالة ،وأبلغهم نصرة لها، وأشدهم قربي لصاحبها، واعمقهم فهما لمضامينها.(1)

1- جاء في صحيح البخاري : 39/3 ، باب غزوة خيبر، وصحيح مسلم: 72/2 من كتاب الجهاد والسيرة ، أن أمير المؤمنين عليه السلام و تخلف عن البيعة وأنه لم يصالح حتى لحقت سيدة النساء بأبيها عليهن السلام و بستة اشهر حيث اضطرت المصلحة الإسلامية العامة في تلك الظروف الحرجة إلى الصلح المسالمة وان عليالماصالحهم نسب اليهم الاستبداد بنصيبه من الخلافة وقال مخاطبا أبا بكر: فإن كنت في القربى حججت خصيمهم ***فغيرك أولى بالنبي واقرب وإن كنت بالشورى ملكت امرهم ***فكيف بهذا المشيرون غيب

ولربما كان أبو عبيـدة بن الجراح أشد حرصا على مسـتقبل علي من علي على نفسه، إذ أجابه عن احتجاجه : انك حديث السن، وهؤلاء هم كهولها، فاتركهم لها مع تجاربهم .. وان تعش ويطل بك البقاء فأنت لهذا الأمر خليق وحقيق !!

وتقبل ابن ابي طالب الصدمة، وانكفأ بها إنكفاء الكريم على الأذية.

ولم يثرها اثارة الضغن كما اثارها سعد بن عبادة،(1) بل راح يجمع القرآن، يفتق منه على نفسه فتيق بيانه.

كما ان موت فاطمة في هذا الوقت جاء عليه بصدمة ثانية فتحت في نفسه كوة السماح.

قال في خطبته (الشقشقية)(2) : (فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى).

ان السبب نفسه جعل الخلافة تنتقل بعد موت الخليفة الأول، عابرة عنه، إلى (عمر بن الخطاب)، كهل آخر من كهول الصحابة).(3)

1- سعد بن عبادة الخزرجي، كان سيد الخزرج وكان جوادا مطعاما وكان يطعم الوفود الوافدين على رسول الله صلى الله عليه وآله وكان ابنه قيس على شاكلته.(اعيان الشيعة، محسن الأمين : 7/224).

2- الخطبـة الشقشـقية : (أَمَـا وَ اللـهِ لَقَـد تَقَمَّصَـهَا فُلَانٌ وَ إِنَّهُ لَيَعلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنهَا مَحَلُّ القُطبِ مِنَ الرحى يَنحَدرُ عَنِّي السَّيلُ ..... (نهج البلاغة : الشريف الرضي:50).

3- 3. عن زيد قال لما ثقل ابو بكر وأراد أن يسـتخلف عمر فقالوا اسـتخلفت علينا فضا غليضا فهو إذا ولي كان افض وأغلظ ماذا تقول لربك إذا أتيته وقد استخلفت عمر قال: أبربي تخوفوني ، أقول امرت عليهم خير أملك (تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر: 3/413)

ورضخ ابن ابي طالب للواقع الجديد، وتناول الصدمة الجديدة بإيجابية المؤمن الراسخ، وراح يعاون الخليفة في كل ما كان يشكل عليه من حلول(1).. معاوية الحريص على مستقبل رسالة هي جزء من قلبه كما هي جزء من دماغه.

عشر سنوات مرت على ابن الخطاب ختمتها ضربة سيف من يد ابي لؤلؤة.(2)

1- . فقد ملئت كتب التاريخ ما جاء عنه بهذا الخصوص مثل (لولا علي لهلك عمر) و (أعوذ بالله من معضلة ليس فيها علي) .. وغيرها (ينابيع المودة القندوزي: 197/2).

2- لما طعن عمر قيل له : لو استخلفت قال لو كان سالم حيا لاستخلفته ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته ، ثم قال : لا جعلنتها شورى بين ستة وعينهم من قريش وولي أبو طلحة زيد بن سهل الخزرجي على خمسين من الأنصار وأمر سهيا ان يصلي بالناس ثلاثة ايام فإذا انتهت الأيام الثلاثة واتفقوا على واحد فيضرب ابو طلحة عنق الذي يخالفه، وإن اجتمع ثلاثة على رجل وثلاثة على رجل كانوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف وان صفت عبد الرحمن باحدى يديه على الأخرى عليهم أن يتبعوه ومن ابى اضربوا عنقه ، فلما توفي الخليفة قال عبد الرحمن اني اخرج نفسي منها وسعدا على أن أختار أحدكم فأجابوا إلا عليا واخلف عبد الرحمن ان لا يميل الى المرى وان برتر الحق وان لا يجابي ذا قرابة فخلف له فقال : أختر مسددة ، ثم اجتمعوا في مسجد الرسول فمد يده الي علي وقالية مدد يدك ابايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين فقال أسير فيكم كتاب الله وسنة نبيه ما استطعت ثم مد يده إلى عثمان فوافق على ذلك. ثم مد يده الي علي وقال امدد بدك لابايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين فقال أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه مااستطعت ، ثم مد يده الى عثمان فوافق على ذلك ، ثم مد يده إلى علي فقال مثل مقالته الأولى فأجابه مثل الجواب الأول ثم قال لعثمان مثل المقالة الأولى فأجابه مثلما كان أجابه ثم اتجه الى علي قال له مثل المقالة الأولى، فقال الإمام علي ان كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معهما الى طريقة أحد أنت مجتهد ان تزوي هذا الأمر عني ، فاتجه عبد الرحمن الى عثمان واعاد عليه القول فاجابه به مثل ذلك الجواب فصفق على يده وبايعه فقال الإمام علي لعبد الرحمن حبونه حبوة دهر ليس هذا أول يوم تظاهرتهم فيه علنا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان الا ـ ليرد الأـمر إليك، والله كل يوم هو في شأن وبايع أصحاب الشورى عثمان وكان علي قائما فخرج منضبا (معالم المدرستين ، السيد مرتضى العسكري: 1/349).

وجاء دور الخليفـة الثالث (عثمان بن عفان)، فكانت الصدمة فيه على ابن ابي طالب أشدالصدمات واعنفها،(1) لتكون فيما بعد أبهاها على بلورة شخصيته واكتمال نضجها.(2)

1-

2- جاء مناقب آل ابي طالب ، ابن شهر آشوب 289/1 : قال عثمان بن عفان للإمام أمير المومنين عليه السـلام ها: إنك ان تربصت بي نقد تربصت بمن هو خير مني ومنـك قـال ومن مر خير مني، قـال : أبو بكر وعمر، فقال عليه السـلام : كـذبت انا خير منك ومنهما عبـدت الله قبلكم وعبدته بعدكم.

خطيئة عبد الرحمن بن عوف

لو كنت تدري، يا سـيدي، ان للقرن العشـرين حقا بمحاسبة هفوة مر عليه اربعة عشر قرنا لكنت في ذلك الوقت اشد تدقيقا باختيارك الرجل الذي يفضل ان تلقي على كتفه مقاليد الحكم بتناول الأرض والسماء على السواء!

إن ذلك كان يتطلب منك كثيرا من اليقضة وبعد النظر.

حتى لا مجلس الشورى السداسي الذي انتدبك للمهمة كان اقل منك تحملا للمسؤوليات تجاه المعاضل.

فالقضية التي كانت مطروحة بين يديك لم تكن لشخصك ومجلس الشورى بأكثر ما هي لا تزال تخص عصرنا الحاضر.

فالرسالة بالذات التي كانت أطروحة النبي لبني قومه، خرجت من نطاقه الجليل ومن نطاق الجزيرة لتصبح ملك الناس على اختلاف بيئاتهم وتعداد أجيالهم.

لهذا، كان عليك واجب التحفظ في الانتخاب حتى لا تتعرض الرسالة في مهدها لهفوات انتكاسية قد تعرقل سيرها في زحفها الصاعد.

فإذا ما ربطت المصير بسؤال عابر وجواب خفيف، فأي شيء تكون قد تعمقت فيه وقطعت عنه سوء أسبابه ومغبة مصيره؟

ولنحصر التهمة ..

لقد ألقى عليك التكليف، يا ابن عوف، لاستمزاج الآراء وتقديم بيعة الخلافة للأنسب أن لم نقل للاحق والأفضل.

فلم تستمزج ابن ابي طالب رأيه إلا بشرط ولم تستمزج ابن عفان رأيه إلا بشرط؟

والشرط هنا والشرط هناك كان شرطا هزيلا،(1) ولم يكن ليصلح أساسا للقضية المطروح من أجلها.

فإنك، قبل كل شيء، كنت تعرف الاثنين حق المعرفة .. فهنا رفيقان في جهاد طويل، لم يغب عنك فضل هذا ولا فضل ذاك..وانك ما كنت تجهل أنه ما تجمعها الرسالة فقط يفرق بينهما مقدار فهمها، وأما تربطهما بها بطولة الجهاد فقد يكون واحد منها مجليا عن الآخر في مضمارها .. وأما تشدهما إليها همة قعساء فقد يفوق واحد منهما على الآخر بما كان له من انتاج.

وهكذا كان بإمكانك أن ترى بين سيدين كريمين في ايهما يمكنه لعزمه واقدامه أو لفوته وبعد نظره .. أو بالنسبة لقدرة مع ضعف همة على شيخوخة ، وقدرة على مضاء عزم على فتوة.

كل ذلك كان من الواجب اعتباره قبل ان تطرح السؤال الضعيف: (أبا يعك يا علي شرط أن لا تجعل أحدا من بني هاشم على رقاب الناس) !!.(2)

(أبايعك يا عثمان شرط ان لا تجعل أحدا من بني امية على رقاب الناس).

ومن البديهي أن ندرك أن عثمان بن عفان خلعت عليه الخلافة لأنه رضي بالشرط، ومن البديهي ايضا ان يحصل ان عليا بن ابي طالب لم تصل الخلافة اليه لأنه رفض الشرط.

1- شرط البيعة على كتاب الله وسنة رسوله و سيرة الشيخين وهذا ما رفضهرفضا قاطعا الإمام علي وقبله بالمقابل عثمان فيما يخص سيرة الشيخين

2- تقدم أن الشرط من عبد الرحمن بن عوف هو غير هذا .. إنه طلب من الإمام أولا ثم من عثمان: العمل بسيرة الشيخين ، فرفض الإمام وقبل عثمان، راجع شرح النهج ابن الي الحديد : ج1، عند ذكر (الخطبة الشقشقية) .

فالذي وصل قبل المساومة، والذي خاب رفض المساومة .. وبين القبول والرفض ترجح كفة الميزان.

ثم لك إنك نزلت شرطك هذا يا سيدي في دستور الدولة منزلة التنفيذ.

ولكن عثمان بن عفان قد استهان بشرطك، ولم يشعر بأنه كفر، لا بك ولا بدينه، لأن شرطك لم يكن من الدين في لزومياته .. وها هو يطيب له أن يحشر بين اركانه كل أصلاب بني أمية.

ولم يكن ذلك ليضيره لو لم يضره هؤلاء بخروجهم عن النهج الحكيم ولم يضيروه وحده، بل ضاروا الرسالة التي لا تزال في طور الطفولة.

أما ذلك الذي لم يرض بالمساومة، فإنه كان يتمنى عليك ان تتجنب شرطة لا لزوم له وان تؤمن به أنه خليق بوضع الأمور في مواضعها، وأن الذي عليه ان يكون مؤتمنا على بيت يؤتمن ضمنا على قصعة موجودة بين أثاثه.

ان الشرط، بحد ذاته، هزيل يا بن عوف .. لو لم تختبئ خلفه نية مبيتة .. والنية المبيتة كان لها أسوأ النتائج.

بين عكسين

الأول – فراغ يمتلاء:

ان فسحة العشرين عاما التي على علي بن ابي طالب، منذ سنوات الرسول حتى تسلمه الخلافة، لم تكن بالفسحة البسيطة، لا بطول مداها ولا بقيمة الأحداث التي مرت عليها.

وهي وان تكن تعتبر فراغا بالنسبة لعدم تحمله فيها أية مسؤولية إدارية، فإنها بالحقيقة كانت فراغا يمتلأ.

وليس يفهم من كلمة (فراغ) أن ابن ابي طالب في هذا الوقت الطويل عن الساحة، بل العكس، كان فيها ملء السمع والبصر .. غير أنه كان يحتل فيها برج المراقبة.

فالرسالة التي اغمض عينيه سيدها العظيم عن رعايتها تناولها أبو بكروعمر وهي على شيء من التوجيه والتركيز، وها هي الدولة بدأت تشق طريقها الشائك بين ادغال التقاليد والعادات ، وبدأت تنبت نبتا طريا يتطلب كثيرا من العناية والانتباه.

ولقد فاضت قوة الدولة بعد ان تلهت قليلا بقمع ثورات الردة التي شاغبها بها بعض القبائل في اليمن واليمامة وعمان، وهاهي تنصرف الى الفتوحات يمينا وشمالا.

فمن جهة أولى، انكشف العراق ، ونهبت المدائن بما فيها كنوز القصرالأبيض.

وتربع سعد بن أبي وقاص على ايوان كسرى، ثم طاعت للعرب بلاد فارس، وراحوا يدقون قضاتهم على أبواب الهند.

ومن جهـة ثانيـة، كانت الشام تفتـح أبوابها لعمر بن العاص وخالـد بن الوليـد ومعاويـة بن أبي سـفيان وأبي عبيدة بن الجراح من حيث هزم (هرقل) وقال وهو يرحل وداع المشهور: (عليك يا سوريا السلام ونعم البلد أنت للعدو !).

ومن جهـة ثانيـة، كانت مصـر، بقيادة عمرو بن العاص والزبير بن العوام تفتح الطريق أمام الفاتحين .. من حيث قبل المقوقس) بدفع الجزية على يد الأسود عبادة بن الصامت .. وبذلك تكون قد انكشفت الطريق إلى افريقيا كلها.

كل هذه الفتوحات قد تحققت على يد ابي بكر، ثم على يدي عمر بن الخطاب.(1)

وتدفقت على الدولة كنوز وخيرات لم يحقق مثلها من قبل أي يوم من تاريخ الجزيرة.ولم تعرف فيما مضى غزوة أبلغ وأسخي من هذا الغزو المفتوح الممتـد على طول الجبهات من الشـرق ومن الغرب ومن الجنوب على السواء .. كأن النعيم فتح شـئابيب الكوثر، فتدفقت مجارفة تغمر الجزيرة غمرا معسولا.

1- هذه الفتوحات كلها كان قد بشـر بها النبي الأعظم صـلى الله عليه وآله و المسـلمين في حياته، ومنها قوله لسـراقة بن مالك كيف بك يا سراقة اذا البست بعدي سواري كسـرى) فما فتحت فارس دعاه عمر والبسه سواري كسـرى وقوله صـلى الله عليه وآله السلمان (إنه سيوضع على رأسك تاج كسـرى) ، فوضع التاج على رأسه عند الفتح وقال (انكم سـتفتحون مصـر فإذا فتحتوها فاسـتوصوا بالقبط خيرا فإنه لهمرحما ونمة) يعني ان ام ابراهيم منهم، وقوله صـلى الله عليه وآله: (انكم تفتحون رومية فإذا فتحتهم كنيسـتها الشـرقية فاجعلوها مسـجداى وعدوا وسبع بلاطات ثم ارفوا البلاط الثامنة فإنكم تجدون تحتها عصى موسى و كسوة ايليا) (مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوبا: 95/1).

وفيما كان أبو بكر وعمر بن الخطاب يقضمان الدنيا على زهد بها، تاركين الفتح يجتاح الشرق والغرب على فرس جموح مرخية اللجام، كان سعد بن أبي وقاص يتربع على ايوان كسرى ليبني على مشكله قصره في الكوفة، ويجمع اليه كل كنوزه.

وكان القواد يتلهون بالغنائم والسبايا، وكان الزبير بن العوام يملك الف عبد وألف أمة.

في هذا الوقت من توسع الدولة، كان ابن ابي طالب مرابطا في برجه الكبير، يحصر مشاهداته، ويجمعها الى بساطه، ويتساءل : هل من أجل كل هذا طرحت الرسالة؟

ألم يقل الله تعالى : (۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ).(البقره/177)

والتوسع الذي حصل، والذي توصلت اليه الدولة، هل هو تحقيق للرسالة، أم (هل)(1)أنه لا يزال مطية للجاهلية ؟؟

والجاهلية التي جاءت الرسالة لدك معالمها، اتراها تناولت الرسالة لتعود فتنسكب فيها؟

واي تأثير كان للرسالة على (طي) و (أسد)؟

1- لا توجد في الأصل والصواب ما اثبتناه.

وما بال طليحة الكذاب(1) تنساق وراءه قبيلة غطفان ؟

وما شأن مسيلمة(2) وسجاح(3) من النبوة، ينجر وراءها بنو حنيفة في اليمامة وبنو تميم؟

وأية نبوة يدعيها الأسود العنسي (4)فتلبيه بها قبائل البحرين وحضرموت وعمان واليمن بالذات؟

ص: 138

1- . هو طليحة بن خويلد الأسدي قدم هو وقبيلته سنة 9من الهجرة المدينة فاسلموا ولما رجعوا ارند طليحة وادعي النبوة فرجه النبي صلى االله عليه وآله اليه ضرار بن الأزرد فضربه ضرار بالسيف يريد قتله فنيا السيف فشاع بين الناس أن السلاح لا يؤثر فيه ومات النبي صلى الله عليه وآله و فكثر اتباع طليحة من قبائل اسد وغطفان وطي وكان يقول أن جبرائيل ياتيك وتلى على الناس أسجاعا أمرهم فيهابتركة السجود في الصلاة فهاجم المدينة في عهد ابي بكر رفتله خالد ومات في عهد عمر. (أضواء على الصحيحين، محمد صادق النجمي: 371)

2- . مسيلمة الكذاب، هو سليمة بن ثمامة من بني طنين ادعى النبوة وكان من العمرين، نشأ باليمامة ، ولاظهر الإسلام في الحجاز وافتتح النبي صلى الله عليه وآله مكة وكانت له العرب جاءه وفد من بني حنيفة وكان معهم مسيلمة إلا إنه تخلف مع رجال خارج مكة فجاء الوفد الى النبي واسلموا واخبروا النبي بمكان مسيلمة ولما رجعوا إلى ديارهم كتب مسيلمة إلى النبي صلى الله عليه وآله من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله .. السلام عليك أما بعد .. فأجابه النبي: من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ..وكان مسيلمة يضع أسجاعا ليضاهي بها القرآن الكريم ونوفي النبي صلى عليه وآله: قبل القضاء على فتنته وفي عهد ابي بكر ارسل جيشا بقيادة خالد بن الوليد فقضى عليه سنة 22 ه.

3- سجاح : أم صابر وهي بنت الحارث بن عطفان بن سويد بن خالد يسن أسامة وتكهنت وتنبات فتبعها قوم من بني تميم رقوم من اخوالها بني تغلب ثم اتت مسيلمة الكذاب وهو بحجر فتزوجته وجعلت دينها ودينه واحدا فلما قتل صارت الى اخوانها فماتت عندهم، وقيل أنها هاجرت إلى البصرة وحسن اسلامها فتوح البدان، البلاذري : 1/118).

4- . الأسود العنسي: واسمه عجلة بن كعب كان يقال له ذو الخمار وهو من بني عنس، خرج بصنعاء وادعى النبوة و غلب على عامل صنعاء المهاجر بن أبي أمية ، وقد ادعى النبوة واخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وآله له في اليمن وقتل شر بن بازانوكان على صنعاء وتزوج بامرأة واستغل أمره، وجاء أهل اليمن كتاب النبي صلى عليه وآله بأمرهم بقتله فتغير عليه قيس نعزم هو وفيروز وذا ذريه بقتله قتله فيروز في فراشه بمساعدة زوجته واتى خبره الى النبي في الليلة التي قتل بها من السماء فقال صلى الله عليه وآله : قتل العنسي قتله رجل مبارك من اهل بيت مباركين (الكنى والألقاب، عباس القمي: 2/248).

وأن تكن سيوف المسلمين قد اخضعت هذه الردات المعكوسة وقادتها صاغرة الى الحضيرة، فكل كان ذلك النجاة بحيث يمكن القول أن تلك القبائل المرتدة أو المسترجعة من ردتها اصبحت مقنعة بصدق الرسالة؟

والفتح بعد حروب الردة ، الفتح عينه الذي فيض الجزيرة على حدودها، وفيض عليها حدود غيرها.. هل هو الفتح الأكيد والفتح الصحيح الذي تتوخاه الرسالة كما جاء في القرآن الكريم (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا)(النور/27)، (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ)(النحل/90)، (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (الاعراف/199)، (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)(الاعراف/33)،(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)(الحجرات /13)..وكما يقول الرسول: (ليس منا من دعا إلى عصبية أو قاتل عصبية) .. وكقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)(التوبه /111)؟؟

تلك الآيات من الرسالة .. ولم تشر أية واحدة منها الى حق اقتناء العبيد بالألوف، أو الى حق اقتناص الثروات بالملايين أثر غزوة رابحة أو معركةدامية.ولم تبح استغلال الناس وانتهاك الحرمات والاستمتاع بالسبايا ..

إنما جاءت عكس ذلك .. لتخلص الإنسان من رقه، لا لتحرره ويسترق سواه .. ولتعيده الى حضن ربه حرا عزيزا، لا ليجعل من فكاكه قيودا للآخرين .. ولتحرره من مركبات ضعفه ومن سيطرة المادة عليه.

أكانت المادة جوعا يشغل بطنه عن عقله أم بشمايلهي عقله ببطنه؟

وجاءت توقظ العقل على مداه ولا الشهوات على مداها، وجاءت تمحو عصبيات القبائل لتجتمع في عصبية واحدة تعتز بها الجزيرة.

جاءت تبني الجزيرة .. تبنيها إنسانا سويا .. ثم مجتمعا سويا .. ثم انطلاقه سوية.

والجزيرة، حتى الآـن، لم تبن .. إنهـا في نظر ابن ابي طالب في حاجـة إلى بناء يتناول الأساس .. الإنسان أولا(1) .. الحاكم هو أول إنسان يجب ان يبني.

وقـد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الموالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وأمانة المسـلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته .. ولا الجاهل فيضـلهم بجهله .. ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم، ولا المرتشـي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف منها دون القاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة.

وليست المهمة بالأمر اليسير .. فإن تثقيف شعب لا يكون إلا بانعكاس طويل الأمد يعكسه حكامه وقواده عن طريق القدرة والتطبيق.

والجزيرة كانت بحاجة إلى مثل هذه المدرسة الواسعة بل أن تستنفر قواهاللقيام بحملات فتوحية تنقلها إلى ما وراء حدودها.

وحدودها كانت مكشوفة لما تحصن بعد .. ولقد جاءت الرسالة لتحصينها.

1- لهذا لم يكن للفتوحات الإسلامية في عهد الإمام علي الكثير من الاهتمام والتركز، لأنه ان يركز على بناء الشخصية الإسلامية وشخصية القادة الربانيية القادرين على حمل عقيدة الإسلام الصحيحة لأن من خلالهم يتم نشر الإسلام الحمدي الأصيل.

وليس التحصين هنا بالمعنى العسكري، بل المقصود أنها لم تحصن بعد بحصون العقل الناضج والفكر المولد .. وهذا هو الذي كان يجعل فراغ جاهليتها أوسع من رقعتها.

ولهذا، فإن الفتوحات التي قامت بها، كانت ترتد دائما عليها بالغلبة، ولم يسجل لها أي انتصار إلا الرسالة التي قدرت أن تقدمها على رأس حسامها.

فإذا ما توفر للجزيرة ذلك البناء الصحيح، فإنها من نفسها تفيض على ما حواليها بفتوحات تحقق النصر، بدون حاجة ال السيف، بل بقوة الفكر المشع بالحق والعدالة.

والرسالة لم يحقق لها السف تلك الغلبة بقدر ما حققها لها العقل الذي تحمله.

كل ذلك كان يراه ابن أبي طالب وهو في عزلته..

كان يرى قبائل (طي) و (اسد) و (غطفان) و (بني تميم) لا تزال تفعل فيهم الجاهلية فعلها الأول.

وكان يرى الخط الذي يمشي عليه بنو هاشم وبنو أمية كيف كانوا يتنازعون عليه للوصول إلى كرسي تختبئ تحته مفاخر الزعامات ومكاسبها.

وكان يرى الفتوحات تحقق غير أهدافها وتستثمر غير يوانعها.

وكان يرى أن الجزيرة التي كانت لا تزال غافية حتى ليلة أمس ، هبت كما يهب النائم المذعور لتنعم بالاسلاب والغنائم على حساب الرسالة المنورة من حيث اصبح الجهاد في سبيل الغنائم أكثر مما هو في سبيل تحقيق الأهداف.

ص: 141

كل ذلك كان يراه ببصيرة المراقب، وكان يعد له العدة الواقية ليجعلها موضع التنفيذ إذ تنتهي إليه مقاليد الأمور.

أما تلك العدة، فإنها كانت تتحلى أكثر مما تتحلى بالصلابة التي لا يمكن ان تقبل بالمساومة.

هكذا كان شأنه عشية تلك الاستشارة التي تقدم منها بها عبد الرحمن ابن عوف، من حيث توصلت الخلافة الى عثمان بن عفان.

ص: 142

الثاني - ملء يفرغ:

وهذا شيخ مسن، تصله بالخلافة نزعة قبلية.

على رسلك يا بن عوف !.. أردته شرطا، وأنه لكذلك؟

فلن يعاون عثمان بن عفان إلا النخبة التي طبختهم مبادئ الرسالة، وكلكلتهم مواطئ الأحداث، ووسع النضج عقولهم ونفوسهم، وطرحوا الدنيا كأنها احقر من نواة، وعملوا للآخرة كأنها لديهم نعم المثوى ونعم الملاب!

أما ذلك الذي أبعده الرسول لأنه كان يكتب لديه وشك بصدق وحيه، فإن عثمان ابن عفان لم يجد أصلح منه مساعدا له في الحكم، لذلك كان عبد الله ابن أبي سرح (1)واليا على مصر. وكذلك الوليد بن عقبة(2)، ذلك الآخر الذي استحق لعنة النبي، فإن الكوفة تنتظره لسد الفراغ فيها وضبط كل أمورها وأحوالها.

1- هو أخو عثمان من الرضاعة أسلم وقدم المدينة وكان له خط حسن وكان إذا نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله دعا وكتب ما ميليه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وكان اذا قال له رسول الله صلى اله عليه وآله و (سميع بصير) يكتب (سميع عليم) وإذا قال له (والله بما تعلمون خبير) يكتب (بصير) ويفرق بين التاء والياء وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : هو واحد فارتد كافرا ورجع إلى مكة وقال لقريش والله ما يدري محمد ما يقول أنا اقول مثل ما يقول فلا ينكر على ذلك فإذا انزل مثلما ينزل فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله و في ذلك (وَمَن أَظلَمُ مِمَّنِ افتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَو قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَم يُوحَ إِلَيهِ شَيءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثلَ مَا أَنزَلَ اللهُ) فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله ال مكة أمر بقتله وجاء به عثمان قد اخذ يبله ورسول الله في المسجد فقال يا رسول الله اعف عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله ثم اعاد فسكت ثم اعاد فقال هو لك فلما مر قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لأصحابه ألم أقل من رآه فليقتله؟ فقال رجل كان عينياليك يا رسول الله ان نشير إلى فاقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الأنبياء لا يقتلون بالإشارة فكان من الطلقاء (تفسير نور الثقلين، الشيع الحويزي:1/746)

2- هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخو عثمان بن عفان لأنه نزل فيه قوله تعالى: (إِن جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَا..) ولاه عثمان الكوفة فصلى بهم صلاة الصبح أربع ركعات ثم التفت اليهم فقال لهم هل ازيدكم؟ وشهد عليه رجلان بذلك عند عثمان فقال عثمان عليه السلام لعلي ع قم با علي فاجلده فجلده عبد الله بن جعفر اربعين أو ثمانين بأمر علي عليه السلام وكان يعد عليه.

ومروان بـن الحكم، (1)كان عنـده انظف وأقـدر من يمكنه اسـتلام الـديوان .. وللـديوان أهميـة كبرى، إذ عليه يتركز توجيه الدولـة وتعيين سياساتها الداخلية والخارجية.

وهؤلاء الموظفون الذين يجب أن يوزعوا ويشـرفوا على كل مراكز الدولة التي أخذت من حدود ارمينية وايران واذربيجان مرورا بالعراق وكل أجزاء الجزيرة الى الفسطاط في مصر، حتى

(دنقلة في بلاد النوبة)(2) حتى برقـة في طرابلس الغرب، حتى قرطاجنـة، حتى قبرص، حتى سوريا، وكل الممتلكات البيزنطية على شاطئ المتوسط، كل هذه الممتلكات المترامية الأطراف لم يكن

1- هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شـمس وكان مولده سـنة 2 ه وكان أبوه أسـلم عام الفتح ونفاهرسول الله إلى الطائف لأنه كان يتجسـس عليه فسـمي طريد رسول الله فراه النبي صـلى الله عليه وآله يوما يمشي ويلجلج في مشيه كاته يحكيه فقال له كن كذلك فما زال كذلك إلى أن مات و قاله ابن الأثير رويت اخبار كثيرة في لعنه ولعن من في صلبه وكان يقال لمروان ولولده بنر الزرقاء .. وكان هلاك مروان سنة هو سب ملاكه ان زوجته أم خالد بنت أبي هشام بنت عتبة كانت قبل زوجة يزيد غضبت عليه وغطته بومادة لما كان نائما عندها فتقعـدت على وجهه فقتلته، وقـد وصـفه الإمـام علي عليه السـلام لمـا اراد ان يبايع أنها كف يهوديـة لو بايعت بيـده الغلر بسـيباته (الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي: 297/1).
2- بلاد النوبة تقع في الجانب الغربي من النيل جاورت مملكة القبط، وهم ولد بيصر بن حام بن نوح تملكوا هناك ، فصارت التوبة ملكتين ، فإحـداهما: مملكـة الذين يقال لهم مقرة، وهم في شـرق النيل وغربه، ومدينة مملكتهم دنقلة ، وهم الذين ساموا المسـلمين ، وأدوا إليهم البقط (والبقط : هو ما سـقط من التمر إذا قطع يخطئه المخلب) في النهاية في غريب الحديث ابن الأثير: 145/1) (وفي القاموس المحيط للفيروز آبـادي أن البقـط : قماش البيت وجمع المتاع وحزمه وان تعطي الرجل البسـتان على الثلث أو الربع ..)، ويلادهم بلاد نخل و كرم رزرع، واتساع المملكـة شبيه بشـهرين . والمملكـة الثانيـة من النوبة الذين يقال لهم علوة، ومدينة مملكتهم يقال لها سوية والنيل متشـعب عندهم في عدة خلجان (تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي : 1/191).

اليقدر على ضبطها إلا هؤلاء الرجال الذين لا يمكن ان يجد عثمان الا من بين رجال بني امية.

هذا شرطك يا بن عوف، يضرب به عثمان عرض الحائط!

ولكن القضية لم تلبس أهميتها من هذه الزاوية وحسب فهي تتعدى هذا النطاق بكثير، إذ ليس مجرد تعيين رجال من بني أمية لاستلام إدارة الحكم هو الـذي سـيغير دفـة التاريـخ، فرجال بني أميـة هم كباقي رجالات العرب، ذكاء على حدة، وصـلابة على عزم، وصبر على جلد .. ومعاوية بن أبي سفيان راية بني امية وقطب من الأقطاب الذين يشح التاريخ بأمثالهم في الدهاء والمكر.

لم تكن القضـية إذا قضـية رجال للحكم يجب ان يكونوا من بني هاشم أو من بني أمية أو من فئة لا هي بالهاشمية ولا بالأموية حتى يستقيم الحكم وتبقى دفعة الفتوحات مستمرة في زخمها الصاعد.

إن القضية كانت بجذورها أكثر مما كانت بأطرافها.

ولم يكن لينجيها تنكب فئة عن الحكم وتسـليمه لفئة سواها، بل أن الذي يتمكن من ذلك كان افضاء الأمور الى رجال منخوبين، صـقلتهم الرسالة وطبعتهم بطابعها، لأن الرسالة بطابعها هي الوحيدة التي قدرت ان تجمع وحدات الجزيرة لتدفعها في قوتها المحزومة.

وان تلك القوة المحزونة هي التي تمكنت من تحقيق معجزة الفتوحات.

ولولا الرسالة، لكانت الأوضاع ما زالت هي اياها..

فسـيف خالـد بن الوليـد هو ذاته الـذي كان في يـده قبل الرسالـة فلماذا لم يتمكن من فتـح العراق وتفويض أركان حكومة (هرقل) لولا ان الرسالة هي التي شحذت هذا السيف ودفعت هذا الساعد وخلقت عقل هذا القائد.

ومعاوية ، ذلك الرجل الداهية، هو ذاته كان يعفر جبينه على اقدام (هبل) ولم يكن ليرى في الطرف الآخر بواسق الشام بخضرتها ونضرتها على ضفاف(بردى) حتى جاءت الرسالة .. فاستعار منها عزمه، واسترق من روعتها بريق خلوده، حتى دانت له أعز مدينة كانت تغور جذورها الى قلب اغارقة اليونان.

وسعد بن أبي وقاص، ربما لم يكن له بيت يأوي إليه إلا من الشعر والوبر، يوم كان يدير وجهه ليتبرك بمناة) ولم يكن ليحلم، لولا الرسالة التي امتطاها بعنفوانه الجاهلي، أنه سيتربع على إيوان كسرى.

كان ذلك يفعل الرسالة العجيب.

ولا شك في أن كل بعد عنها كان يرد العرب الى الواقع الذي كانوا فيه .. وهذا الذي قد حصل.

إن عثمان بن عفان قد ارتد اليه بعض جاهليته، وتنكب عن مضمون الرسالة.

وكما ان الرسالة هي التي خلقته لما امتلأ بها، هي نفسها، باستخدامه رجالا لم يعوها، أدت به الى فراغ رهيب.

ص: 146

مقتل عثمان

ما كنت تستحق القتل أيها الشيخ .. لولا.

فالقرآن الكريم الذي جمعت حروفه فأزلته ضمن دفتين من الصيانة(1)كان من اللازم على الأقل أن تحسب لك فضيلة حرزه و ترد عن صدرك نصلات النبال.

وقبلك، دقت نبلة العذر في صدر من خلفت . وكانت نبلة مسنونة بكلالمعاني، إلا أنها لم تقتل ابن الخطاب مثل ما قتلتك.

وللقضاء والقدر مخابئ في الأيام شديدة الاعتام .. منها ما يتحفز على نصلة تأكلها الصدي، ومنها ما ينساب بين الثنايا ينفث سمه من الفحيح، ومنها ما يتلبس جلد شاة تحته ظفر وناب، ومنها ما يتلوى بين زوايا غفت فيها الضغائن والأحقاد لم تلمسها قط كف الفضائل بالسماح.

أما أنت، فقد هيجت عليك، وكنت أنت المتغاضي عن اثارتها .. ولما أفقت كان قد سبق السيف العذل).

والفرق بينك وبين ابن الخطاب : أنه أثار عليه (أبا لؤلؤة)،(2) لأنه أراد أن يصون الجزيرة من أخلاط غريبة قد تؤدي إلى إفساد أمرها وعرقلة سيرها على

1- إن أول من جمع القرآن بين دفتين هو الإمام علي عليه السلام و فقد جاء (لما توفي النبي صلى الله عليه وآله اقسم علي ان لايرتدي برداء إلا يجمعه حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل) (تاريخ دمشق، ابن عساكر: 42/398).

2- أبو لؤلؤة هو غلام المغيرة بن شعبة وقد قام بضرب عمر بن الخطاب ست ضربات مخنجر له رأسان اداهن كانت تحته سرته وهي التي قتلته، وكان عمر لا يترك احد من العجم يدخل المدينة نكتب المغيرة بن شعبة الى عمر أن عندي غلاما بارا نقاشا حدادا فيه منافع لأهل المدينة فإن رأيت أن تأذن لي أن أرسل به فعلت ، فإذن له وقد جعل عليه كل يوم درهمين وفي أحد الأيام قال له عمر أن يضع له رحي وقال نعم أصنع لك رحى اشترت بين الشرق والغرب وقد التفت عمر لأصحابه فقال هددني هذا العلج بالقتل وخاف منه عمر واختار الانزواء عن الخلق مدة اربعين يوما وقد جعل لنفسه سربا تحت الأرض من بيته الى المسجد (مجمع البحرين، الشيخ أبو الحسن المندي : 222).

خطها الجديد .. فوقع صريع محاولته القاسية في سبيل النظر إلى مستقبل أمته كما دله رأيه.

أما أنت، فإنك تساهلت بإفساح المجال لانـدساس السـموم في جسم دولتك الطري عودها، فاغتالتك أنت تلك السـموم من حيث حسـبت عليك أخطاء القيادة.

ص: 148

أول ثورة

في تاريخ الجزيرة

إن الرهبة التي خيمت على الساحة وهي تمتص دماء الخليفة الصـريع، كانت من النوع الذي تخلفه العاصفة إذ تسكت فجأة تاركة في الجو سحب الغبار.

والعاصـفة التي هاجت ثم ركـدت، كانت من النوع المجنون الـذي يهب في الصـحارى دون ان تخفف وطأته لا حنايا الأوديـة ولا صـدور الجبال.

غيرأن الثورة ذلك شأنها في هبوبها .. أما شأن الحاكم فيها، فإن له كل القـدرة في تحريكها لتعصف في الوقت الـذي يكون هو فيه أضـعف من يقدر على ان يقف في وجهها.

وهكذا كان عثمان بن عفان .. فإنه تمكن من أن يخلق الثورة، لا بل إنها ترعرعت في حضنه منذ تربع على كرسي الخلافة .. ولم يتمكن من الصمود في وجهها.

ولم تكن الجزيرة لتعرف كثيرا الثورات بمعناها الحقيقي، رغما عن أنهاكانت تمارسها في أشكالها البدائية.

ذلك كان هو الغزو الذي كان استاذها الأول، الذي تتلمذت على يديه وحده ، ولم يقدر أن يقدم لها في مدرسته الضيقة إلا بعض فصول في الفروسية .. فأتقنت امتشاق السيف والرمح، ورمي النبال، وامتطاء الصهوات، واعتلاء الرواحل، والعدو السريع خلف الطرائد.

وجاء الإسلام في رسالته الجديدة، فكان ثورة على الأوضاع، وأول مدرسة علمت الجزيرة فروسية الانتفاضات وفنون الثورات.

وتعسا لأمة ليس لديها مدرسة كبيرة من هذا الجليل. وهكذا ابتدأت الجزيرة تشعر بقيمة الإنسان فيها.

فالإسـلام كان فجر تاريخها، ولقـد كان حكم الخليفـة الثالث أول امتحان التلاميذ المدرسة الجديدة التي رسخ ركائزها في المجتمع النبي العظيم.

وعثمان بن عفان منذ أن تسلم الحكم بتلك النفسية المستهواة بحب الوصول دون أن يكون لهذا الوصول إلا أهداف ضيقة، كان يهيئ لنفسه، دون ان يدرك مثل هذه النهاية المروعة.

فالأهداف الضيقة هي حتما از تشبع تضيق على ما فيها، والحاكم ليس إلا ليستهلك .. وكل شيء في الحياة كذلك.

فالوسيلة التي تستخدم للوصول إلى نتيجة يستغني عنها فورا بعد تحقيقها، ما استعملت لتأديته.

وليس الحاكم على غير هذا القياس.

فإن لم تكن اهدافه من النوع الذي لا ينتهي، فإن المجتمع ينبذه إذ ينضب معينه .. والمجتمع لايرحم

وكذلك الوسيلة التي لا تصيب غايتها، فإنها تنبذ كما ينبذ الوالي الذي يسيء الى ما انتدب إليه.

كل ذلك قد كان في قضية عثمان.. .

فالثورة التي وسعت الرسالة فجوتها على شعب الجزيرة، أصبحت ترفض الإثرة، لأن الإثرة كانت سببا جذريا في تكوين مقومات انتفاضتها-

وها هو الاستئثار بالحكم وبمغانمه، من ثروات ومناهـج واسـتمتاع، تنهال كل فروضة على عثمان وكل من دار في فلك عثمان من بني أمية، الأقرب فالأقرب .. كأن الوصول الى الحكم لم يكن إلا لهذه الغاية، لاشـباع هذه الانهام ... وكأن الفتوحات وكل مكاسبها لم تكن إلا لسد هذا الفراغ ولا بني أمية أنفسهم

وليس، كما جاء سابقا، وجود رجالات من بني أمية بالحصر هو الذي جسم الأخطاء لو أن هؤلاء كانوا على خط واضح من الأهداف الكبيرة التي تجيء منساقة مع خطوط الرسالة التي وضحت كل الأهداف.

هذه بعض الأسباب المباشرة في خلق الثورة، وليست كلها.

فهنالك اسباب غير مباشرة أدت الى هذه النتائج، وإن تداركها من جذورها كان أولى به (مجلس الشورى السداسي الذي مثلته بآخر تفويض منه عبد الرحمن بن عوف.

من هـذه الزاوية كان من الواجب ان يدرس وضع الجزيرة بوجه عام، لأن للرئاسة الأولى مثل هذا المعني الشامل الذي هو حري جيدا بهذا الاهتمام. من المعلوم، والواضـح، أن الجزيرة العربيـة، حتى فعل الرسالة الجديدة ،كانت تعيش عدة مجتمعات متنابذة في مجتمعها الواحد الأكبر.

قبيلة حرون كانت تفعل فعلها الجاهلي.

وكان يئن من هذا الواقع الغشيم تاريخ الجزيرة.

واقع كهذا كان يساوي انحطاطا عاما في المجتمع لينعكس في الاقتصاد، في

التفكير في الاجتماع.

ص: 151

وجاءت الرسالة، فتمكنت، بعد محاولات قاسـية من فرض نظامها الجديد .. وتقبلتها الجزيرة بسرعة، لأنها وجدت فيها الدواء المصيب في شفاء امراضـها.ومن البديهي أن يدرك أن الرسالة كانت عقلا وفلسـفة نابعين من واقع الجزيرة .. ولو أنها كانت غير ذلك لما تقبلها المجتمع بسـهولة، غير أنها بصـفتها عقلا وفلسـفة كان من الواقع ايضا ان لا تدرك إلا في مفعولها، لأن الإنسان المجتمعي يرفض العقل المتفلسـف كعلم ويقبله كتأثير ونتيجة ، كما يقبل المريض الدواء على افادته المجردة وليس على فهم تركيبه العلمي.

إن هذا الفهم عينه يكون من نصيب فئة قليلة تسمى (النخبة)، وهي التي تعكس هذا الفهم على تيارات المجتمع ليفعل فعله الصحيح.

هذه النخبة تكون المسؤولة بقدر ما تفهم، وهي التي تعكس ما تفهم.

من هنا، أن الرئاسة الأولى يجب أن تكون حتما من بين هؤلاء النخبة، بحيث يضيق التعيين حتى ينحصر في القمة.

وقد يخطأ التعيين وقد يصيب .. فلئن يصب فتلك هي الغاية المنشودة ،ولئن يخطيء فبقدر هذا الخطأ تكون مساوئ النتائج.

والنتيجة في عثمان بن عفان دلت على وجود الزلل، ويفهم من ذلك:

ان الرئاسة هي اخر نقطة من سلسلة الانتخاب الذي لا يكون على صواب، إلا إذا كان منسجما مع الواقع الذي نخب من أجله.

والواقع، كان نتيجة ثورة فكرية اخذت تنبذ الروح القبلية لتحل مكانها زعامة المجتمع.

ولقد اقتنعت الجزيرة بصوابية المبدأ، واستيقظت في قيمة الإنسان. ولهذا فهي لم تقبل باب عفان متسلطا يعيدها إلى أمسها الدابر، سيما وان امسها المقروح لم يبعد، فهولا يزال يتصل بيومها الحاضر.

ثم ان الرسالة التي جاءت تعالج الواقع الراهن في الجزيرة اصبح لها هي الأخرى واقع آخر يجب معالجته حتى تستكمل غايتها، ألا وهي توسيع استيعابها ليخرجه فهمها من نطاق النخبة الى نطاق المجموع، كي يتعدى الاقتناع بصدق معالجتها للأوضاع الشعور بقيمتها الى التحسس العميق بحقيقة هذه القيمة، وهذا ما يخرج من نطاق المعرفة السطحية الى ناطق الثقافة التي تكتسب عن طريق الممارسة العقلية على المدى الطويل.

كما أن الفتوحات التي قامت بها الدولة، بعد أن جمع قواها نداء الرسالة، جاءت تقلل من قيمة المدرسة التثقيفية التي كان المجتمع بحاجة اليها كعدة فكرية نفسية تتسلح بها قبل ان تتسلح بالسيف والرمح.

من هذا القبيل، كان من الضروري على مجلس الشورى) أن يعالج هذا الواقع الجديد على ضوء العقل الذي يليق أن يعالج به اوضاع الدول، لا عن طريق سطحية المساومات وارضاء روحية العصر المولي.

وتعيين عثمان بن عفان للخلافة لم يراع شيخوخة هذا الرجل في عجزها عن القيام بمثل هذا التحقيق والتجديد.

كما أن القضية لم تدرس بهذه الحيطة التي تتطلبها لها جدية الأحداث من حيث بقيت العلة تنمو وتتضخم حتى انفجرت بثورة اودت بحياة الرجل، والقت المجتمع الجديد بين أشداق ثورات داخلية، وأخذ يتمرس بها كمخرج

يشعر بجدواه منا تدعوه الحاجة الى اعلان تذمره من الوضع .. أيكون معه حق بإعلانه أولا يكون؟

ص: 154

الساحة المكشوفة

أن الساحة التي كشفت بمقتل الخليفة، لم تكن ليغطيها أي كان من المتنافسين.

فالتجربة التي مر بها عقد وسنتان، كانت شبه كافية لخلق فكرة إيجابية في كيفية الحكم في لوازم لقاء التبعات على كواهل الأقطاب.

وليس معنى ذلك : أن النضج قد اصبح شام كل الموائد.

فالناقمون كانوا مقسومين الى فئتين: فئة الأسياد الطامعين بالمركزالشهي، وفئة الشعب المتذمر من الظلم والتعسف.

غير ان النقمة الشعبية لم يكن لها كبير شأن مع هؤلاء الأسياد .. فهي إنما جمعها السأل، حيث الذي لحقها من فساد الحكم .. فأقدمت على فعلتها، ثم راحت تتطلع إلى من يسد هذا الفراغ.

ولقد كان حاضرا في ذهنها ذلك السيد الذي يتمكن من ضبط الموازين ،فهو عينه الذي كانت تشتاقه الساحة منذ ربع قرن.

ولقد عاد في هذه اللحظة الواجفة ذلك السؤال، يبحث بنهم عن الجواب : لماذا نكب، منذ البداية عن الساحة فتاها؟

ولكن الماضي قد تغطى بما منع الإلحاح من طلب الجواب.

إما الآن، فلا سبيل للتغاضي .. فالوضع في أحرج ما يكون تشديدا في طلب الجواب.

فعلي بن ابي طالب، هو ركيزة الأساس، وهو بالنسبة للرسالة كل الرسالة، في تأسيسها وفي طريقة المحافظة عليها، في نشرها وفي مجالات الدفاع

عنها .. وإن له أطول سلسلة من النعوت والكريمة يتحلى بها، فهو قوة، وإرادة، وشجاعة، وبطولة، وعقل، ومعرفة، وحق، وعدالة، ومثال، وكمال..

فأي شيء يحول دون تسليم زمام الى يد كريمة كهذه اليد التي يعز نظيرها في كل الجزيرة.

أما أبو عبيدة بن الجراح، فإن الساعة الحاضرة ترفض تمام الرفض الإصغاء إلى مثل نصائحه، فإن ابن أبي طالب لم يكن في أي يوم من أيام شبابه أقل حكمه وأقل رشدا من أي يوم من أيام كهولته، ولكنه كان الحريص على الرسالة ، وكان الكريم وكان الرضي بكل خلقه وكل سجاياه.

فإذا ما قبل الخلافة تتجاوزه الى غيره من الأسياد الكهول، فلأنه كان يتعمم فضيلة نكران الذات، وكانت كفايته أن يرى الرسالة تسترد الجزيرة منجهلها الى عقلها، ومن خزيها الى مجدها، ومن دنياها إلى ربها، ومن خمودها الى انطلاقها.

وكان في كل ذلك يسدد خطى الذين سابقوه الى حقه في القيادة مرتضيا بصحة العقيدة ونجاحها ... وهذا كان حسبه من دنياه.

أما الأن، والرسالة لم تعد مكانا، بل اصبحت مدي .. فلا يجوز أن تترك في الساحة المكشوفة، يتناوشها الطامحون ويتقاذفها المتنافسون.

فلترتعد فرائص قريش، ولترجع الأكباد الى النحور، فإن الكنز الثمين لن يكون عرضة للمناهب.

ص: 156

وهكذا كان التصـميم عشـية مقتل الخليفة، وهكذا اصغت آذان الثائرين ليسمعوا الجواب الذي ما زالوا في سماعه منذ ربع قرن من علي بن ابي طالب نفسه.

ص: 157

بين التردد والقبول

قيل لعلي: لا نجد اليوم أحدا أحق بهذا الأمر منك.

فقال : لا تفعلوا، فإني لكم وزير خير مني أمير!

ومن خطبته يوم المبايعة : (إني كنت كارها لأمركم إلا أن أكون عليكم).

إن السبب الذي دفع بابن ابي طالب الى التردد في قبول استلام الخلافةالجديدة هو عينه الذي لج عليه بالقبول.

فمن جهـة أولى أنه لم يكن بعقله الثاقب ليريـد ان تلعب أدوار مثل هـذه المأساة على كرسـي الرئاسـة، لأن ذلك لما يقلل من قيمـة المركز الكبير الذي اصبح قاعدة لأكبر امبراطورية في الشرق العربي.

وليس من مصـلحة هـذا التوسع الضـخم باسم الرسالـة الجديدة أن يشاع على العالم أن القيمين على مبادئ التأسـيس تنخرهم المنازعات الصـغيرة في سبيل الوصول إلى الكرسـي بـدل أن يكون محاطا بهالات من الكبر والوقار، تسـتبد به أهواء هزيلـة و حقيرة، أكثر ما يمكن أن تنعت به انها حب الاستئثار على جشع .. لذلك، فإنه بذل قصارى جهده للحيلولة دون الوصول الى آخر مشهد من مشاهد المأساة.

وكان يسعى الى وأد الثورة بتعليلها بالإصلاح.

وكان ينجح لو ان مروان بن الحكم ساعده بذلك، أو لوان النية الحسـنة أتته من ذلك الجانب .. ولكن الذي حصل غير المقاييس وبدل الجو الى اكفهرار من حيث وقع المحذور.

ومن جهـة ثانيـة، جـاء الحـديث الجديـد يسـلط عليه كل الأضواء، فكأن الثورة كانت تنظر إليه قبل أن تتحرك وهي عن وعي منها وعن غير وعي.. صـممت ونفـذت لأـن ابن ابي طـالب كان يملأ ذهنها بكل عظمته، وكل جبروته .. ولو أنه لـم يكن موجودا لكانت اقل انـدفاعا إلى تحقيق ما أقدمت عليه، ولكن الثورة كانت تنظر إليه دون ان تصغي الى حكمته وتحفظاته.

وعلى كل حال، فالثورة لا تؤمن كثيرا بالحكمة والتحفظ.

تجاه هذا الحديث الجديد، وقف ابن أبي طالب يقيس الأمور بمقياسهاالأنوف.

وتردد في قبول الخلافـة المطروحـة عليه فرضا، لأنها تأتيه عن طريق فيه تذليل للرئاسة وهوان لها، وهي المركز الذي يجب ان يكون محفوفا بكل معاني الحصانة والإجلال.

ولكن الحقيقـة كان تفرض عليه فرضا آخر يجرده من تصـلبه الأنوف ... فالمركز الخالي ليس هو الـذي ذل .. ثم أنه كان يدرك أن الطامعين بالمركز المغري هم يجردونه من هالاته الكبيرة وهم الذين يتسابقون الآن الى نهب ما يتبقى له من كرامات.

ولـم تكن لتغريه الرئاسـة، فإنه لـم يطلب يوما مجد الدنيا وكنوزها، (1)وكثيرا ما توفرت له في فرفضـها .. ولكنه كان يتشدد في طلب الخلافة، أنه كان يؤمن تمام الإيمان بنفسه، ولـم يكن شديد الإيمان بغيره، بأنه هو الذي يتمكن

1- عن ابن عباس قال : دخل علي امير المؤمنين عليه السـلام بذي قار وهو يخصف نعله قال لي ما قيمة هذا النعل؟ فقلت لا قيمة لها قال : والله لي أحب الي من أمرتكم إلا أن أقيم حقا أو أدفع بالملا (شرح مئة كلمة، ابن ابي هيثم البحراني: 228).

من صيانة اقدس وأجل ما نتجه الفكر في سبيل خلق الإنسان العظيم الذي هو تراث الحياة العزيزة.

وإن الرسالة التي قدمها النبي لم يكن هو أخف منه شأنا فيها، فإنه والنبي أبواها.

هكذا قال الرسول صلى الله عليه وآله : (أنا وأنت يا علي أبوا هذه الأمة).(1)

فالرسالة له، وهي جزء منه .. من عقله، من قلبه ،من كل كيانه .. فمن (2) الذي يكون أحق منه بالدفاع عن نفسه؟

إذ، ليس حب الظهور هو الـذي دفعه من قبل الى المطالبـة بهذا الحق، وليس حب الاستئثار بالمغانم هو الذي يدفعه الآن إلى القبول .. بل الرسالة التي اصبحت تحقيقا للأهداف التي من أجلها بنيت ولن تترك الرسالة تتراجع عن اقل من مداها.

ولبي علي بن ابي طالب نداء الثورة ، وقبل الخلافة وفي يده عدة جاهزة للحكم الذي يتلبد أفقه بالغيوم.

1- مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب: 200ـ

2- في الأصل فمن هو الذي

العدة الكاملة

من الظاهر أن وصول الخلافة الى ابن ابي طالب كان بمفاجئة .. أن ذلك كان بالنسبة لأحداث الساعة، لأنه لم يكن كثيرا من المنتظر ان يختتم حكم الخليفة الثالث بدمه وأن يكن ذلك قد أصبح له من المدة الأخيرة شيء من الحسبان.

أما بالنسبة للخليفة الجديد، فإنه لم يفاجأ بالحكم على قلة استعداد الحكم..

فهو منذ وفاة الرسول، لا بل منذ كان الرسول على قيد الحياة، حتى وقبل أن تعلن الرسالة على الملأ، كان يمارس سياسة الحكم.

لقد مارسه وهو يافع يراقب سير كل حركة من تنقلات النبي الكريم صلى الله عليه وآله، ثم مارسه وهو فتى لا ينسلخ لحظة عن مرافقة ابن عمه وهو يتقبل الوحي ليصوغه آيات بينات، ثم يمارسه وهو بالرفقة العزيزة الدائمة يعقدان الجلسات السرية الاستشارية في كيفية نقل الأمانة الى حيز العمل الجدي ثم مارسه في تنسيق هجرة واقية كسبت من الوقت عدتها وصيانتها، ثم مارسه في الرجوع الى المدينة كانت بالانتظار حشود الأنصار.

ثم مارسه بايمانه وعقله الكبيرين، اللذين تفتقا على لسانه وساعديه بتلك الشجاعة والبطولة النادرتين ، فخاضا غمار سلسلة من المعارك الدفاعية الباهرة، من حيث وطد الرسالة على أساس من القوة والمتانة جعلاها تستند إليهما في أضخم وأروع انطلاقة حققتها رسالة في وجه التاريخ.

ص: 161

أما أن يكون قـد تغيب عن اجتماع السـقيفة ، ذلك الاجتماع الذي غمظ فيه حقه بالخلافة، فإن ذلك لـم يبعده عن إكمال سلسـلة ممارسـته للحكم طيلة ربع قرن.

ولكنه بقي يمارسه بالمراقبـة اليقظـة، وينتقل معه من حـدث الى حـدث، ويشاركالقيمين الثلاثة عليه مشاركة المخلص الوفي، بصـفته أول واحد من أهل البيت، وبصـفته صاحب الرسالة، وأول الصـحابة ، ومن أصدق أهل الحديث، وعلى رأس المفقهين، ومن أخلص أهل الرأي ومن أرسخ علماء العصر.

وكانت ممارسـته بالمراقبة من أشد الممارسات كسـبا له، فوسعت خبرته من سياسة شعب الجزيرة الى سياسة باقي الشعوب، ونقلته بالرسالة من حيزها الملكي إلى نطاقها العالي.

وهكـذا يمكن القول: أن علي (1)بن أبي طالب ما توصـلت إليه الخلافـة وهو بحاجة إلى اسـتجماع العدة لها، لا بل بالعكس .. فإنها كانت تعدو سريعا للحاق به حتى تستقيم بطريقه طريقها.

فالعدة كانت جاهزة وكاملة .. جاهزة من الأساس بكل مقدمات الحكم، وهي لـم تكن محصورة بكثير من البنود.

فهي، أولا وآخرا، مختصرة موجزة، بناء الشخصية.

فابن ابي طالب لـم يمكنه أن يفهـم المجتمع إلا شخصية مبنية على الأساسعلى الفضائل

1- في الأصل (علية).

وحتى يتمكن من بناء الجزيرة بناء يجمع قبائلها إلى قبيلة واحدة لمصلحة الجزيرة العامة، شدد على الفضائل .. فهي وحدها، في نظره، التي تبني المجتمع الصحيح.

وكأني به رسما لذلك هذا التصميم كشجرة يتدرج عليها الإنسان في حضن الوجود، إذ منه ينبثق وإليه يعود.

ص: 163

الوجود

الإنسان

+

الجسد +العقل + الجوهر

+

القوة +المعرفة+ الحقيقة

+

الإرادة +الثقافة+ الثبوت

+

الشجاعة+الفضائل + الفنون +المناقب

+

القوة +الحق+ الخيري الجمال + الحضارة

+

البطولة +العدالة+ الرخاء+ الخيال

الشخصية المثلى +الكمال

المجتمع الأمثل

ص: 164

من هـذا الشـكل يفهـم ان الوجود بشـموله هو الله – عز وجل – الـذي هو العلة الكبرى .. وهو الجوهر الكامل، والحقيقة الكاملة، والثبوت الدائم .. لا تحوير ولا تبديل، بل كينونة يلتقي فيها الأول والأبد، ينبثق من الوجود الإنسان بحديه : الجسد والعقل.

من الناحية الأولى، يبرز العقل الذي هو صفوة الجسد .. هذا العقل الذي يمكنه أن يحتك بجوهر الوجود لتتناسل من هذا الاحتكاك خيوط المعرفة..

المعرفة بدورها، وهي تلامس حقيقة الجوهر، تنقلب من معدن النفس لتصبح ثقافة الإنسان.

أما تلك الثقافة التي هي نتيجة هذا التماس المنور، فإنها تلتحم بهذا الاحتكاك مسـتمرة بالتحامها الى ان يكسـبها الجوهر، فإذا مواليدها منه هي الفضائل والفنون والمناقب .

أما الفضائل والفنون والمناقب، فإنها تتلاقح من بعضها البعض لتنجب على التوالي الحق والخير والجمال.

ثلاثة توائم تربو في احضانها حضارات البشر، وتتوالد منها، على السواء، العدالة والرخاء والخيال . ثلاثة ينابيع هي كوثر الوجود الكمال.

من الناحية الثانية ، يبرز الجسد الذي هو قاعدة العقل، فالجسد باتصاله بالعقل المحتك بالجوهر يكتسب القوة..

القوة نفسها تبقى بلا معنى حتى لا يباركها بهاء المعرفة، إذ ذاك تصلب وتصبح إرادة.

الإرادة بدورها ينقصها التوجيه والثقافة الخصبة تسدد خطاها، عند ذلك تتجلى الإرادة بهذا البارك الجميل الذي هو الشجاعة.

الشـجاعة نفسها تبقى قوة غاشم ان لم يصقلها الحق والخير والجمال، وعند ذلك تنقلب إلى بطولة تعمر بها النفوس والعقول قبل أن تصلب بها السواعد والمتون .. بطولة لها وزن الجمال .. ووزن الحق، ووزن الخيال .. وهي حلية الكمال ، خير حلية تلبسها شخصية الإنسان.

فالنتيجة : أن مجتمعنا ينشأ على مثل هذه الفضائل المتسلسل بعضها مع بعض المجتمع مثلي بعد أن تتطرق اليه عوامل الوهن.

وهكذا رسم الخطة منذ البدء، منذ ان حمل الرسالة بيده يلوح بها كمنقذ الجزيرة.

ولقد طبقها طوال حياته على نفسه، فإذا اعتقاده بالله اعتقاد راسخ قل ان يخلو حديث له من ذكر ربه.

ولم يغرف عقله إلا من جوهر هذا الوجود الذي هو (الله) فكانت لديه المعرفة الكاملة بأبهي معانيها.

وتثقف بهذه المعرفة، فأصبح لديه خزان طافح بالفضائل والمكرمات ، حتى لا يمكن القول إلا أن عليا بن ابي طالب هو مثال العفة والصدق والنزاهة، ومثال القوة التي تسـلحت بالإيمان والحق والعدالة، فانطوت فيه تلك الإرادة الصلبة ، وفاضت عليه تلك الشجاعة النادرة، واندفقت به تلك البطولة الخارقة، من حيث برزت شخصيته المثلى التي أحب أن يكون بها قدوة لبني قومه فيسبيل بناء الجزيرة ذلك البناء الأمثل.

وها هو ذا الآن يتسلم دستوريا بالحكم .. لا بل أنها تطرح عليه هذه المقاليد اثر انتفاضة ولدتها الحاجة إليه.

ص: 166

والحكم اليوم غيره بالأمس .. فعلى ابن ابي طالب بان يتحمل اتعاب الترميم ثم اتعاب الاستئناف في السير الطويل.

فالرسالـة ليست بعـد طفلاـ يحبو بين مكـة والمدينـة ، بل اصـبحت ذلك العـداء الـذي يلتهم المسافات رغم الحـدود، ولن تليق بها اقمطة الطفولـة، واصـبحت بحاجة إلى ما يشد حقوبها في ترحالها السـريع .. وهي لـم تهبط قطرا من الأقطار إلا واحتلت مدينة قائمة وعزا شامخا، وأنه من الحيف أن ينقل وهجها من لا يدرك قيمتها.

من هنا، ان ابي ابي طالب كان يدرك أن الرسالة مشـى بها من لـم يسـتكمل بعد اسـتنارته منها، وان الفتح الذي حققته إنما كان بقوة فاعليتها اكثر مما كان بقوة الذين حصلوها .. ولن تكون النتيجة، عندما يثوب الفتح الى رشده، لمصلحة الجزيرة إلا بشكل ضئيل.

ثم ان الرسالة، وهي دنيا ودين، لـم تكن مطلقا لتحصر ضمن حدود الجزيرة.

فالدين الله، والله ليس للجزيرة وحدها؟

أمـا الجزيرة بالنسـبة للرسالـة، فـإن لهـا فخر المولـد وشـرف المصـدر .. وحرام عليها ان تكون اقل قيمـة من مواليـدها، واخفض جانبا من صادراتها.

لـذلك كان علي. في غيرته على الرسالـة وفي غيرته على الجزيرة، يرى ان تثقيف ابن الجزيرة بفضائل الرسالـة هو الواجب الأول الـذي كان لازما أن يسبق كل الفتوحات .

ولكن الفتوحات، باسم الرسالة ، قد سبقت هذا التدرج المطلوب .. وبدلا من أن تحقق افادتها المرجاة اتت بالعكس من ذلك.

فالشخصـية التي كـان منتظرا أن تمتن بالفضائل جاءتها الفتوحات لتغرقها لي بحبوحـة من الثروات والغنائم، فأفسـدت عليها بـدنياها دينها الذي لـم يستحكم فيه ثقافتها بعد..

و حتى الخليفة عثمان بن عفان اصابه هذا الدوار الخبيث، فابتني الثور على حساب الجهاد، واغرق أهله وذويه بمثل الذي غرق فيه، ليسجل التاريخ عنه مهزلة سوف يلصقها ومخازيها بتاريخ الفتوحات.

وليس هذا الواقع الحار بأقل حاجة الى المعالجة، وليس الرجوع الى الوراء ممكنا، ولا المضي إلى الإمام بالنهج القديم بمضمون النتائج.

هكـذا فرضت الخلافة على علي عبأ النضال على جبهتين : جبهة تعالج من جديد تحت الشخصـية العربية، وجبهة تعالج الفتوحات لتبقى على معناها الأصيل.

وهنا يبرز أسياد الجزيرة، الذين لا تزال تشدهم إلى الوراء تلك ال عنجهية في عصبياتهم التي كانت تطل من حين إلى آخر كلما سنحت لها المناسـبات تدفعهم إلى الالتجاء اليها نفوسـهم المريضة بحب السـيادة، من حيث لـم يتمكنالحكم الذي انقضـى من صـهرهم وصبهم في القالب الجديد، ويساند بقاءهم على مثل ذلك التلهي بالتوسع الفتحي، من حيث انصـبوا هم أنفسهم على خوض غماره لزيادة كسبهم منه على الصعيدين المادي الرئاسي.

والصعيد الثاني كان حقيقا للأول.

وهكذا استعملوا الرسالة وسيلة، لا غاية ، بحد ذاتها.

وكانت كل ازمة تصطدم بها مصلحتهم تجعلهم بقفزون كل الى قبيلته غيرغابئين بما يصيب الرسالة الى انتكاس.

ص: 168

وتبرز ايضا، من ناحية ثانية، فئة الشعب الذي جاءت الرسالة من أجله،التخفف من بؤسه، ولتوقظ الإنسان فيه.

ان الشـعب هـذا هو التي لاـ يزال يلعب بهـا هؤلاء الأسـياد، فيجعلونها مطيـة لأهوائهم ونزواتهم، ويسـتخدمونها في سبيل الحصول على غاياتهم ومآربهم.

ذلك الشـعب نفسه، على انعـدام ثقافته، رمي في الساحة لتحقيق الفتوحات، فطاب له طعم الغنائم على زنود السـبايا ، لكن ذلك إذ يدوم له يوما فلن يدوم يومين.

والرسالة إنما جاءت لتشبعه كل عمره، ولن يكون شبعه إلا عن طريق ايقاظ عقله، العامل الوحيد في انحاء اقتصاده الشريف.

إن هذا الشعب لم تشبعه بأجمعه نعم الفتوحات، والذين بقوا بعيدا عن الموائد حركتهم المجاعة الحاسدة.

وهكذا الرسالة التي خلقت لتجمع، إذا بها تتعرض من جديد لتفسخ أقسمة ما عليها.

في هذه الفوضى كانت الجزيرة تدور في اخر أيام ابن عفان، من حيث انفجرت ثورة ما استهدفت منقذا لمها إلا ابن ابي طالب.

هـذا الإنسـان في الجزيرة، من سـيد يحاول دائما تثبيت سـيادته الى شـعب لا يزال اتعس ما كان في جاهليته، هو الـذي يقابل عليا في أول خلافته ليعيد النظر في كيفية بنائه انسانا جديدا يليق به أن يكون عدة ناضجة لاستكمال معنى الفتوحات.

ص: 169

إزاء هذا الواقع المؤلم، شـمر ابن ابي طالب عن ساعديه، ليعود فيسـتعمل تلك البطولة التي ما انفصـلت يوما عنه .. فهي نفسها لا تزال عادة منذ وعي الرسالة حتى اليوم .

ولن يتمكن من النصـر ما لم يلجأ اليها، فهي لديه مستكملة كل شروطها لذلك فإنه لن يرضى باي نوع من انواع المساومات، ويستعمل كل فضائله دون أن يسـتنفذها، في سبيل الوصول الى بناء الإنسان في الجزيرة .. وسـيقدم نفسه القدوة المثلى، وسينتصـر الانتصار الكامل، لأنه سوف يبقى عنوان الإيمان بالله ، ومثال الصدق والعفة والنزاهة، ومثال الشجاعة والبطولة في الدفاع عن قيم الحق والخير والجمال.

وسيبقى والنبي الكريم أبوين صميمين لأمة العرب..

ص: 170

عبأ القيادة

قال علي :

(من نصب نفسه للنـاس إماما، فعليه أن يبـدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، ويعلن تأديبه بسـيرته قبل تأديبه بلسانه .. ومعلم نفسه مؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم).(1)

الراية الجديدة:

(ولقد أصبحنا في زمان قد أتخذ أكثر أهله الغدير كيسا، ونسبهم أهل الجهل فيه الى حسن الحيلة .. ما لهم؟) .. هكذا قال علي.(2)

إن الرايـة الجديدة التي خفقت عزيزة فوق رؤوس المسـلمين، وظللت ارجاء الجزيرة، وامتد تحت وارفها الفتح من مبازغ الشـرق الى مهابط الغرب، قـد رثت خيوطها وحالت الوانها، فهي لم تعـد خليقـة بعد ربع قرن بأن تحقق خفقات هذا الاندفاع الجارف، وتهتز هزات هذا الغر العارم.

لهـذا تحتم أن يسـتبدل برايـة العقاب رايـة أخرى يمكنها أن تحمل طابع العصـر ولونه الزاهي، ولذلك يتحتم أو تكون خيوط نسـجها وألوان انصباغها من النوع الذي يغالب الزمن فلا يفنى ولا يحول.

1- نهج البلاغة، 2/16.

2- المصدر نفسه، 92/1.

أن هذا النوع من النسج المتين ومن الصباغ الثابت لن يجده هذا العصر إلا في قميص عثمان.

وها هو ذا قميص عثمان لا يزال حتى الآن راية خفاقة البنود، لم يبل خيط منه بعد ، ولم تزل زاهية الألوان.

تلك حقيقة مؤلمة .. قميص عثمان(1)... وياليت الجزيرة لم تعرف نولا ينسج مثل القميص! وياليت عثمان كان عاريا من قمصانه !.. إنما الرسالة جاءت لتحكم مثل هذه الأنوال، ولكن المحطم كان نصيبه منها ان لبس كل قمصانها.

اتراها سنة الفداء ؟..

ألم يجيء عيسى من قبل ليحطم اخشاب الصلبان، فكان أكبر صليب من نصيبه؟

وسقراط(2)؟ .. ألم يتناول الكأس لينظفها من سمومها فلم يتمكن حتى جرعها؟

1- رفع أهل الشام قميص عثمان شعارا لهم فكان شعارا للتمرد وشعارا للرأسمالية القرشية التي طغت في البلاد .. وتحمل الإمام علي المسؤولية في اراقة دم عثمان (حياة الإمام الحسين ، الشيخ باقر شريف القرشي: 27). والهب معاوية يمكره وخداعه قول السذج والبسطاء من أهل الشام حزنا راسي على عثمان وكان بنشر قميصه الملطخ بدمائه على المنبر يفيضون بالبكاء والعويل واستخدم الوعاظ فجعلوا يهرلرن أمره ويدعون الناس إلى الأخذ بثاره وكان كلما فتر حزنهم يقول له ابن العاص بسخرية واستهزاء (حرك لها حوارها تحن..) فيخرج لهم قميص عثمان فيعود حزنهم. وقد قال الإمام علي عليه السلام هو عندما بلغه خبر بكاء أهل الشام على قميص عثمان: (ما قميص عثمان بقميص يوسف ولا بكاؤهم عليه كبكاء أولاد يعقوب..) (مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب: 2/250).
2- هو مؤسس الحكمة الإلهية بعد أن كان اليونانيون معتنين غاليا بالطبيعيات، وهو استاذ افلاطون وقد أخذ الحكمة من لقمان الحكيم والحكمة ضالة المؤمن اما وجدها أخذها شرط أن لا يقلد من غير دليل شرح أصول الكافي ، المازندرتي: 199/2 الهامش-

تلك كانت حكاية ابن أبي طالب في عصره.

فقـد كتب عليه أن يلبس قميص عثمان، ولكن قميص عثمان ما كانت الخيوطه هـذه المتانة، وما كان لألوانه هذا الزهو، لو لـم يلبسه علي بن أبي طالب .. ألبسه في دمشق تدليلا على الجريمة، فرأته الأجيال تخليدا للبراءة.

وهكذا لبس خلود الجريمة من حاك قميصها، وبقي لهم قميص عثمان راية العصر.

ص: 173

بداية الحكم

لا شك في أن بداية الحكم كانت بالنسبة إلى علي بن ابي طالبتهافتا على المتاعب، ولن تكون النهاية بأهوان منها .. وهو على كل حال، لم يطلب متعة وملهاة، بل تطلبه مسؤوليات واعباء.

وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كضة ظالم ولا سغب مظلوم، ولم ينهجه مسايرة وملاينة، بل امتطاه جدا وصلابة.

ولقد أتاه النصح مع المغيرة بن شعبة (1)ومن ابن عباس (2)بالمساومة والملاينة فأبي وقال : (لا أداهن في ديني، لا اعطي الدنية في أمري).(3)

وكيف يفعل ذلك ونهجه وحيد وصريح؟.

وممن يخاف؟ .. ومم يخالفه؟؟

ما ينجو من الموت من خافه ، ولا يعطي البقاء من أحبه.

1- المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن قيس الثقفي، اسلم عام الخندق ولاه عمر بن الخطاب البصرة حتسي شهد عليه بالزنى فعزله ثم ولاه الكوفة وأقره عثمان عليها وروي عن النبي صلى الله عليه وآله و مات سنة ، وه (الناصريات ، الشريف المرتضى : 248).

2- . عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو العباس حبر الأمة الصحابي الجليل ولد بمكة ونشأ في بدء عصر النبوة فلازم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وروى عنه الأحاديث الصحيحة شهد مع علي عليه السلام في الجمل وصفين كان كثير العلم والفقه يجعل أيامه يوما للفقه ويوما للتأويل ويوما للمغازي ويوما للشعر ويوما لوقائع العرب . وكان عمر إذا اعضلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له : أنت لها ولا مثالهائم يأخذ بقوله ولا يدعو لذلك احدا سواه ، كان آية في الحفظ أنشده ابن أبي ربيعة قصيدته وهي ثمانون بيتا فحفظها في مرة واحدة) (غريب الحديث، ابن سلام 210/4).

3- الإمام علي اسد الإسلام وقديسه: 92 ط، بيروت.

أمن الـدنيا أن تحبس عنه كنوزها ونعيمها وأمجادها إلا؟ فما يصـنع بالدينا من خلق للآخرة ؟ وما يصـنع بالمال من عما قليل يسـلبه، وتبقى تبعته وحسابه؟

ولكنه لم يلبس الدنيا إلا بقميص من الكرابيس (1)ويمدرعة (2)مرفوعة ، ولم يأكلها إلا في حبات من الشعير تطحنها كفه لقمة يابسة لفمه، ولم يسـكنها في قصورها بل في أحقر خص من خصاصها، ولم يمتطها إلا كما يمتطي الفارس الجواد الى ساحة الجهاد، حقيرة لديه غاية ، عزيزة عليه وسيلة.

(الـدنيا دار مني لها الفناء ، ولأهلها منها الجلاء .. وهي حلوة نضـرة، وقد عجلت للطالب والتبست بقلب الناظر .. فارتحلوا عنها بأحسن ما يحضركم من الزاد، ولا تسألوا فيها فوق الكفاف، ولا تطلبوا منها اكثر من البلاغ).(3)

وقال له مرة عاصم بن زياد الحارثي : يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك جشوبة مأكلك؟

فأجابه : (ويحك! أني لست كأنت! . ان الله فرض على أئمة العدل أن يقيدوا أنفسهم بضعفة الناس كي لا يتبيغ(4) بالفقير فقره). (5)

هـذه الدنيا التي عالجها سـحابة عمره زهدا وتقي، ومد اليها يده عفة وصدقا وبطولة . لن يتمكن اليوم من أن يصافحها مصافحة المسـتجدي ودها والطامع بخدر من أحدارها، ولم يكن خدنا (6)من أخدانها .. إنما جاء اليوم

1- الكرابيس جمع كرباس، وهو القطن.

2- المدرعة : ثوبه فوق القميص وفوق الثياب.

3- نهج البلاغه، خطب الإمام علي: 1/96.

4- أي يتهيج به

5- نهج البلاغة ، خطبة الإمام علي :2/188.

6- خدنا : العشيق بالأجر وهو الحبيب والصاحب.

يوضح الخط المرسوم .. كيف يجب أن ينظر الى الدنيا، وكيف يمكن أن يستعمل اداة وصول إلى محجة وكيف يليق أن يؤدي الإنسان فيها دور الفاهم الناضج ، وكيف تتختم صيانة المجتمع على أسس من الوعي العاقل الراشد.

أن نهجا واضحا كهذا خط ابن أبي طالب كل بنوده، وطبقه على نفسه ، وعاشه كل عمره، ونشره في كل أقواله، واعماله .. لم يبق باستطاعة أي في الدنيا أن يقلل من قيمته أو يقطع خيطا واحدا من متانة نسجه .. ولقد اصبح بحد ذاته، لونه ونصره الأخير.

من هنا، إن المساومة لم يبق لها درب مفتوح الى بابه ، ولا التهديد بالموتيكون له أية فاعلية في ثنيه عن خطه .. لأن الموت، في نظره، إذ يقطعه عن دنياه، وهو لا شك فاعل، لم يتمكن من أن يقطعه عن ربه الذي له يعمل وإليه واصل .

ولقد قال : (لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحيت من واقعها، ولقد قال لي قائل: إلا تنبذها عنك، فقلت : اغرب عني ! ، فعند الصباح يحمد القوم السرى).(1)

لقد قال أيضا قبل موته : (وغدا ترون أيامي ويكشف لكم عن سرائري، وترفونني بعد خلو مكاني وقيام غيري مقامي).(2)

وكما نظر في عثمان في أنه انتهج خطأ غير الذي رسمته الرسالة، فإنه بات من المستحيل – وهو يتسلم الآن زمام الحكم – أن يترك الخط على مسيرة الأول.

1- الإجمالي الشيخ الصدوق: 718.

2- نهج البلاغه، خطب الإمام علي: 2/ 34.

وكذلك الثورة التي هبت تقتلع الفساد، فأنها لم تكن لتولد لو أنها لم تضرب من حوضه النمير.

إذا، فالمساومة قد انتفت نصا ومعنى من معجم علي، (1)لتحل مكانها كلمة أخرى تحمل معناها .. ألا وهي (الصلابة).

والصلابة هذه لم تكن لتحمل الرعونة، فقلد نحتها من تلك القساوة التي يتحلى بها معدن الحق والعدل .. ولونها بتلك العفة والنزاهة، ودفعها بتلك الشجاعة والبطولة .. فإذا هي تعبير صادق عن نظافته الخالصة، ونفسيته العلية ، وفكره العبقري.

ولن يتخلى مطلقا عن هذه الصلابة، لأنها معين شخصيته الفذة، وكانت نبراسه في كل حياته، وهي التي رافقته في كل جهاده، وهي التي لا تزال ترافقه حتى الآن في تاريخ خلوده.

ولقد ابتدأ بالتنفيذ في اللحظة التي تسلم فيها شرعية التنفيذ.

فاقتلع العمال الذين وزعهم الخليفة المرحل على الأمصار المفتوحة كلها بقوة الرسالة، ليستبدل بهم هؤلاء الممتحنين على محك الفضائل، وسلمهم شعارهم الجديد .. (النظافة).

والنظافة هذه كانت تحمل بين حروفها: الصدق، العفة، الإخلاص، التقوى، الرفق.

1- ان عليا صلوات الله عليه لما فرغ من حرب اصحاب الجمل وقد كان أراد معاوية عن الشام فدس اليه من يسأله في اثبات ولايته فأبى عليه من ذلك واشار عليه بعض من ينصح له عليه السلام وقيل ان عبد الله بن العباس فيمن أشار عليه بذلك (ان يكتب اليه بعهده فإذا دعا له مرة أخذ بيعته على الناس عزله) فقال علي فإذا اراد هذا لهو الرأي العاجل فأما فيما بيني وبين الله عز وجل فما أجد لنفسي في ذلك عذرا (وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّينَ عَضُدًا) كتب الله لما فرغ من اصحاب الجمل (شرح الأخبار ، القاضي النعمان المغربي : 1/405).

ولن يسلم عاملا عمله على رقاب الناس قبل أن يخاطبه بمثل هذا المقال : إلى الأشعث بن قيس، عامل آذربيجان):

(.. وان عملك ليس لك بطعمة، ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعى المن فوقك، ليس لك أن تفتان في رعية، ولا تخاطر إلا بوثيقة، وفي يدك مال من مال الله عز وجل، وأنت من خزانه حتى تسلمه الي ولعلي أن لا أكون شر ولاتك لك، والسلام). (1)

وإلى زياد ابن أبيه :

(إني أقسم بالله قسما صادقا لأن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئا ، صغيرة أو كبيرا، لأشدن عليك شدة ولا تدعك إلا قليل الوفر ثقيل الظهرضئيل الأمر، والسلام).(2)

وإليه أيضا :

(دع الإسراف مقتصرا، واذكر في اليوم غدا، وامسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك .. اترجو ان يعطيك الله اجر المؤمنين وأنت عنده منالمتكبرين؟ وتطمع وأنت متسرع في النعيم؟. تمنعه الضعيف والأرملة، أن يوجب لك ثاب المتصدقين .. وإنما المرء مجزي بما اسلف، وقادم على ما قدم، والسلام) .(3)

هكذا سلم الإمام علي زمام الأمور الى رجال فرض عليهم من كفه نظافة الكف ، ومن لسانه عفة المنهج، ومن صلابته محازم الأعمال.

1- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد:32/19.

2- شرح نهج البلاغه، خطب الإمام علي :3/19

3- نفس المصدر: 19/3

ولقد وزع عليهم لائحة المبادئ التي يجب ان يتناول منها ما يسدد خطاهم .

(والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الأماء لرددته !).(1).

(في العدل سعة . ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق). (2)

(لا دين لمن لا مروءة له).(3)

(لا كرامة للكاذب).

(نظرة الوجه في الصدق).

(فرع الشيء يثبت من أصله).

(ظل الأعرج أعوج).

(جولة الباطل ساعة، وجولة الحق الى الساعة).

(لا يغرنك الطمع، فقد جعلك الله حرا).

(كن للمظلوم عونا وللظالم خصما). (4)

(فقد الرؤساء أهون من رئاسة السفلة).(5)

(عند الامتحان يكرم الرجل(6) أو يهان).(7)

(ظرف الرجل تنزهه عن المحارم ومبادرته إلى المكارم).

(شر الولاة من يخافه البريء).(8)

1- شرح نهج البلاغة ، خطب الإمام علي : 1/46.
2- نفس المصدر:1/49
3- الكافي ، الكليني : 1/19
4- الحكم والمواعظ، الواسطي: 393.
5- المصدر نفسه: 358
6- أو في الأصل المرء والصواب ما اثبتاه.
7- عيون الحكم والمواعظ ، علي بن محمد الليثي الواسطي : 337.

8- نفس المصدر: 295

(سياسة العدل ثلاثة : رأفة في حزم، استقصاء في عدل، وافضال في قصد).

(الحق سيف قاطع).(1)

(أمام عادل خير من مطر وابل). (2)

(ثوب العقل اشرف الملابس).

(ثابروا على اغتنام اعمل لا يفنى ثوابه).(3)

(راكب الظلم يكبو به مركبه) .(4)

إلى آخر ما احتوت هـذه اللائحـة من نصائـح وحكم .. ترد اليسواء السبيل إن هـذه الصـلابة نفسـها التي سـلمها قواده وعملاءه، ووجههم ليعلموا بوحيها في السـياسة العامة، لإيصال الحق إلى نصابه ، ولتهذيب ابن الجزيرة التهذيب اللائق بالإنسان .. اخذها اخصامه ليقابلوه بها بتلك الرعونة وذلك الجفاء، والتجأوا إلى الفتنة يولدونها .. وكان لهم من قميص عثمان عود ثقاب.

1- عيون الحكم والمواعظ ، علي بن محمد الليثي الواسطي :40

2- نفس المصدر: 129.

3- نفس المصدر: 218.

4- نفس المصدر: 271.

القميص الطائر

ويحك ايها النعمان بن بشير(1)!.. يا حامل الجريمة تطوف بها، تجسمها تنفخها، تنفثها سما، تنشرها داء !.. يا حامل الطاعون تبخه وباء عليك، على أهل بيتك، على أصلابك، على كل بني قومك، على كل انحاء الجزيرة .. عليمعاوية، على عمرو بن العاص، على الشام ينتقل منها كما انتقل الفخ الى مصر وأفريقيا، إلى العراق وخراسان !.. ومن يومك الى غدك، إلى الأجيال التي ستخلف عصرك وتسجل خزيك مجبولا بعارك.

ماذا تحمل تحت ابطك؟! .. أية صرة تلف بها آيات كتابك وأمجاد جهادك ؟!. إلى أن تنتقل بك قدماك يا حامل البوق ويا صناجة العرب؟! ويحك ؟ ألم تدرك ان ناقل الشر اثل من الشر؟! وان حامل الفتنة أبلغ منها!.

1- .لما قتل عثمان بن عفان خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخا بدمه، ومعه أصابع نائلة التي أصيبت حين حاجفت عنه بيدها ، فقطعت مع بعض الكف فورد به على معاوية بالشام، فوضعه معارية على المنبر ليراه الناس، وعلق الاصابع في كم القميص، وندبه الناس إلى الأخذ بهذا النار والدم وصاحبه، فتباكى الناس حول المنبر، وجعل القميص يرفع تارة ويوضع تارة، والناس يتباكون حوله سنة ، وحش بعضهم بعضا على الأخذ بثاره، واعتزل أكثر الناس النساء في هذا العام، وقام في الناس معارية وجماعة من الصحابة معه يحرضون الناس على المطالبة بده عثمان (البداية والنهاية ، ابن كثير: 255/7). النعمان بن بشير بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي كان والي الكوفة وحمص من قبل معاوية سمع النبي صلى الله عليه وآله و روى عنه ابناه محمد وبشير (الناصريات ، الشريف المرتضى: 196). دعا الناس الى بيعة عبد الله بن الزبير بالشام فخالفه أهل حمص فخرج منها فاتبعوه وقتلوه سنة 64ه(الخلاف، الشيخ الطوسي : 126/3).

أيها الموثور المقرور! مهلا .. ألم تثبن وأنت تمشي طريق الشام، الى رشدك وجاهليتك التي علمتك الوأد!

يا هذا!.. ألم تعلمك وأد الشر الكبير وخنق الفتنة العمياء، ودينك الجديد؟

يا حامل الراية الى الفتوحات .. ألم يفتح على قلبك كوة السماح بالإيمان وروعة التعقل؟!

تخفف في طريقك يا بن بشير .. لا تسرع .. ان قميص عثمان الذي تحمل واصابع نائلة المقطوعة التي تنقل أنها هو قميصك البالي، لم تزل تلبسه من قبل أن تولد .. وهي أصابع كفك اليسرى التي كانت تقطع في جاهليتك عقابا على سرقة .. وها انك لا تزال تسرق، حتى الآن، فضيلة دينك الجديد الذي اقتبست، لتحمل الفتنة تنشرها اينما تتوجه.

قف مكانك .. لا تقطع حدود الجزيرة .. واحفرها عميقة، وارم إليها قميصك، ووار فيها حقدك وضغنك .. ثم ارجع من حيث فررت، فإن الدم الذي يثقل وزره لا يليق بك ، نشره، فهو من الجاهلية وقره، ومن فضائل دينك ستره.

وأربأ بنفسك ! ... فليس الثأر الذي تسعى الى الويل والدمار يقودك، ولن تنال عليها الجنة من حيث تحسب عليك الجنة.

وارجع الى عقلك ! .. فإن المحنة التي اندفقت نارها ليس من مصلحتك ولا من مصلحة جزيرتك، وان تجمع لها الوقود لتزيد ضرامها .. بل بالعكس ، بردها من معين نهاك، وخفف لظاها بفيض حجاك ، لو تعقل .. واسكب عليها

بدل السموم شيئا من السلوان، واغرف لها من السلوان، واغرف لها من النسيان ما يرتقها لا ما يزيد من فتقها.

يا صاح!.. يا حامل العقل الجديد !.. يا ناقل الفكر السديد !.. يا فانح الأمصار باسم الرسالة !.. يا غازي الجهل تدك حصونه! .. تريث فليس في الردة غير السموم !.. فحرام عليك أن تعود الى عقمك، فتهدم دينك ، وتروع قومك، وتجمد روعة أمجادك.

إده هذا القميص بالله إده ! .. (1)من قلبك، من عقلك، من اعصابك .. وارجع الى قومك .. ويلسم جرحا نزف، وخفف حدة تنقم، واجمع شملا يتمزق .. وناد بالرسالة، فهي الكبير، وهي التي تسع، وهي التي توحد، وهي التي تجمع.

اتراك يا بن بشير، تعقل وتفعل.

1- من (واد) (يند).

الواقع المؤلم

أن الأزمة التي انفجرت بموت عثمان وراحت تنشر قميصه فوق الجزيرة وفوق كل جزء من أنحاء العالم التي توصلت اليه راية الدين الجديد، لم تكن بالأزمة المستحدثة.

فهي أزمة الجزيرة منذ كان الإنسان في الجزيرة ، هي أمة رافقتها كما رافقها واقعها الاقتصادي.

فالشح الذي كان لها من راضها انعكس شحا في نمطها في العيش، وفي كل مجالاتها العلمية والفكرية فانصرفت تعالج شؤونها(1) من زوايا ضيقة تلبستها، مع طول الوقت، عادات وتقاليد، من حيث اصبح تشذيبها من الصعوبة بمكان.

ولقد اصبح من العلوم أن الرسالة الجديدة جاءت تبني انسانا جديدا يتمكن من السيطرة على واقعه وتطويره.

إن أول ما ابتدأت به هو تحضير العقل، ليصبح مكانة فاعلة في خلق هذا التطور ودفعه لتحسين الواقع الاقتصادي.

ان هذا البناء الذي استهدف الفكر أولا ، نجح إلى حد بعين في خلق انسان أخذ يشغل عقله.

وبالفعل، فإن التيار الديني الذي احتل عقل الجزيرة، جعلها بحق مركزا العدة انطلاقات فكرية، تشعبت شرقا وغربا، وحققت بعض الانتصارات.

1- في الأصل (شئونها).

ولكن الجزيرة التي تمكن الـدين من تحريـك عقلهـا لـم يتمكن حتى الآن من أن يصـبح ثقافتها ، لأن الثقافـة هي تمرس دائم وانعكاس في النفوس مع المجال الطويل.

ثم أن الثقافـة هي كرجع الصوت بعـد ان يجول في كل انحاء الكهف الـذي يطلق فيه دوي النـداء .. أي أن الثقافـة التي يتحلى بها الفرد في المجتمع تاتيه من ذلك المجتمع بعد أن تكن قد شملته كله على السواء.

أن الثقافـة الجديـدة للجزيرة ، بنوع خاص لـم تبلغ بعـد مكانـة تـذكر في وقت لـم يتجاوز الأربعـة عقود .. فهي لا تزال ثقافة تختلط اختلاطا ظاهرا بما قبلها، في مخضرمة.

ثم انها، من حيث يطلب منها ان تكون قاعدة انطلاق لتحقيق اقتصاد عاقل يضـمن اسـتنادها اليه في دفعها واستمرارها، لـم تحقق شيئا يذكر من هذا القبيل.

أن عكس ذلك قد حصل.

فالفتوحـات التي قـامت بها الجزيرة اغرقتها في بعض فيض من البحبوحـة المسـتعارة، من حيث جعلتها تتـذوق طعم النعيم النابع من غير صلبها.

ولقـد توزع هـذا الخير المسـتباح أولا على القواد والحكام، ثم على الجنـد التـدرج .. من حيث خلق طبقات مترفة على اسـتحداث(1) .. فطنت المادة على الروح، لا بل وقفت المادة تلك حجر عثرة في سبيل نجاح طبخ النفوس

1- كثرت أموال الصـحابة (بسـبب الفتوحـات) في خلافـة عثمان حتى بيعت جاريـة بوزنها وفرس بمائـة ألف ونخلـة بألف ، وعن الحسـن البصري قال : كانت الإرزاق في زمن عثمان وافرة و كان الخير كثير (الغدير ، الشيخ الأميثي : 248)

والعقول بالثقافة الأصيلة التي يجب أن تحتل رويدا رويدا مكانها في المجتمع، يسندها بذلك اقتصاد صادق ثابت وعفيف.

ثم أن هذا الدفع من الكسب الوقت لم يكن ليشمل كل أفراد الشعب .. الذين كانوا يتسابقون إلى خوض المعارك في الفتوحات من الذين كانوا يرجون بالغنائم.

نتج عن ذلك طبقية جديدة، فرقت المجتمع، ونبهت فيه حاسة التحاسد،وعمت الفوضى.

فإن اعمال الفتوحات اصبحت تتطلب كثيرا من الأدارة في تنظيم الجيش، في تنظيم الجزية والفيء، في تنظيم الدواوين والإحصاءات، في تنظيم الأجور،ثم في تنظيم الفكر ونقله صحيحا غير مشوب بالأخطاء .. الى جانب تنظيم توزيع الغنائم والمكاسب على الشعب، الذي بات ينتظر أن يسد عوزه من المكسب الجديد أكثر مما تنتظره من اقتصاده الهزيل.

كل ذلك لا تتمكن دولة فتية ومشغولة على كل الجهات من ضبطه واخراجه ، بالعدل والقسطاط.

نشأ من ذلك حرمان جعل الفوارق تظهر في مجتمع لم تضبطه بعد جدية الدين الى نظم تطبيقية صحيحة.

ثم هؤلاء القواد، وهؤلاء الحكام الذين استلذوا طعم الثروات، اصبحوا يتشبثون بمراكزهم كأداة كسب وفير .. فأخذوا يحصنون مراكزهم بشتى الأساليب، فجمعوا حواليهم الأنصار والأتباع.

ص: 186

وتلك قبيلـة جديـدة منظمـة بدعمها الآن اقتصاد من النوع العابر، لينشأ في الجهة المقابلة من هؤلاء المحرومين تكتلات أخرى لم يجدوها إلا في قبليتهم القديمة .. فأخذوا يتجمعون تحت لوائها، وينتقلونها إلى حيث يتوجهون.

ففي الكوفة – مثلا – انقسموا الى كتلتين .. فكان القسم الشرقي منها لليمنيين والقسم الغربي للنزاريين.

وهكـذا نرى على التوالي، ان الرسالـة التي جاءت تبني الإنسان في الجزيرة فكريا واقتصاديا قد اصـطدم نجاحها بتلك العراقيل التي كان من اللازم ازالتها من ريقها قبل أن تواجهها.

ان ذلك فاتها وهي تعشـى الطريق في خطواتها الأولى مع عمر بن الخطاب ، الـذي لم يرسم لها إلا بعض المخططات الجزئية التي اخذت تهتم بالناحيةالعسكرية اكثر من ان تهتم بالقضية النفسية الثقافية وبالتوجيه الاقتصادي الصحيح.

والحقيقة ان الجزيرة كانت ولا تزال بحاجة إلى روحية ضـبط الأهواء ومنع فتح ابن الجزيرة على مدنيات لم يكن مؤهلا على الاندماج فيها، ومنعها من التسرب إليه دون تهيئته نفيسا وعقليا، لاقتبال حسناتها ونبذ سيئاتها.

ولقـد نظر ابن الخطاب الى الـداخل، فرأى أن وجود عناصـر غريبـة في الجزيرة من شأنها اشاعة التشويش على الرسالة الطرية .. فأمر بإبعاد تلك العناصر .. فرحل النصارى من (نجران) الى الشام ، ورحل اليهود إلى (أريحا).

وفي سبيل اعداد الجزيرة لتكون أساسا لجمهورية دينية نقية الدم، منع الزواج من الأجانب، وشدد على عدم التملك خارج الجزيرة، وفرض على هذا التملك بعض القيود، كدفع العشر مثلا.

ص: 187

ثم نظر إلى حالـة الجنـد واختلاـطه، اثنـاء عمليـات الفتـح، بشـعوب البلاد المفتوحـة .. مما يجر عليه هـذا الامتزاج من اثر سـيء، فأنشـأ معسكرات خاصة يأوي إليها الجند بعد الانتهاء من كل معركة.

وكانت (الجوابي) (حمص) مقرا للجيش في سوريا .. و(عمواس) و(طبريـة في الأردن، و(اللـد) و (الرملة) في فلسـطين، و (الفسـطاط) في مصـر، و(الكوفة) و(البصـرة) في العراق .. ولضبط كل هذه الأعمال الحربية أنشأ التدوين، وهي عملية في سبيل تنظيم شؤون الدولة وضبط دخلها وتوزيع اعمالها.

كما أن الإحصاء جاء مكملا لهذه العمليات التنظيمية في سبيل ايصال الفيء الى المسلمين في شبه تعويض عن اقتصادهم الهزيل.

أما الاقتصاد، فإنه لم يلمح في التخطيط الى أي توجيه يمكنه أن يرسيه على قواعد صحيحة وفنية.

ولقـد تعزز قليلا بالنسـبة الى مـدخول الدولة من فتوحاتها الواسـعة التي حققتها بسـرعة فائقة .. غير انه ترك أمر الاهتمام به ريما للوقت، من حيث سيرسم خطوطه عن طرق تطوير العقل واقتداره على الغرف من الحضارات المحيطة به، مقتبسا منها كل شائق وجديد.

تلك كانت اهداف ومخططات ابن الخطاب الناظرة إلى مستقبل الجزيرة من ناحية علمية.

اتراه كان مصيبا في كل تلك المناحي، أم أن شيئا من هذا النوع لا يبلغ درجة من الكمال إلا مع التجارب التطبيقية؟

ص: 188

وذلك كان في بدايـة التطبيق في دولـة آخذة في تثبيت وجودها لأول مرة في تاريخها، غير أنها كانت بعض المخططات ، وليست كلها، التي كان من الواجب ان ترسم بكل تفهم وحيطـة وأن تمشـي خطواتها بكل اخلاص وتجرد، وان تـدرس بكل واقعية وانضـباط، وأن تؤخذ بكل شمول وتعمق، وان تطبق بكل تحفظ وروية.

أمـا عثمـان بن عفان، فأنه لم يتلمس النهـج في البناء بشـيء من هـذا التـدقيق المخلص أو هـذا النحت المتيقظ .. فبقيت الدولـة تثبط عن أهدافها، وراحت الرسالة تضـيع مقوماتها مع الفتوحات المغرية، واصـبح الفتح غاية ووسـيلة يتسابق اليه الشعب سباقا، من حيث أصبحت الجبهات الحربية زحاما انتقل اليها معظم سكان الجزيرة.

أما البناء النفسي العقلي، فلقد أهمل بالتلهي بكل المغريات .. من أموال،وتحف، وسبايا، وغلمان، وموال .. إلى آخر ما على لائحة الكسب من اسلاب وغنائم.

وتبرم من ذلك عقال الجزيرة، كما تبرم المحرومون .. حتى ان الأقاليم المفتوحـة التي أخـذت بروعـة الرسالـة بدأت تتبرم من هؤلاء الذين أخذوا يستبيحون خيراتها.

ودليل ذلك، أن الثورة على ابن عفان كان قوامها عدة مئات من مصر، حضروا متذمرين من الخليفة المتخلف عن نزاهة الحكم.

هذا ما كان في بداية تأسيس الدولة الجديدة.

ولا شك في أن الأساس المتين هو الذي يعول عليه في تشييد البناية الضخمة التي قدم تصميمها الدين الجديد.

ص: 189

فالأخطاء التي حصلت أنما حسبت على القيادة ، إذ فاتها أن تكون الحريصة في التشديد على اعمال التأسيس .

ان هذه الأخطاء كانت الموصلة إلى هذه النتائج التي اخذ يعاني وطأتها علي بن ابي طالب منذ تسلمه دفة الحكم.

وأن مثل هـذه الدراسـة قـد لمحنا اليها في فصل سابق من هـذا الكتاب، كما أشـرنا إلى كون ابن ابي طالب كان مطلعا عليها وهو في عزلته يراقب سير الأحداث.

وها هو يتسلم زمام الحكم وفي جعبته مخطط الترميم، تعويضا عما فات، واستئنافا لعلمية البناء السليم.

ولكن الوضع الحاضر اصبح اشد عناء بكثير من الوضع الذي قابل الرسالة في اطوارها الأولى .

هنالك انسان كان يسـتدرج الى وعيه، و كان يشـكو ثقل الزعامة عليه، لأنها كانت سـببا لاستعباده وافقاره .. وهنا انسان موقظ متحفظ، اخذ من جديد يستسيغ التزعم عليه كأداة لاستدرار الربح واستمراره.

هنالك قبيلة بدائية ضيقة وفقيرة .. وهنا قبلية ارتفت إلى الحزبية المنظمة، ومدعومة بالأغراء المادي.

هنالك إنسان كان طفلا بريئا .. وهنا إنسان اصبح مفسودا حتى بالإغراء الجنسي.

هنالك عقلية بداسية كان سهلا أخذها . وهنا عقلية اخذت من الجديد داء ضمته إلى قديمها، فإذا هي تستوجب العلاء المرضين مشترين.

وهنالك الاقتصاد المركز المألوف .. وهنا الاقتصاد المباح الذي لا يستوي على ميزان.

وهنالك الثقافة التي كانت قد ابتدأت تبنى بناءا حثيثا ... وهنا الانفتاح على مديات أخذت بدون تفهم، فكان ضررها أكبر من أفادتها.

وأخيرا .. هنالك صاحب الرسالة، كان لا يزال حاضر الرعاية بالغ التأثير .. وهنا غيابه عن الساحة التي انكشفت بضعف التخطيط الذي كان لازما نفاديه عند تركيز الأساس-

كل ذلك لم يكن أبدا من السهل مجابهته أو العمل على اعادة تنظيمه ..فالفتوحات قد انساقت الى مداها، وهي تتطلب المدد الدائم للمحافظة على مستواها.

والمدرسة التي كان واجبا أن توسع باحاتها لتخريج الحكام والقواد لتسلم قيادة هذه المقدرات، لم توسع لاستيعاب العدة المطلوبة.

والجيش نفسه، الذي اصبح كناية عن الأمة بكاملها، مستنفرة لقيام بهذه الفتوحات، ليس قوامه أية قيمة فكرية ثقافية .. فهو جيش يسعى وراء الكسب أكثر مما يسعى الى نشر فكرة سامية خليقة بإلباس المدنيات القائمة حلة جديدة .. لم يكن للقواد عليه الضابط الرادع، نظرا لضعف التنظيم وضعف القيادة.والجزيرة نفسها لم يتحسن اقتصادها من الكسب الجديد، بل جعلها هذا الكسب تتمتع بثروات موهومة، سريعا ما تذوب وتترك اثر اشد سوءا من الحالة الأولى.

والثقافة كذلك التي كانت قد بدأت تتبلور رويدا رويدا في عملية تنوير العقل والنفس، صدمتها الموجة المادية العارمة التي دخلت بواسطة الفتوحات

وارجعتها إلى غرائز وشهوات كانت دائما سببا في دك مدنيات زاهرة .. فكيف بها ادخل على مدنية لا تزال تتكبل بسلاسل بدائيتها.

إن هـذا العرض للحالـة الراهنة يلملم الموضوع ليلقي على عاتق ابن ابي طالب أكبر وأضـخم تبعة عرفها تاريخ الجزيرة، ليكون معها أتعس حاكم تحمل أعباء شعب برمته، منذ أن وعى رشده حتى بلغ حتفه.

ص: 192

افق الكوفة والشام

ان النعمان بن بشير لم يكن يمشي الى الشام بقدميه بقدر ما كان يمشي إليها بأحقاد العصبية، التي راحت تشطر الدولة إلى شطرين..

ولم يكن يحمل قميصا ملطخا بالدم أكثر مما كان يحمل نفسية ملفوفة بالضغائن.

ولم يكن ينقل رسالة مشبعة بآيات الدين الجديد أكثر مما كان ينقل فتنة ممرعة بالمكر والدهاء .

تلك العصبية التي كانت في جاهليتها محصورة بين بني هاشم وبني أمية في نطاقها التقليدي الضيق ، أصبحت اليوم ترتدي جبة واسعة خلعتها عليها السياسة .. فإذا هي تتبختر بها كأنها شيء من البطولات.

ولم تكن تنتظر قميصا لعثمان حتى تتململ وتمد لسان الأفعى .. فعثمان نفسه لبسته العصبية قميصا منذ ان اجلسته على كرسي الخلافة، وهي بإمكانها أن تفصل الف قميص كهذا القميص عندما تتوفر لها السوانح.

لذلك، فهمة النعمان بن بشير كانت شكلية تتلهى بها أعين السذج من الناس، يتوارى خلفها دهاقنة الدهاة في تحريك العواطف المستخدمة لصيانة المصالح والأهواء.

وليس التاريخ ليجهل أن عليا ابن ابي طالب كان بريئة من قميص عثمان الذين جرموا الذئب بقميص أخيهم .(1)

1- لقد ذكر أهل السير، أن معاوية لما استصرفه عثمان تثاقل عنه وهو في ذلك بعده حتى اذا استقر به الحصار بعث اليه يزيد بن أسعد القسيري وقال له: إذا اتيت ذا خشب فاقم بها ولا تقل الشاهد ما لا يرى النائب فانا الشاهد وانت الغائب قالوا فأقام بذي خشب حتى قتل عثمان فاستخدمه حينئذ معارية فعاد الى الشام بالجيش الذي كان معه فكان في الظاهر نصرة لعثمان (البلاذري). وقد ذكر محمد بن عقيل في كتابه وهو في الحقيقة خذلان له لحبسه الجيش كي يقتل عثمان فيدعو الى نفسه كما وقع بالفعل) (النصائح الكافية ، محمد بن عقيل: 40).

ولكنها الدنيا، تتشبث بملكوتها، وتستعمل كل الوسائل في سبيل اغراضها.

والشام اليوم في حضن معاوية وابن العاص .

تلجأ إلى مثل هذه الوسائل وسيان عندها أكان المتهم بدم عثمان بريئا أم لم يكن، فالوضع يسنح لفتح الجبهة .. على كل حال، فالأموي هو القتيل، وهم الأهل الذين يحق لهم الأحذ بالثأر.

ذلك كان ظاهر الأحداث..

ولم يكن افق الشام إلا ليتشح بذلك الأكفهرار الذي ينذر بهبوب العاصفة وانقسم الرأي العام في الامبراطورية الحديثة الى ثلاث كتل:

كتلة تمد يدها إلى معاوية، محورها الشام .. وكتلة تتشيع للإمام علي، ومحورها الكوفة . وكتلة حيادية نامت على يد سعد بن أبي وقاص فاتح العراق، والمتربع على أيوان كسرى.

وراحت كل كتلة تجمع سلاحها.

فلندع السيف قليلا .. فهو ليس بالسلاح المقصود .. وهو وان يكن له في الميدان قولة الفصل ليس اليه دائما يرجع معنى الظفر.

ص: 194

وقبل ان نوغل في الحديث فلنحذف الكتلة الثالثة، لأنها القت سلاحها واعتزلت المعركة (1)وراحت تراقب سيرها كأنها ليست منها وليست لها، تهربا من المسؤوليات .. يضر أكثر من أن ينفع .. من حيث يجرم أكثر مما يبرئ .

ولتستطرد الكتلة الأولى .. (الشام).

ص: 195

1- بعد مقتل عثمان أعتزل سعد وعبد الله بن عمر فقال الإمام علي عليه السلام: أن سعدا وعبد الله لم ينصرا الحق ولم يخذلا الباطل، ثم انشد متمثلا: واثكلها فقد ثكلت اروعا ***أبيض يحمي الشرب أن ينزع

الكتلة الأولى: الشام

والشام منـذ ان وجـد الإنسان في الجزيرة وهي تعب من هجراته منها لتعيده اليها مع تموجات العصور انسانا" ملحقا بمناخ آخر ... وهكذا مع الأجيـال كـان يحصـل ذلـك التبـادل الـدقيق بين هـذين الخطين الضـاربين في قلب الصـحراء ، يتلاقيـان فيتمازجان ويفترقان، لينجبا مجتمعين متقاربين متناسلين من صلب واحد.

وهكذا كانت صلة الدم وصلة الروح تجمع شعبين بالأخوة الى مصدر واحد. .

ذلك هو الشـيء الـذي سـهل اللقاء الأخير بين الجزيرة والشام، ليتبادلا العناق في حضن الرسالـة الجديـدة، وكي يـدق بقبضـة واحدة عنق الأجنبي الذي ولى مهرولا وهو يلفظ وداعه الأخير.

عليك السلام يا ارض سوريا .. ونعم البلد انت للعدو.

ولقد سـمعت اذن معاوية ابن أبي سـفيان ذلك الوداع التاريخي عندما كان يتقصـيالعدو الرحال، يسانده بذلك عمرو بن العاص، وخالد ابن الوليد، وأبو عبيدة الجراح.

ولم يكن التاريـخ ليصدق انذاك أن قبضة من البدو الهائم على هذه الصـفحة المحروقة بنار الهجير تحقق مثل هذه الانطلاقة اللامعة، وتدك معالم مدنية زاهرة احتلت صدر التاريخ القديم.

ص: 196

أجـل !.. لـم يكن ذلـك ليحصـل لولا الرسالـة التي اطلق دويها النبي الكبير فجاءت باسم التوحيـد الأكبر، فوحـدت الجزيرة بكل نزعاتها، وجمعتها من تشتيت قبائلها، وصبتها في قالب واحد .. فانطلقت تحقق المعجزات.

كان ذلك بقوة واحدة وهي قوة بني هاشم وبني أمية، وقوة اليمنيين والنزاريين، وقوة القحطانيين والعدنانيين.

بذلك السـلاح الذي وحد العقول والقلوب ثم الفتح العجيب، ثم بفعل الإيمان وبما شع من الإيمان .. فكان وهج السـيف من ذلك النور، وكان يحمله زند عربي موحد.

أما اليوم .. فما بال معاوية يعتمد الى سلاح قديم غرير .. ما باله يستبدل براية العقاب البهية قميصا ملطخا بجريمة؟ !

هل كان له شيء من الأمجاد يوم كان ينفخ ببوق القبلية ليتغير بنو أمية على بني هاشم.

ألم تذبه الفتوحات بين يديه في نشوة الفتحة الصحيح والنصر الأكيد؟

وكيف به يحمل الرسالة يقهر بها قروم الروم دون أن يتمكن من دحرنزوات في النفس ترجع بها الى غياهب الماضي الذميم.

وهذا النصـر اللامع الكبير الذي حققته الرسالة به على طول الشاطئ السوري، من حيث سجل اسمه في المع صفحة من صفحات التاريخ، هل يجوز له، بعد اقتناصه، أن يعود فيضرب حوله وشما من مخازي الخلافات الصغيرة التي لا يمكن ان تنعت باكثر من زحام على كرسي؟

وان وجهات النظر مهما تكتف له من مبررات في اقتحامه هذا الصـراع الرهيب، لن تتمكن من بعثرة كل التهم التي الصـقت بهذا الصراع .. جريمة

صفع الرسالة بكف التفرقة، وتجميد روعة الفتوحات بترهات الخلافات وشطر الامبراطورية الفتية الى شطرين متنابذين .

على كل حال ... لقد ختم على افق الشام قميص عثمان .. وها هي تستعد الامتشاق الحسام ... ولكنه حسام فاقد اللمعان.

ص: 198

الكتلة الثانية: الكوفة

وهذا هو العراق ، مهبط آخر من مهابط الجزيرة، يا طالما انفتح أمام هجراتها القديمة فامتصها ببداوتها ورجع اليها انسانا مفتوحا . ولم يفقدا يوما هـذا التلاحم العميق رغما عن الزحف الـذي كان يتوالى على العراق من الشـرقتحمله اليه اطماع الأعاجم، كالشام كانت صـلة الرحم وصلة الروح تجمع شعبين بالأخوة الى مصدر واحد.

وفضل هذه القربي تقبل العراق ابن الوليد، وافسح لابن أبي وقاص الوصول الى ايوان كسرى.

كل ذلك قـد تم باعجوبة تلك اللحمة التي وثقت عراها المحبة المشـعة من عين الرسالة .. إذ كان اليمني والضـري يتساندان كتفا إلى كتف في اقتحام ساحات ال جهاد .. يرددان كلمة واحدة (الله اكبر).

واليوم يتنكب خليفة عن رسالته، فيضـرج بدمه ليسـتنفر النزاري على اليمني والهاشـمي على الأموي، لخوض معركة داخلية تنسـي الأرحام وتنكا الجراح، ويرجع بها الى الوراء اربعة عقود، وتسفح فيها كرامات الأمة.

كأن المجد الذي تمددت أفياؤه من اقاصي افريقيا حتى مرامي الهند كان لعبة لطفل أو ملهاة لسادر.

وكأن الرسالة التي اجترحت الأعجوبة الكبرى كانت نفخة من هواء وظلا عابرا في اضحية.

ص: 199

وكـان الشام والعراق ما ترافقا يوما في طريق، ولا جمعتهما ساعـة من جهاد، ولا اقتسـما ضـلعا من ضـلوع المفاخر، ولا تمتعا لحظـة بنشوة الظفر، ولا خيمت في أجوائها نفحة من نعيم السماء .

وكأن الجزيرة ما حملت يوما بهذا المعين الدافق منها، تبرد منه حشاياها الظامئات .. فراحت تلغ فيه كأنه بين يديها الأسن العكر.

وهكذا وقفت الجبهتان . جبهة الكوفة وجبهة الشام . تستعدان للزحف احداهما على الأخرى بسيوف يا ليتها ما كانت من الإسلام.(1)

1- لكن شـتان ما بين جبهة الكوفة بقيادة إمام الحق والعادل ، وبين جبهة الشام بقيادة الباغي الظالم، فقد جاء عن الرسول الأعظم أنه صـلى الله عليه وآله قال : حربك يا علي حربي، وسـلمك سـلمي، وقال عليه السلام أيضا: اللهم انصر من نصره واخذل من خذله، لذا وجب قتال الفئة الباغية ونصرة الحق ومعونة الإمام علي عليه السلام.

عائشة

يا أم المؤمنين ! ليس من باب نكأ الجراح أن يورد اسمك في هذا الكتاب مقرونا بمعركة فورت فيها دماء ابنائك من المسلمين.

وربما يكون ذلك من بعض امجادك ، أيتها الأم الكبيرة ، لو وفرت لك السوانح ركوب الهوادج الى تخوم الجزيرة، حيث كان الفتح يجمع النصر باقات تنشر ازاهيرها على جدث زوجك العظيم الراحل.

ولكن التاريخ الذي يوسع لك في صدره مجالا واسعا في باب الحرمات، كان يأسف أن تشوب حروف اسمك الناعم بعض الشبهات.

إذ إنك لست من هؤلاء اللواتي كن يعشن على الهوامش .. فأنت زوج الأضخم اسم في الحياة ، من حيث اصبحت أما لأكبر عدد من السلالات ولا تزالين ايتها الأم الوقور .. فكل من اسلم لربه تستهيمه الى حضنك الدافئ شعائر النبوة.

من هنا تنساق عليك ابواب المآخذ...

إذ أن التدخل السافر في قيادة معركة كانت من أقسى المعارك الأهلية التي شهدتها الجزيرة، لم يكن ليجعلك في موقف الأم المتألمة من مشاهدتها ابناءهايتزاحمون إلى موارد الموت.(1)

1- البيهقي عن الحسن البصري: أن الأحنف بن قيس قال لأم المؤمنين عائشة : يا أم المؤمنين علي عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المسير ؟ قالت: اللهم لا . قال : فهل وجدته في شئ من كتاب الله جل ذكره ؟ قالت: ما نقرا إلا ما تقرأون . فقال : فهل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استعان بشئ من نسائه إذا كان في قلة والمشركون في كثرة ؟ قالت : اللهم لا . فقال الأحنف : فإذا ما هر ذنبنا وروي أن أبا الأسود الدؤلي قال لها: ما

لا!.. بل ان عكس ذلك كان..

فلقد كنت في طليعة المحرضين، ولقد تأبطت سيدين من أسياد قريش،(1) ورحت تطوفين بهما بين مكة والمدينة، وبين المدينة والبصرة .. ولقد اعتليت منصات الخطابة تؤلبين حولك وحولهما الأنصار، من حيث هيأت للمعركة عدة لبتك تلبية المستميت.

ولا غرو .. فإن صوتك الجوهري، وبيانك الفصيح، الصادرين عن شخصية اكسبهما القرب الوثيق من النبي قوة التأثير وصدق التلبية ، كانا معوانا على تحضير تلك المعركة تحضيرا عب من دماء المسلمين على غير ارتواء وجمد قوة الدولة الناشئة تجميدا مؤلما .. واستدرجها لمقابلة سلسلة من المجازر الأهلية اوهمت بها اركانها واجلت عنها هيبتها .. لتكون فيما سببا وجيها في إناحة عزها، وتقليص مجدها، ونقل مركز القيادة منها.

ليس معنى ذلك، ايتها الأم الجليلة ، انك لو لم تقفي موقف المتشيع كنت تتمكنينعلى تأكيد من رأب الصدع بين جهتين متصارعتين على كرسي الحكم.

ولكن موقفا من هذا النوع لو كنت لتقفيه، يكون له كبير أمل على ترجيح في تخفيف الحدة الناشبة ومنع الاصطدام الواسع.

فالجمل الذي اعتليت لو انك قدته الى سوط الساحة، ومن طاقة هودجك اطللت بوجهك الصبوح، وقلت بكل ايجاز:

1- أنت من السوط والسيف . إنما أنت حبيس رسول الله صلى الله عليه وسلم . أمرك الله أن تقري في بيتك (زوجات النبي صلى الله عليه وآله: سعيد أيوب: 50)

(أنا أمكم يا مؤمنون .. هذه هي أنا بلساني، بمعصمي ، بقلبي، وبحناني ..ضعوني حدا بين خلافاتكم..).

لو فعلت ذلك فقط، يا سيدتي، ربما كنت تمكنت من تغيير مجرى الأحداث، لأن المشاهد كان بمكنته ان يرى ويسمع ويفهم .. يرى في عينيك شعاع الحب، ويرى في وجهك شعاع الحب ويرى في الإيمائة عن معصمك شعاع الحب .. ويستجمعها كلها فيسمع فيها نداء الحب .. وقلبها جميعا في ذاته، فيدرك منها معنى الحب.

وليس الإخلاص بغير اشعاع، فهو في العين ابلغ منه على اللسان.

ذلك الاخلاص كنت أنت الأولى به مصدرة فياضا .. فأنت أم المؤمنين تتنزه فيه الأغراض ... فلا الحكم غايتك، ولا الرياسة مشتهاك .. وجل مبتغاك ان تجمعي المسلمين الي حنانك كما جمعتهم الرسالة إلى رواقها، وكل أمجادك انك كنت الرفيقة الكبيرة للرجل الكبير .. وليس همك، بعد رحيله، غير التأمل والتبصر، ورعاية التركة البهية التي هي بين يديك.

أما المتنافسون على الخلافة، فليس لديهم اليك غير المحجة للوسيط ،والرجوع منها بالنصح الحليم والزجر الحكيم.

كل ذلك لم تفعليه .. واكتفيت بالمناصرة الجزئية .. حتى حصل ما حصل. فكيف اغريت على ذلك؟.. أو كيف اريت صوابه؟!

هذا هو الذي جمعه التاريخ، ليسجله على هامش الصفحة التي تنزل عليها اسمك الجميل في حقل التحفظات، من حيث كان أبهي لتلك الصفحة أن تخلو منها.

ص: 203

طلحة والزبير في سطور

ليست خطورة الحديث عن (طلحة) و (الزبير)(1) بالنسبة الى شخصيتها بقدر ما هي بالنسبة الى الأثر السيء الذي تمكنا من ترك اظلاله السوداء تخيم على طول الجزيرة وعرضها لأن هذين الرجلين اللذين نفخت واصرهما رفقة الرسول، لم يتنكنا من ان كيتسبا من الرسالة أكثر مما يقدر الطاووس على اكتسابه من رأسه الصغير المرتفع وذيله الطويل المنتفش؟

ولقد بقيا كذلك يحملان بداوة الجاهلية تحت زركشة ريش موهوم، لتغرربهما في كل سانحة .. بداوة تشد بهما إلى الوراء، واستقراطية تدق انفيهما إلى فوق.

وبثوبين باليين تمكنا من ثقب الجدار ليدخلا منها إلى الحصن، حيث جلسا، وبقيا جالسين، حتى (وقعة الجمل).

ولقد ترافقا كل عمرهما متساندين متنابذين كما ترافق ذئبان إلى رطيدة ..فأما الطريدة أما الرفيق يسقط فيكون الطريدة !.

وهكذا كان يمني كل واحد منهما نفسه بالخلافة .. وسيان لديه، أكان يحمل لهماالعدة اللازمة أم لا يحمل .. كأن قرشية كل واحد منهما لتحل الأعباء تكفي!

ولم يزل هذا نوالهما حتى استأنس كل واحد منها بنقطة الضعف عند عثمان بن عفان ، فأسلما نفسيهما الى المحاولة.

1- الزبير بن العوام بن خيولد بن أسد الأسدي ، أبو عبد الله ، شهد بدر وما بعدها، روي عن النبي صلى الله عليه وآله معركة الجمل سنة 36ه.

ولكن الثورة التي رميا الى نارها بعض الوقود، لم تكن لتضع نصبعينيها شخصيتين من هذا العيار.

وسريعا ما انفتلت تلج على فتاها الأصيل لتطرح بين يديه زمامها .. كالأفعى الجريح تنقلب على جرحها تعضه ربما يبرأ، انقلبا على جرحيهما بعضناه معا في مكة، حيث تمكنا من التغرير ب(أم المؤمنين) .. فهمت تلف ساعديهما!

ومن وراء الأفق، حيث تنام الشام على قلق، جاءتهما شعرة معاوية تتلاين في ملمسها لتزفر الباقة الجمعة بأمل المبايعة والوصول بأحدهما إلى خدر الخلافة، ولتنفخ فيهم بطولة معكوسة.

ويخلق الله لكم مالا تعلمون.

ونجحت الردة الجديدة يقودها الجمل (عسكر) .. وسارت تغرر بألوف المسلمين حتى هبطت البصرة .. وفي يوم واحد لاقت حتفها!

ص: 205

معركة جانبية

من المؤكد ان اعمال الفتوحات التي توسعت مع الوقت اكسبت القواد العرب الخبرة في القتال، من حيث اصبحوا بعدون من المع رجالات الحرب في ذلك العصر.

فخالـد بن الوليد الذي خسـر (معركة مؤتة) – أولى محاولاته على الروم قرب بحر الميت . اسـتفاد من هزيمته تلك ليسـتفيد أكثر فأكثر في دحر قوى الردة على ابي بكر، ثلم لم يعدي ليذوق طعم الخيبة لا في الحيرة التي انتزعها من آلساسان) ولا في حصاره المشهور على دمشق التي اقتحمها طاردا منها الروم ليضربهم الضربة القاضية في يوم اليرموك.

اه هذه الخبرة الحربية التي وفرها الفتح الإسـلامي لرجاله وقواده، والتي جعلت خالد بن الوليد في مصاف القواد .. هي نفسـها التي اكتسبها معاوية وشـرحبيل وابن العاص في قفزاتهن .. ان الى مصر وأفريقيا، أو الى ارمينية و اذربيجان .. وهي نفسها اليوم يستعملها ومعاوية وعمرو بن العاص .

وبدلا من أن يسـتمرا يضيفان اليها الحنكة تلو الحنكة في دفع الفتوحات الى الأمام وتثبيتها على أساس متين من الوزن والاستقرار، سحباها من ساحة الفتح ليستعملاها، بكل دواهيها، على الجبهة التي قررا فتحها على الخليفة الجديد، بحجة الثأرلعثمان.

وفتـح الجبـة في الجزيرة نفسـها كان من احكم الخطط واصوبها، لأن نقل القتال الى ارض العـدو له افضـلية النتائج، إذ ان ارض العدو هي التي تكابد الخسائر.

ص: 206

وهكـذا تمكن معاويـة من ضـرب اسـفينه في ارض الجزيرة، مسـتخدما طلحـة والزبي، منيا احـدهما بالخلافة، مترقبا من وراء ذلك ارهاق الطرفين لعله بعد ذلك يجد الفرصة الأكثر ملائمة الأعلان انتفاض آخر يوصله إلى غايته الأخرة التي لم يلمح إليها بعد حتى الآن.

في الوقت عينه، لا يكون قد فرط بشيء من قواه التي يوفرها لوقت لاشك ففي أنه سيحتاجها فيه.

ولقـد نجـح في كـل مـا رمي إليه، فـإن طلحـة والزبير – وهما من أجل الصـحابة – تمكنا بمعاونـة (عائشـة) أم المؤمنين من تأليف الجبهة المقصودة وسارا يقود حشودهم (عسـكر) – اسم جمل أم المؤمنين – الى حيث اصـطدموا بحشود الإمام علي قرب البصـرة ، حيث فشـل خصام الخليفة، وقتل قائدا المعركة

طلحة والزبير، واسرت عائشة أم المؤمنين، وارجعت الى بيتها – وهي نادمة و آسفة – بكل احترام .

ص: 207

يوم الجمل

قيل : أن معركة الجمل انتهت بيوم واحد، ولذلك نعتوها باقصر معركة في التاريخ راح ضحيتها اكثر من خمسة عشر ألفا ... أكبر عدد يمكن أن تستهلكه معركة في يوم واحد .. أي في اقل مدة يمكن أن تحسب بالثواني الاستيعاب مثل هذه المجزرة التي عدت بالألوف.

ولكن (معركـة الجمل) تأبى أن تتلبس نعتا هزيلا كهـذا النعت يحصـرها في يوم واحـد) وهي لا تزال تفتش، حتى اليوم، عن كلمات أوسـع وأشـمل تتمكن من ان تناسـبها لتبرز فيها مسـتكملة شـروط وصفها و تحديدها..وكيف تجد ذلك وهي معركة كانت تكملة لمعارك عديدة سبقتها، وهي لا تزال مسـتمرة بعد اربعة عشـر قرنا حتى اليوم .. دون أن تدري الى متى سيستمر مفعولها التخريبي على طول الرقعة المسماة ب(دنيا الإسلام).

فهي نفسـها اصـبحت تجهل – تقريبا . تاريخ مولدها، وتجهل ايضا الموعد الذي ستلفظ فيه انفاسها .. ولم يعد بإمكانها ضبط العدد الكبير من ضحاياها ، لأن العدد سقط تحت خف الجمل ليس هو إلا أصغر عدد أمكنها أن تحصيه ، من حيث اختلط عليها احصاء الذين سقطوا من قبل، وداخت عن اصحاء الذين سقطوا من بعد .. وسوف تضيع عن أصحاءالذين سيسقطون في المستقبل الحامل كل انفاث سمومها.

ولكنها تفخر بكونها بدء التاريخ .. لأن سبقها قد اسقط من الحساب اذا غمرته الجاهلية بعدم المسؤولية.

فهنيئا لمعركة الجمل تلقل نفيها ب (أم المشاكل).

ص: 208

حق البكارة

ولكن معركة صفين تتقدم بكثير من الاعتراض على اختها، إذ سابقتها الى حق البكارة.

فهي تدعي أنها ولدت قبلها في الساحة، وإنها هي التي دغدغتها ومرتها على تحريك قدميها، وهي التي كانت تحنو عليها بكثير من العطف قبل ان تتجرأ على الوقوف وحدها، وهي التي وفرت لها السبيل لأن تمشي وهي تراقبها بفرح الناقة يحبو تحت انفها فصيلها .. حتى إذا ما سارت الى آخر البلدان نسب إليها اكتشافه واحراز قصب السبق.

والحقيقة : أن معركة صفين صادقة في ادعائها .. إذ لولاها لما كانت (بنت الجمل) لتجرأ على المحاولة القاسية.

والفضل يعود الى صفين في كل ما يسمى بشق الطريق واللعب بين المخاطر.

وان حق البكارة يعود لها ... فهي البكر بالمولد، وهي الأساس بالتدريب ، وهي المعلمة الفاهمة بكل فنون الميدان، وهي التي ضرستها الأيام فاكسبتها قوة الجلد والصبر على اقتحام المخاطر، وهي التي اضحت خبيرة بأمور الساحة، ما استدق منها وما انفرج وما أعوج من خطوطها وما استقام .. وهي الفعل، التي دفعت اختها الصغيرة الى السحة المكشوفة، وكانت من بعيد تسندها وتدغدغ خطواتها.

ولكن المشاهد أبى إلا أن يسلم الطفل الجرئ جائزته الأولى ، إن لم يكن عن جدارة فعن تحبب على الأقل.

ص: 209

أما معركة صفين فلن نغمط حقها، إذ سوف تلبث الاخت الكبرى لمعركة الجمل، حتى انها سوف تبقى مستحصلة على حق الأمومة.

فهي (أخت) و (أم) في وقت واحد؟

وإن معركة الجمل لن تخسر فضيلة الإقرار بالجميل.

فهي تصـرح : إن صـفين اختي وأمي في وقت واحد .. أمي التي ماتت – وأنا طفلة – اثر مرض عضال لـم يشفها منه نطس(1) الأطباء الذين تداولوا على تمريضـها تحت ستائر الكعبة، فتحطمت ضلوع (هبل) ولم تتمكن من شفائها، وكذلك فقئت أعين (اللات) و (العزي) و (مناة) دون ان تصل الى اكتشاف الـدواء، وعجزت كـذلك زيانيـة (بـدر) و (أحد) و(خيبر) عن اقتلاع الحرجة التي كانت عالقة في خلق الأم التي وهنت .. وأخيرا لفظت هي آخر أنفاسها.

كان ذلك تصـرح به (معركة الجمل)، وتدرك أن اختها (صفين) هي التيتعهدتها بالتربية حتى بلغت رشدها . وهي اليوم – أي بنت الجمل – إذ تتزوج من استقراطي، فإنها لن تستأثر بثروة هذا الزوج الثري الذي مات في ليله عرسه، فلأحتها الكبرى منته النصيب الكبير.

1- النطس بالفتـح ككتف وعضـد : العالـم بالأمور والحاذق بها.. والنطس، بضـمتين: الأطباء الحـذاق المـدققون (تاج العروس ، الزبيدي :13/9).

تعقيب

من المؤلم حقا أن توصف (معركة الجمل) و (معركة صفين) بشيء من التهكم الحزين.

ولكنها فورة الألم على الأمل المصدوم .

اين هي تلك الروعة التي كانت ترافق العرب على طول الجبهات المفتوحة تتظافر فيها على هاماتهم أكاليل الغار؟

و اين هم القواد من العد المدحور يتكفكفون من حصن الى حصن يحررون أذيال الانخذال؟

اين (هرقل)؟ .. اين رستم)؟ .. اين (المقوقس)... اين (سرجيوس) و (نيودروس) و (يزدجرد الثالث)؟ .. أين (آل ساسان)؟ .. اين ابطال الروم؟..

هل سمح لكل هؤلاء ان يستعيدوا النفس الواجف ويلموا الشمل المشتت بعد أن شاهدوا الزاحف الفاتح ينكفئ الى خاصرتيه يغوص فيهما برمجة وحسامه؟

وأية قوة ستكون فيما بعد للعرب لمجابهة كان الأحداث التي تستألب عليهم عند رجوع المد؟

وكيف سيقابلونها بكف مبتورة وسيف مغلول؟

وستتألب عليهم تلك الأحداث، وسيدفعون لها الجزية صاغرين .. وهي جزية يفرضها عليهم تنكبهم عن مضمون رسالتهم، يفرضها عليهم تضليل الفتح عن اهدافه .. إذ أنهم لو وعوا اهداف الفتوحات لكانوا أول ما عمدوا الى

فتح الجاهل في نفوسهم، يكنسون منها قذارة التعصب القبلي وما يوحي من شهوات تضلل النفس والعقل وتمرغهما بأنتن الوحول.

وما كانت الرسالة إلا فتحا مبينا في عملية انتصار العقل على الجهل، وفتح كوى الخير على النفس ، وابدال التسامح بالحق، والمحبة بالبغض، واضاءةالدنيا بالدين.

وما كانت معركتا (الجمل) و (صفين) لتجيبا الرسالة بشيء من موحياتها.

فاليمنية والقيسية هما نفسهما اللتان لا تزالان في الميدان، وهما نفسهما لا تزالان حاملتين روحية الجاهلية من عرب الجنوب وعرب الشمال، ولا تزالان منتمتين الى قحطان وعدنان .. وهما اللتان لا تزالان الخط الذي ينقسم عليه المتنافسون في ظل الرسالة على اقتسام الدنيا والتنعم بخيراتها.

ولقد استنجد معاوية باليمانية حتى أوصلته الى عرش الشام، وسيستنجد أبو مسلم الخراساني (1)بقبيلة (الأزد) اليمانية لدك العرش الأموي وتسليمه الى العباسيين، من حيث لم يتمكن الخليفة الأموي (مروان) من الوقوف في وجه الزحف العباسي، لأنه سيكون منهمكا بالخلافات القبلية بين القيسية واليمنية بالذات .. ليس في الأرض الأم حسب، بل حتى في الأندلس التي يستقبل إليها من الفتح القيسي وستكون الروح القبيلة الغذاء النفسي للفظائع التي سطرها التاريخ.

---

1 - 1. أبو مسلم الخراساني: اختلفوا في نسبه اختلافا كثيرا فقال بعضهم هو من اصفهان وقال بعضهم من خراسان وقيل ان من العرب وادعي هو انه من سليط بن علي بن عبد الله بن عباس ، ونسيه ابو دلامة الى الأكراد، وهو الذي قضى على دولة بني أمية. (هامش البداية والنهاية ، ابن كثير: 373/9).

القبليـة الهوجـاء التي جاءت الرسالـة تحرقها، تطمرها، تمحو آثارها.. ليصـفو الجو المجتمع صـحيح مبني على عقيـدة وإيمان، على عقل وصواب، على نظافة وعدالة، على محبة وإخاء.

ولكن يومي (الجمل) و(صـفين) لم يكن لهما غير عيني جمل همه قضم العشب من واحة ضخراء .. وسيان لديه: ينضب دجلة ويردي ، أم يغور الفرات !!

ص: 213

صفين في بضع فقرات

على ضفة الفرات الغربية تقوم (صفين) شمال (الرقة).

بعد انذارات عديدة ، ومحاولات فاشلة قام بها الرسل بين الخليفة الجديد معاوية لمنع هذا الاشتباك، تقررالزحف لقمع العصيان.

التقى الجيشان المعبئان في صفين.

اسبوعان من الوقت مرا في مناوشات خفيفة ، كان القصد منها استدراج معاوية للكف عن القتال فتسلم جوانب المسلمين.

لم تنجح المحاولة.

منع معاوية جيش علي عن ورود الماء.

تمكن جيش الخليفة من الشرب بالقوة، ولم يبادر الخصم بالمثل.

شهامة قدمت على سبيل استدرار العاطفة، لم تنجح.

التحم الجيشان في قتال أليم، وكادت تدور الدائرة على جيش الشام.

استنجد معاوية بعمرو بن العاص لتفتيق الحيلة.

جادت الحيلة على ابن العاص، فنصح برفع المصاحف، وطلب التحكيم.

بعد مداولات عديدة، وتحت ضغط الأنصار، لاسيما (1)هؤلاء الذين سمو فيما بعد ب(الخوارج)، وفي سبيل حقن الدماء، قبل التحكيم .. بل أجبر الإمام علي قبوله.

عمرو بن العاص عن معاوية..

1- (خاصة) في الأصل كانت، والصحيح ما اثبتناه .

أبو موسى الأشعري عن علي.

تمت المهزلة التاريخية بخديعة الحكم الأشعري .. من حيث عزل ابن ابي طالب عن الخلافة !!

كانت الحصيلة عشرات الألوف من القتلى.

استئناف القتال.

تصدع الوحدة الإسلامية..

ظهور الخوارج..

تجميد الفتوحات..

اغتيال اكبر رجل كان بإمكانه صيانة الأمة وارساؤها على اصول من المناقب والفضائل تتجمل بها لو فعلت، وحين تفعل، الى ابعد الدهر.

ملحق

إذا كان من حق الثعلب يفتخر بدهائه، فأي دخل لذتبه بهذا الافتخار؟ !

ولكن الـذيل يـدعى : ان الرأس الـذي يحتاك بالحيل لم يـذهب مرة واحدة في مغامراته دون ان يصـطحبه لذلك .. فهو رفيقه في كل خطوة حققت له فن الرواغ.

إذا كان الأمر كذلك، فلمعركة (النهروان هذا الحق بالإدعاء .. فهي ذيل طويل المعركة صفين دون جدال.

ولكن ان تكن قـد انبترت بضـربة واحـدة، فإنهـا لن تمر دون أن تتبعثر من حوالها علامات التعجب والتفجع، فوق ما تركت من ذيول لا تزال تتجرر

حتى اليوم، منطوية على فلسفات يشتق بعضها من بعض كماتشتقالسفسطات من المماحكات.

غير ان الخوارج في كل ما تشعبوا إليه، من الأزارقة، إلى النجدات الى الأباضية، إلى الصفوية .. إلى كل فرقهم التي بلغت العشرين، في غلوهم أو في اعتدالهم، في ديمقراطيتهم أو في ارستقراطيتهم .. فإنهم يستحقون شيئا من الإجلال على كثير من الشفقة، لأنهم كانوا ينشدون الحق وان اخطاؤه .. كما قال عنهم الإمام علي قبل موته : (لا تقاتلوا الخوارج بعدي ، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه)، أو كما قال عنهم عمر بن عبد العزيز في ما بعد: (إني قد علمت أتكلم لم تخرجوا مخرجكم هذا الطلب دنيا او متاع، لكنكم اردتم الآخرة فأخطأتم سبيلها).

إن معركة صفين تتذيل بمعركة النهروان .. ويكفيها بؤسا كونها، فوق ما فسخت العالم الإسلامي في فخر وحدته وباكورة أمجاده، تسببت في حقن صدر ذلك الخارجي بسموم الحقد، فشرب سيفه به، وأقدم على قتل أعظم رجل عرفه تاريخ العرب بعد النبي صلى الله عليه وآله.

ص: 216

خاصرتا ابي موسى الأشعري

خاصرتا ابي موسى الأشعري (1)

من المؤكـد بأنـك لـم تكن من ذلك العجين الـذي إذا خبز تشـهته الموائـد، ولا عودك كان من ذياك النبت الـذي إذا حرق صـفا نوره وطاف دخانه، ولـم يكن المعانك من النوع الجرئ الذي لا يخاف من أن يعرض ذاته على المحك الذي تتجلى عليه صفوة المعادن.

ولقد تسلمت زمام الكوفة فالتوى فيها عودك كما يلتوي العكاز في يدالكفيف.

وأين تقع للضرير من دليل غرير؟

لذلك، نبذتك الكوفة حين انتدبتك عصا تتوكأ عليها، فلم تجد فيك أكثر من عصل.

أما أنت، فلبثت تتعصر على خاصرتيك تنفخهما بشيء من العلم المفقة،حتى ظن عودك الأملد.

1- ابو موسـى الأشـعري اسـمه عبـد الله بن قيس بن سـليم بن حضار بن حرب بن عامر ابن بكر بن عامر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الاشـعر ، وهو ثبت بن أدد بن زيد ابن يشـجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سـبأ بن يعربه بن قحطان ، وفي نسـبه هذا بعض الاختلاف . قدم مكة وحالف سـعيد بن العاص بن أمية أبا أحيحة ثم أسلم بمكة . ولاه عمر البصرة حين عزل عنها الغيرة وبقي عليها حتى خلافة عثمان إذ عزله عنهـا : ثم طلب أهل الكوفـة من عثمان أن يوليه عليهم فولاه عليهم حتى عزله علي بن أبي طالب حين خـذل الناس عن نصـرته، ثم عينه للتحكيم بطلب من أهل العراق (الخوارج). ولا مكر به ابن العاص انتقل إلى مكة وبقي فيها حتى توفي بها سـنة 2 أو 44 أو 50 أو 52 على مختلف الروايات ودفن في منطقة الثوية قرب الكوفة) (عبدالله بن سبا – السيد مرتضى العسكري: 216/1).

ولم تخف على علي بن ابي طالب خوافيك .. فهو الذي أبقاك على الكوفة يجلو بها جوهرك، وهو الذي عنها رماك بعد ان استعجم عودك.

ولكن الأقدار التي تحبل بكل المساخر، لم يطيب لها إلا أن تطرحك على الخط الذي ستلتقي عليه كل القوافل.

فيا ويل خاصرتيك المنفوختين بالعلم الهاء!ـ

كم ستلقى من الوطأ الثقيل مع السرى ومع الادلاج ذهابا وايابا على كل هذا الخط الطويل؟؟

ص: 218

ذيول

لم تكـد تنتهي معركـة النهروان حتى رجع القتال إلى ما كان عليه بين علي ومعاوية .. تارة يتلبس الجبهات الحربية القاسـية، وطورا يتقلص إليمناوشات ترتدي طابع التحابيل والتراوغ وزروع اعمال الفوضى والتخريب في سبيل اشاعة الرعب وقض المضاجع.(1)

أما الشـعب الـذي كانت تمثل على اعصابه كل هذه الأنواع من المهازل، فكان عرضة لقلق نفسـي يترجع به بين الغضـبة لكرامته واستئناف القتال، وبين الاستكانة من قتال يجعله الخاسر على كل حال.

واصبحت الدوامة هي نفسها..

اليمني هناك على طول جبهة الشام، والقيسي هنا على طول خط الكوفة. وبين اليمني والقيسي حبال متصلة من كل شتيت.

القبائل المتفرقـة، والمشـدود بعضـها ببعض أما بعامل الزيجـة والقربى وأما بعامل المصـلحة والأثرة، ولا ترقب، مرهف مع أيـة جبهـة من الاثنين تميل كفة النصر..

وهكـذا حسب التقـديرات والترجيحـات، كـان يحصـل الانتقال الشـعبي للالتحاق بالمعكسـر الـذي يتأمن معه اشـباع الرغائب وتسـمين المطالب !

1- يصف الإمام علي هذه المرحلة فيقول: (.. حتى شنت عليكم الغارات، وملكت عليكم الاوطان، وهذا أخو غامد قد وردت خيله الانبار ، وقـد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مساحها ، ولقـد بلغني أن الرجل منهم كان يـدخل على المرأة المسـلمة ، والأخرى المعاهـدة ، فينتزع حجلها و قلائـدها ورعنها مانمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام . ثم انصـرفوا وأفرين..) (شـرح نهـج البلاغة ، أين أبي الحديد:2/ 74).

ولم تكن لتنتهي المناوشات .. فلقد اصبحت حالة راهنة .. لذلك عقدت بين الشقين المتنابذين هدنة رضخ لها الطرفان، تكرس فيها التقسيم الإداري حقنا للدماء، ولملمة لسمعة أخذت تصفر كما وجنة المريض على فراشه السقيم.

ص: 220

الهدنة

هي هدنة أم هي تعب من سياسة نشرت كل فشلها على كل أجواء العالم العربي بها فيه الجزيرة والشام واليمن ومصر؟

أليس هو الفشل يؤدي بمعاوية الى تجميد الفتح وقبول دفع الجزية الكونستانس الثاني) عاهل الروم؟

أليس هو الفشل يحوج ابن أبي طالب الى ان يعيد النظر في اعمال الفتوحات على الخط الشرقي ليرد انتفاضة الفرس بقيادة ابنة كسرى التي هبت تحاول استرجاع أمجاد أبيها متبرمة من الفتح الغادر الذي قدم الرسالة على كف ثم أخذ يلملم بالكف الثانية كل السبايا والأسلاب والغنائم، ولقد تمكن خليد بن فارس، عامل علي على خراسان، من اسر الأميرة المنتفضة في (نيشابور) وسوقها مخفورة إلى ما بين يدي الخليفة .. ولكن ابن ابي طالب الذي لم يكن التروق له كل الأنماط التي سيقت بها الفتوحات منذ بدأت الفتوحات، لم يعامل الأميرة الأسيرة بتلك المعاملة التي كانت تجري على اسرى الحرب، ولقد عرض عليها ان تختار الرجل الذي تريد فيزوجها منه، ولكنها رفضت إلا الرجل الذي يملك في الدولة حق الصدارة.

وانف علي ، هو الكهلالجليل، من أن يقبل بالزواج الفاقد عناصرالإنسجام، لتكون في ما بعد الحرية المطلقة للأسيرة.

مثال صغير قدمه علي بن أبي طالب على كيفية سوق الفتوحات نحو أهداف سامية، لا يليق أن تدنسها مطامع الكسب، ولا أن تغير جوهرها غايات الغنم أولذاذات التمتع المتدني.

ص: 221

حتى أحط الميول البهيمية تثيرها عماوات النزعات الجنسية.

فالزواجح الذي كان بحد ذاته، في تلك الأيام، نوما من الكسب السياسي الربط القبائل بأواصر القربي في سبيل تخفيف التناحر القبلي.. لم يتمكن من تأدية الغاية المنشودة، وبقي يعرض الفتح الى انحطاط النزعات وحرقة في سعير الشهوات، ليلهيه عن مجاري الفكر العالي والانصراف عن حرز المكاسب الروحية.

وابن ابي طالب ، المتشبع من جلالات الفكر، والمرهف الحس بكل الواعج الروح، لم يكن ليرضى بالدنيا تجر على الفتح خطوطها الملطخة بالمهجة الجنسية وبالفكرة الوحشية.

وسواء انتمكن من فرض ذلك بقوة الحكم أم عجز عن فرضه، فإن المهم لديه اصبح، بعد ثقل الأحداث وروعتها في تجسيم النماذج وفي حصرها ضمن الحروف الكبيرة والقنوات النافرة، تحمل تساجيلها مقرونة باسمه وباسم الدعوة الكبيرة الى كل الأجيال التس تتناقل الرسالة لصبها في قوالب مناهجها.

ولقد أصبح هذا شهوره – ومعاوية يتخذ الشام متراسه – بأن الجزيرة التي سجلت فضل بث الدعوة الكبيرة ، لم تتمكن مطلقا من اقتناص روعتها إلا كما تقتنص الطلقة صداها المرجع، ولن يكون الكسب المادي الذي جاء على الحواشي إلا كما يكون الهطل من ديمة مر بها السحاب ثم طواها.

فلتكن الهدنة .. وليكن معها الرضوخ للواقع النفسي الثقافي الذي لم يتمكن من فرض توحدي كيانات العرب منذ اللحظة الأولى التي أحسوا بها بلذة طعم هذا التوحيد وليشعروا بخيبة التفرقة التي تقدم اطباقها الأنانيات المهيضة ولينكبوا ماشاءت لهم نزعاتهم المريضة أن يتكبوا عن كل المثل التي

جاءت تنظف دربهم من العوسج، وليحبو وحده هذا الطفل، وليسـقط وحده كذلك، وليتكرر حبوه وسقوطه على طول الطريق المفتوح أمام قدميه .. فإن كل كدمة في ركبتيه ستذكره بضلاله عن جادة المسلك.

ص: 223

19 رمضان

في هذا اليوم بالذات ضـرب عبد الرحمن بن ملجم موعده مع البطولات .. فلقد عزم على أن يسن سـيفه ويطيبه بقبضة من السـموم ليقتل به علي بن ابي طالب.

ولقد شددت اعاصبه (قطام) المرأة الجميلة المغرية.

وقطام هـذه، خاض كل الحروب أبوها وأخوها .. ولقد نقلا في معركة النهروان، ذهبا يقابلان ريهما، تاركين ظلا كثيفا من الضـغائن لا تزال حتى اليوم، تنسل تحت عتمة النفوس المريضة بوباء الحقد والمكابرة.

أما الابنة المفجوعة، فهي لن تنام بين ذراعي العاشق المتيم إلا بعد أن مهرها برأس ابن ابي طالب !!

وهكذا تربع التاسع عشر من رمضان في صدر التاريخ، من حيث تخشعتالذكراه صفحات التاريخ.

ص: 224

معابر نهج البلاغة

قالوا: أن اليـد التي امتـدت الى (نهج البلاغة) هي يد طويلة كانت اطول من ثلاثة قرون، ولقد امتدت تتلاعب بالحروف، تصوغها كما يشاء فن الاقحام.

فـإذا كـان الأـمر كـذلك، فـإن للمقحم أطول باع في مجال الفن .. إذ طالب غوصا يؤهله لأن يندمـج فيه تمام الانـدماج، وكان بارعا في فن الإخراج وفن الأداء، وفن التقليد، وفن التمثيل .. فظهر، وهو يقلد، بمظهر الأصـيل الأصـيل، فذاب النزيل في الأصـيل ، وضاع القصد من الدخيل.

واي شـيء انزل على (نهج البلاغة) لم يكن تصويرا صادقا لتلك النفسـية التي نزلت في جسد علي بن ابي طالب كما يتنزل نور الشـمس في الكأس الشفيف؟

وأي عمل المجزه ابن ابي طالب في حياته لم يكن تعبيرا متناهي الصـدق عن تلك النزعات الساميـة التي كانت تتأجـج بها روحه الصافية .. ففاضت في كل تعبير من تعابيره، وفي كل اشارة من اشاراته، وفي كل جملة من كتابه؟

وماذا جاء في (نهج البلاغة) يدغدغ الشك فيما جاء في نهج البلاغة؟

وهل الكتاب كان غير تقويم للرجل الكبير في نهجه الطويل، الذي زرععليه الإنسان قيمة تتبلور بالعقل الصـحيح تسـمو بالفضـيلة، وجعل الفضائل تنمو وتدور على محور واحد هو محورالتقوى والإيمان بالله ؟

ص: 225

ومتى، وفي أية لحظة من لحظات عمره، لم يعبر عن هذا النهج الصريح؟

افي اعلانه الرسالة وايمانه بها ولقد نذر نفسه للدعوة لها والجهاد في سبيلها، أم في تطبيقها دستورا كاملا لكل مجاري أفكاره واقواله واعماله من حيث كان زهده وتقواه وشجاعته وبطولته؟

فقد كان الإقحام في (نهج البلاغة) تكريما لتعابير تحمل مثل هذه المعاني لم يسكبها جنان المنسوبة إلى ضمن حروف نبتت من شق قلمه، فإن ذلك لم يضير نهج البلاغة بشيء .. لأن الكلام المقحم جاء صادقا في نحت نفسه قالبا لائقا بالفكر الأصيل، ولأن البلاغة في مفهومها الحقيقي ، ليست مطلقا في قوة اللفظ والنحت بقدر ما هي تنزيل لسمو المعاني في قوالب متينة السبك والحبك، وان هذه الأخيرة تبقى ابدا قوالب جوفاء ما لم تستتم فيها تلك المفاتن.

و(نهج البلاغة)، سواء أكان(1) صقل حروفه على يد ابن ابي طالب ام كان على يد مقحم فنان، فإنه يبقى دائما تعبيرا عميق البلاغة عن نفسية رجل واحد سمي ب (علي بن ابي طالب).

1- إن من أقوى ما يجلو غيوم الشكوك والأوهام عن افق هذه المجموعة التي حوت بين الدفة خطب الإمام وكتبه وكلماته وحول نزاهة الشريف الرضي عن اضافة شيء فيها غير مأثور لهو هذا الذي نبديه الآن فأنا نحصي عليك عديدا من المؤلفين الاثبات الذين رووا خطب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله في كتبهم من قبل أن يولد الرضي وقبل أن يخلق ما هو نهج البلاغة، السيد هبة الدين الشهرستاني، تعليق عبد الستار الحسني : 95).

دهاة العرب

قيل : أن دهاة العرب اربعة.

وقسموا الدهاء عليهم..

فكان حق الأولية لمعاوية بن أبي سفيان، إذ سلموه الروية..

وخصوا عمرو بن العاص بالبديهة، نظرا لكونه سيدا من افتى باختلاق الحلول عند اشتداد المصاعب وبروز المفاجئات..

أما المغيرة بن شعبة، فلقد خلعوا عليه قسم المعضلات.

وتركوا لزياد بن أبيه القسم الأخير لكل صغيرة وكبيرة.

والملاحظ يرى : أن الدهاء، بهذا التقسيم، كان من نصيب بني أمية وفي شخص معاوية ومن لف في فلكه، من حيث لم يبرز له اثر فيما قبل هذا التاريخ .. وكأنه بفعل هذه الحيازة لم يبق من حيث الأجيال التي تتلوا ان تدعي حق الانتساب إليه.

ويحار الملاحظ ايضا في امر زياد بن أبيه،(1) في أي وقت كفكفت اليه الخلعةالسنية ؟.. هل عندما كان ميله وهواه مع علي بن ابي طالب أم عندما اعترف معاوية بالأخوة المنسية وضم الى صدره الأخ أخاه وسلمه زمام البصرة الثائرة والكوفة المتمردة؟

1- ا. زياد هو دعي أبا سفيان، الذي سمته عائشة زياد بن ابيه أمه سمية عاهرة ذات علم تعرف به وطأها أبو سفيان وهو سكران فعلقت منه بزياد هذا ولدته على فراش زوجها عبيد قادعاه ابو سفيان سرا(الهاشميات والعلويات، قصائد الكميت وابن أبي الحديد: 129.

ولن يتوقف الملاحظ ايضا عن ابداء الدهشة والحيرة عندما يرى العصر مشطورة إلى شطرين متناحرين .. كيف اذا شطرا واحدا كان نصيبه كل الدهاء، من حيث لم يبق للشطر الآخر شيئا منه يتحلى به؟

ثم ان الدهاء الذي قصدوه هو غير الدهاء الذي يعرفه الواقع العلمي والرأي الفلسفي.

والحقيقة، أن الدهاء درجة عالية من درجات الذكاء ، يتصرف به العقل في الباقة الإخراج لكل القضايا المعقدة التي تعترض في سير الحياة في تطلبها الحلول والمعالجات.

وهو إذ يكون محكالقوة العقل وعمق مداه، يكون بالوقت نفسه، في كيفية تصرفه تعبيرا عن قوى النفي ومدى الصفاء في جوهرها.

ولن يكون له امر جليل ان لم يكن وليد تزاوج بين العقل السليم والنفس الكريمة.

إلا أنه في مفهومه الذي أبرزوه مع أبطاله الأربعة، لم يكن إلا سلاحا يلجأ إليه أهل الدنيا في الوصول الى اغراضهم، ولا يحتاجه كثيرا أولئك الذين تنقبض نفوسهم على الزهد بها، وهو سلاح تتاركب ضلوعه على المكر والخداع اكثر مما تتألف على الصدق والصراحة.

لذلك، فإنه أكثر استعمالا، وانفذ مجالا، واطوع وسيلة، عند ارباب المنافع والغايات منه عند المستخفين بالدنيا ومباهجها وبريقها الخداع.

وليس معنى ذلك أن اهل الفئة الأخيرة من الناس ليس لديهم عقل يصلح مسرحا لهذا التلاعب الملون بالمواهب، ولكنهم يربئون بأنفسهم عن أن يلجأوا الى الأساليب التي تتلون باي صنف من أصناف الخل والخداع.

ص: 228

وفوق ذلك ، فإنهم ليسوا بحاجة الى تلك الأساليب من التمويه والتراوغ لأنهم يعيشون الدنيا مقتورة، ويرجون الآخرة عفة وصدقا وحسن مال.

وهذا هو بالواقع الصريخ .. كل الذي عاد فقسم الجبهة العربية بعد وحدتها بفترة قصيرة من الزمن إلى شطرين متناحرين : شط رالدنيا وشطر الزهد بها.

وليس يفهم مطلقا أن هولاء الزاهدين كانوا يرفضون الدنا ولا يعيرونها أي اهتمام ولكنهم كانوا يرمون من التشديد في امتهانها إلى التخفيف من الإقبال عليها اقبال الجائع النهم، حتى لا يكون التهافت المجنون سبيلا لاضاعة جوهر الإنسان عن مثله الجميلة التي تكون العفة أبهي معانيها، من حيث يتردى المجتمع الإنساني في انحطاط خلقي سببا في تخلفه عن كسب كل مقومات المجتمعات الحية المتحضرة.

ولذلك، كان الدهاء سلاح أهل الدنيا في المعركة القائمة بين ابن ابي طالب في جبهة وبين ابن ابي سفيان في جبهة ثانية.

ولقد لبي معاوية الدهاء، وكان بين يديه أداة لينة.

وبالحقيقة، فإنه استحق الروية، أولى وابرز صفات الدهاء، واعمقها غورا، واوزنها حيلة للعقل .. ولكنه تصرف بها تصرف أهل الدنيا، ولم يتصرف بها تصرف غير المنخدعين بمباهجها وبريق أوهامها.

وليست الروية، بمعناها الحقيقي، الا التبصر بالأمور والتعمق في عواقبها، وأخذها بأبعد منظار يمكن أن تنظر به.

وهنا يظهر الفرق البعيد بين روية يستعملها ابن التقوى وروية يستعملها ابن الدنيا..

ص: 229

فهـذه تنظر الى الأرض بعين الأرض ولا ترى شـيا أبعـد من الأرض أما تلك فإنها تنظر الى الأرض كقاعـدة تقفز منها الى محجـة بعيدة تهزا بالمسافات وتتهكم على الحدود، لأنها ترى الوجود من جزئياته الى شموله، وترى ان اجتياز الدر بالطويل ان يكون الا بكل خطوة سليمة.

ومعاوية ، بعد أن تروى فعل ..وعلي بعد أن تروى فعل.

وصحت روية معاوية فسيطر على حقبة من الزمن، وصحت روية على فامتلك الزمن.

ولقد استعمل معاوية الروية في الفتوحات فلبته الروية وبهرته الفتوحات.

ولقد انطوى على التمرس بها منذ ان نزلت كلمة النبي في اذنه : (يا معاوية! إذا ملكت فأحسن).(1)

واصبح الملك هدفا بعيدا من اهدافه، وسيصل اليه يوما بكل ما ستؤتيه له الروية من منافذ ومداخل ومخارج، بدون تأثم ولا استنكار.

وما أن تم له فتح الشام، حتى راح يؤسس فيها لنفسه.ولقد صمم على اعتمادها الركيزة لمسقبله، وراح ينتظر الصدف والمفاجئات.

ولقد دلته الروية على صدق المسعى لتنفيذ مخططه..

وكان الكرم أول دروبه يشقها الى قلوب انصاره .. وكثرة هم الذين لم يحرموا من هذا العطف المادي يطوقهم به ويقودهم فيه الى جنابه.

ولقد قال ميمون بن مهران(2): (ان معاوية كان أول من وضع شرف العطاء الفين).

1- المعجم الأوسط، الطبراني :4/5 34.

2- ابن مهران الرقي أبو أيوب، من أهل الكوفة وعالم أهل الحجاز و قاضي الجزيرة، وكان لامرأة فأعتقته، روى من شانته ، وأبي هريرة ، وروى عنه أبو بشر وخصيف وجعفر بن برقان وحجر بن ارطاة ، مات سنة 117 هجرية (الخلاف، الشيخ الطوسى: 1/630)

ولكن الخلافة كانت، بحكم الطبع، لمن بها أولى .

ولم يكن لمعاوية اليها سبيل والمهاجرون والشيوخ وأهل الصحابة والأقربون هم المقدمون والمفضلون.

ولكن معاوية ، المؤمن بسخاء المناسبات وعجائب المفاجئات، لم يقطع خيط الأمل .. لاسيما وهو المشهور بشعرته اللينة اللدنة.

ولما صرع عمر بن الخطاب، تنفس الصعداء ليساند بكل قواه عثمان بن عفان في الوصول الى الخلافة، فتقوي شوكته، ويصلب عوده.

وعثمان، شيخ لن تطول به فسحة العمر .. وهذا امل جديد موصولة خيوطه بالخلافة بنهاية رجل من الخلافة.

أما عمر بن العاص، فإنه ترك لأعمال الفتح .. ركب المصاعب واقتحم المخاطر حتى حقق فتح مصر واستولى عليها، ليتحفز منها لبلوغ هدف لم تخف طويته على معاوية.

ولما كان عزل عثمان لعمرو عن مصر واستبداله باخ عثمان بالرضاعة عبد الله بن أبي سرح)، لم تقم أبدا قيامة معاوية على هذا التبديل والتشكيل فهو ضمن المخطط المرسوم في مخليته لتخفيف المنافسين.

أما الثورة على عثمان بن عفان التي أدت إلى مقتله، فانها لم تات عليه بالمفاجئة المزعجة، وان يكن قد تصنع الظهور بالحزن العميق.

اما استقباله (قميص) وتعليقه اياه في الشام في سبيل تحريك العواطف، واستعماله شرحبيل بن الصمط(1) لنقل تأثيرات الجريمة الى كل أهل الشام للمناداة بطلب اخذ الثار .. فإن ذلك كان من ضمن مخطط تطبيق الخطة المرسومة في سبيل الوصول إلى العرش المنشود.

وكثيرة هي الخطط التي انتهجتها له هاتيك الروية على طول الطريق الذي ادى به الى عرش الشام . كلها كانت محكمة التطبيق ومحكمة التنفيذ .. من فتح اى لجبة على خصمه في الحجاز بقيادة طلحة والزبير، الى افتعال حوادث تخريبية ضمن الخلافة بقيادة الضحاك بن قيس(2)، الى معركة صفين ورفع المصاحب، الى خدعة التحكيم، إلى مراقبة معركة النهروان، والاطمئنان إلى حسن نتائجها في خدمة مصالحه ونجاح مخططاته، إلى ضرب اسفينه المسموم بقضية قيس بن سعد بن عبادة والي مصر(3)، ذلك الرجل الذي كان يمثل عليا بنظافة الكف وحسن الإدارة.

1- شرحبيل بن الصمد بن الأسود بن جيلة الكندي ويكنى أبا يزيد ذكره بعض المتاخرين ورغم انه صحابي وذكر انه مختلف في صحبته فاستعمله عمر في المدائن واستعمله معاوية على حمص مدة عشرين سنة كتاب معاوية إلى شرحبيل بن السمط يسأله القدوم عليه وهيأ له رجالا يخبرونه أن عنيا قتل عثمان منهم يزيد بن أسد البجلي، وبشر بن أرطأة ، وأبو الأعور السلمي ، فقدم عليه، توفي سنة 31 على يد حبيب بن سلمه في رواية (تاريخ مدينة مدشق: 448/22)

2- لم يبرح معاوية مستصغرا كل كبيرة في توطيد سلطانه .. ودأب على سفك دماء المسلمين الشيعة ، واستباحة أموالهم واعراضهم، وقطع اصولهم، بقتل ذراريهم واطفالهم، ولم يستثن النساء، فوجه قواده الغارات على المناطق التي يسيطر عليها الإمام علي عليه السلام ووجه النعمان بن قيس الفهري في جيش آخر وأمرهم أن يسيروا في البلاد فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي بن ابي طالب عليه السلام واصحابه وان يغيروا على سائر عمالهويقتلوا اصحابه الغدير ، الشيخ الأميني: 16/11).

3- قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج، وهو صحابي عظيم كان يعد من اشراف العرب وامرائها ودهاتها وفرسانها وأجوادها وخطبائها وزهادها وفضلائها من عمد الدين واركان المذهب وهو سيد الأنصار وابن سيدها وكان شجاعا جوادا سيدا لم يزل قيس سيدا في الجاهلية والإسلام وأبوه وجده وجد جده لم يزل قديم الشرف وكان والده أحد النبهاء الاثني عشر مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض الغزوات واستعمله على الصدقة وكان من ذوي الرأي من الناس وقد ولاء اميرالمؤمنين مصر سنة 29 وقد بايعه الناس في مصر إلا قرية منها يقال لها (خربتا) قد اعطى اهلها قتل عثمان وبها رجل من بني كنانة بفال يزيد بن الحارث الذي بعض الي قيس الأرض أرضك ولكن اقرنا حالها حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس ، وقد دعاه أمير المؤمنين علي عليه السلام وشهد واقعة الجمل في جمادى الآخرة سنة 36ه وبعلها ولاه أمير المؤمنين اذربيجان وقاتل الخوارج مع علي ، وقد ساند الإمام الحسين بكل قوة توفي في المدينة آخر خلافة معاوية سنة 9ه. (الغدير ، الشيخ الأميني : 2/66)

ويبذ معاوية بالدهاء العاقل المتروي، مما أدى الى ابعاد الرجل عن ولاينه ليحل محله ابن أبي بكر، فيعمل على قهر أهل (خربتا) في مصر، واثقال وطأة الفوضى في البلد المفتوح .. حتى يتمكن عمرو بن العاص من قتل الرجل وقطع رأسه وارساله الى بيت عثمان بن عفان، ليرقص حرم الخليفة القتيل حول الوريد المقطوع رقصة الابتهاج بأخذ الثار.

وتتلملم المأساة بمقتل الإمام المكافح علي بن ابي طالب بضربة سيف ذلك الأحمق الغادر .. وينفرج الجو أمام المبايعة الجديدة .. ويتوصل معاوية الى الملك.

سلسلة طويلة من التضحيات والمحاولات، بخ فيها معاوية كل ما فتقته له الروية بدهاء قل نظيره في التاريخ، مستعملا حوله قبضة من الرجال دريهم وحنكهم بمثل هذا الدهاء الفذ.

فإذا عمرو بن العاص يلبي استاذه بكل نجابة بتلك البديهة الحاضرة لمواجهة المشاكل وتقديم الأرتجال في الحلول .. فراح يجرر أذيال النصر في نهاية معركة صفين ، كأنه طاووي له كل الفضل على الوان ذيله الطويل.

ولم يأنف من مقابلة زميله في التحكيم – ابي موسى الأشعري – بتلك الخيانة التي لم تتعرف الى حرف من حروف المروءة والوفاء، الى تنصيب نفسه

قيما على المطالبة بدم عثمان .. من حيث لم يتورع عن قتل ابن أبي بكر وتلوين حادثة قطع الرأس بفضاعة الجريمة.

وراح المغيرة بن شعبة يحل المعضلات، تارة بتقديم النصح لابن أبي طالب با قرار معاوية عشية مقتل عثمان على امارته في الشام حتى تهدأ الحالة ثم يعزله إذا اقتضى الأمر، ثم بتغيير رأيه مع الصباح فاقراره بصواب عزل المتمرد عن كرسيه وفقا لعلمية التطهير، ثم لينتقل إلى مكة ليساهم في ترتيب المعركة الجمل والبحث في كيفية صالحة لمقارعة المسلمين بعضهم ببعض، ثم لينسحب منسلا الى الشام حيث يتابع تقديم النصلح لمعاوية وتدبير المؤامرات حول اعمال التحكيم.

وبقي في الساحة الشرقية زياد بن ابيه ، يلملم أطراف المملكة ليرزمها إليطاعة أخيه بذلك البأس وتلك الحنكة اللتين جعلتاه يلم بكل شاردة وواردة. ذلك هو موجز الحكاية الطويلة التي رافق كل أطوارها ومثل كل فصولها معاوية بن ابي سفيان، ملهب الفتوحات على الجبهة الرومانية، ومؤسس الدولة الأموية، وواضع أول حجر في زاوية تركيز الانقسام بين الكوفة ودمشق .. مستعاينا باليمنيين على القيسيين، مستجيرا بذلك الدهاء الذي دام يلبيه طوال تسعة وثمانين حولا.

أما الجبهة الثانية ، التي وقفت تقارع وعلى رأسها الخليفة الجديد، فإنها اذخت تتلقى الصدمات بذلك الصدر الواسع.

وماذا تراه يفعل علي بن ابي طالب؟..

وبأي نوع من الدهاء يقارع؟..

ص: 234

ومن المؤكـد أنه ليس يلجأ إلى ذلك الدهاء الذي يعيش بين الأواسن والعوافن، ولقد قال : (ولله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر .. ولولا كراهية الغدر لكنت أدهى الناس، والله ما استغل بالمكيدة ولا استغمز بالشديدة).(1)

ولكن الدهاء الذي هو لديه كان من النوع الصراح، لأنه كان وليد تلك الروية المتباعدة الآفاق.

وأولا، وأخيرا .. لماذا تألب عليه أهل الـدنيا لو لم يكن لهم ذلك الخصم العنيد .. ولقد هددهم ليعود الجور الى اوطانه ويرجع الباطل الى نصـابه : (لم تكن بيعتكم ايا فلته، وليس أمري وأمركم واحأ .. إني أريـدك لله وانتم تريـدونني منظالمه، ولا قودن الظالم بخزامته، حتى اورده نهل الحق وان كان كارها)؟؟..(2)

وكان من الطبيعي أن يلجأ أهل الـدنيا الى الـدفاع بتلك البطولـة المعكوسـة، وكان من البـديهي أن يقابلهم علي بن ابي طالب بتلك البطولة الايجابية، وكان من المؤكد ربحه على كل الجبهات، لأنه كان يناضل بسيف الحق، وسيف الحق لا يمكن أن ينقصف.

وهنا يبرز دهاء ابن ابي طالب .. وهنا تتجلى منه الرلاوية والدهاء.

كان دهاء العقل النير، والروية كانت روية العقل المبصر.

1- نهج البلاغة ، خطب الإمام علي عليه السلام:2/180.

2- شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد: 11/9 و 245/11 ، ميزان الحكمة ، محمد الريشهري: 1/147.

ومن هنا كان تقديره البعيد في ان الربح لن يكون إلا للحق في آخر الحلبة التي لن تكون فسحة العمر مداها، ولا حتى فسحة العصر .. بل ان الأجيال ، برمتها ستكون الميدان الواسع لجولة الحق الكبير.

أما الجولة التي هي بين يديه، فإنه لن يستعمل في صلاح الربح القصير .. وإلا فأي معنى يكون للرجل الذي يقدم الرسالة قدوة ومثالا ولن يساوم على الحق والخير والجمال .. وإلا فكيف يستبدل بالكثير اليسير وبالجليل الضئيل، ولن يقبل بنصيحة المغيرة بن شعرة (اقرر معاوية على عمله وافرر العمار على اعمالهم، حتى إذا أتتك طاعتهم وبيعة الجند، استبدلت وتركت) .. لأنه إنما جاء الحكم لينظف، والموت أهون عليه من التنكر لمبادئه.

ولقد رفض الحكم مقيدا على يد عبد الرحمن بن عوف، ولن يتشبث به اليوم مربوطا بمساومة.

أما ذلك الداهية الذي يدعي انه أهل لحل المعضلات، فإنه ربما يقدم حلا المعضلة الساعة، وليس مطلقا حلا لمعظلة الخلافة بحدودها الكبيرة التي يجب ان تتناول الرعية بالحق والعدالة لا أن تتناولهم بالإرهاق والأنانيات.

والأمة بحاجة كلية الى بناء قويم، حتى لا تضيع بين الركام والرغام.

ولن يلجا ابدا الى الغدر والخديعة حتى يربح عرشا، ولو اقتضى ذلك تنكبه عن الخلافة

لذلك، كان دهاء ابن ابي طالب، برفضه النصيحة ، من النوع الجليل الذي يرضى المتاعب في سبيل تحقيق المبادئ.

وكذلك لم يكن رفع المصاحف في صفين ليخدعه اكثر مما كان ليجل قدره، لأنه هو نفسه، منذ ثلاثين عاما لا يزال، يحصن الأمة ويهيئها لمثل هذه

الجلوة من التحكيم .. وهو اليوم، مع قبوله الخديعة، أول من يلبى باسناد التحكيم الى الصفحة الكريمة.

وهو اعلم انسان بما جاء في الآي الكريم، وهو القائل : سلوني عن كتاب الله) .. فوالله ما من اية إلا وأنا أعلم ابليل نزلت أم بنهار، أم سهل أم في جبل !).(1)

وستذوب الخدعة مع الخادع، وستبقى الوثيقة مع الصفحة الجليلة تنبض باحترام المخدوع للكتاب الكريم، من حيث تتقلص بديهة الخادع إلى عقله المتقزم، وتتسامى روية المخدوع الى سدرة المنتهى.

وكان البون شاسعا بين ابن العاص يفاوض المقوقس في مصر على يد الأسود (عبادة بن الصامت) إذ يقدمه بهذا القول: (هذا الأسود سيدنا وخيرنا والمقدم علينا) . وبين ابن العاص يستعمل كل دهائه في سبيل الحصول على خراج مصر، باعتبار الفتح في نظره بقرة حلوبا !

وكان الفرق بعيدا بين عمرو بن العاص يبني المسجد في الفسطاط وبين عمرو بن العاص يحمل المصحف في صفين.

فهنالك كان الكتاب صفحة، وهنا استحال الكتاب بين يديه إلى ضجيجالمكر والبهتان.

فاين هي البديهة تلبي العقل؟

و اين هو الدهاء يعيش ساعة وينتحر؟

وهكذا كان الدهاء يدور على محورين في الصراع الناشب بين ابن ابي طالب وابن أبي سفيان .. دهاء ينشر قميص عثمان ملفوفا بالمصاحف، ودهاء

1- 1. الغدير ، الشيخ الأميني : 6/193.

ينشـر المصاحف ملفوفة ببردة النبي .. دهاء يستريح على فراش من الخز والديباج، ودهاء يكتفي بفراش من سـعوف النخيل .. دهاء يحشـر الوجود في ثنايا مطارفه، ودهاء يوسع الوجود على مباهج مشارفه.

وكان الفرق بين دهاء ودهاء : أن واحدا منهما لا يزال يقفز بين الأجيال يتلقط به الإنسانن لتحقيق قيمة الإنسان.

ص: 238

إلى معاوية بن ابي سفيان

ايها المخلوق المهيب؟..

وحتى القلم لا يسعه إلا أن ينفلق فلقتين : فلقة معك، وفلقة عليك.

وكيف لا وأنت الذي شطرتها إلى لوحتين، فراحت التثنية شعارا على الجبهتين، ولما تلقى بعد شقة المتفرقين ولا لحمة المنفصلين؟

ثم يا معاوية، وانت الكبير الكبير والأريب والأريب .. أي شيء كان لك خيرا مما اضحى اليك؟

فإذا كنت تسمح باستدراج الحوادث، فهي صاغرة بين يديك..

فلنبدأ بالتقييم على عامودين.

كنت في جاهلية تتخشع لحجارة الأصنام، وأصبحت في دين يضرع الأرض بك الى السماء ، كنت في عصر مغلوق على ذاته يمتص حضارة مشوية، وانفتحت بدينك على آفاق لقحت حضاراتها بنور جديد.

كانت تشد أودك عصبية صغيرة تندفع بها في غارات ضيقة لم يكن مداها أكثر من تأمين العيش، واصبحت تسند از رك في أوسع الفتوحات عصبية ، ذابت فيها كل قبائل الجزيرة في سبيل نقل الفكر والروح الى مدى الانطلاق .

كنت في مكة ورواقك الأطناب تحميك من لفح المجيرة، واصبحت على وسعة الشظان فوق القلاح والحصون والمواكب.

كنت صغيرة – عفوك ! . واصبحت كبيرة بفضل الرسالة.

ليس من الممكن ان تجهل ذلك، فهو بعض امجادك .. وهكذا كانت لك روحة الفتح.

فإذا كان الفتـح عمليـة تهـدف إلى تطويف الفكر على آفاقه وتقييم الأعمال بتيارات الروح والمبادئ، فهـذا هو الـذي دفعت الى تنفيـذه في امتشاقك لحسام، ويشق دريك إلى حيث كنت تحمل رسالة الفكر والروح.

ولقد استقبلتك الشام هاديا لا غازيا، واعتبرت زيوت مشعلك من النوع المكرر والمطيب .. كما أنها وجدت فيك النسيب الحبيب.

كل ما فيك يشع بالقربي .. من الـدم، إلى الفكر، إلى الروح .. من باديـة الى باديـة ، من جوار الى جوار، من قادم جديد الى ناول قديم ، من موحد الى موحد.

بتلك الحفاوة استقبلتك الشام على يد الأسقف منصور بن سرجوس،(1) وعلى يد حفيده القديس يوحنا.

ولو كنت غازيـا آتيـا لمـا اسـتبدلت بك غازيا سواك .. فهي أنما وسـعت لك مع حـدود القربي لأنك جئت بمشـعل النجاة لتتخيها من ليل الغزاة.

إذن، إنما جئت نسيبا وقريبا، ولم تجئ فاتحا غريبا .. وجئت مشعلا ونبراسا أكثر بكثير مما جئت حساما ومتراسا.

وهنا كانت قيمة الفتح بين يديك ، تشع من مصـفحك على شـفرة حسامكن ولم تشع من رأس سـنانك على ضفة قرانك .. وجئت تصل وما جئت تفصل.

1- منصور بن سرجوس بن منصور الروحي كاتب معارية وأبنه يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان وقد ذكره الرازي في تسمية كتاب أمراء دمشق وذكر أنه كان نصـرانيا فاسـلم .. (تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: 161/2). وجاء في تاريـخ الطبري 200/2 ، سرجوس بن منصور الرومي كائب معاوية وصاحب سـره وكتب بعده ليزيد وكان يزيد بنادم على شرب الخمر سرجون النصراني مولاه وهو الذي أشار على يزيد ان يولي الكوفة ابن زياد لما بلغه خبر مسلم بن عقيل (معالم المدرستين، السيد مرتضى العسكري:2/50).

ولقـد تم على يديك ما أرادت الرسالة أن يتم، وكان المجد لك ملتحما بأمجاد بني قومك، ولم يكن الفرق بينك واليا وبين عمر بن الخطاب خليفـة لينتقص من قيمتك قيـد أنملـة، فكنت وابن الخطاب في باحة المجد والجهاد قطبين تربطان الشام والمدينة بحبل وثيق الاتصال ولم يكن الحبل الـذي الـذي يربط الجزيرة بالكوفة إلا ليتسـعير متانته من حبلك مشدود الفتائل بكل مسـلم مجاهد باعصاب دينه فوق اعصاب قبيلته ، ثم انك اتصفت بالدهاء فكنت المدلول اليه بحسن الروية.

ولا شك في انك بهذه الميزات الكبيرة تمكنت من تأسيس عرش للشام بر عروش الروم في أبان مجدهم، وان ذلك لم يكن لك امجاده وأنت خليفة بقدر ما كانت لك وأنت مجاهد عادي.

ولم يكن ليتم لك بقوة بني كلب وحدهم لو لم يكن بنو قيس يمدون ايضا يد المصافحة، ولم يكن حتى لا بنو كلب ولابنو قريش بالمحققين لو لم يذوبوا جميعا بمصهر جديد.

والمصهر الجديد هو الذي اكسب السيف رونقه، واكسب الجهاد روحه، اكسب الأهداف عقادها، واكسب النهج فلسفته.

واي نهج فلا فلسفة تستقيم خطوطه، وتعمر اهدافه، وتستقر جوانبه؟

والدنيا نفسه، متى يثبت لها ارجاء؟ ومتى يصفو لها وراء؟.. إلا بقدر ما تستقي من منابع الفضائل ، وتنهل من موارد الجمال.

وهذه أو تلك هي الروح التي شعت من الرسالة الجديدة التي كانت مصهرا جديدا للجزيرة الجديدة، ليدنفع بها الفتح الجديد.

ص: 241

وكنت تعلم، با معاويـة بفيض رويتك : أن الجزيرة إذ توحدت حققت المعجزة .. وكنت تعلم كذلك أنها لـم تتوحد أبدا في أي يوم من أيامها مثلما توحدت اليوم.

ولـم يكن ليخفى عليك سر توحيدها.

وبالرغـم من ذلك، ركبت المركب الخشن، لتحقق لنبي أمية نصرا على بني هاشـم .. فبعدت عن النصر الأكيد.(1)

ونصـر بني أميـة ونصـر بني هـاشم كانا نصـرك الصـحيح حين كنت تعري الشام من أخلاط الغرباء، وحين كان أخوانك بنظفون العراق من الأعاجم.

والشام والعراق هما جناحان الطليقان في دنياك الكبيرة.

فاي شيء كان ضائرا لك لو تمد يدك لابن أبي طالب لتجمع الكفين للصالح الموحد؟

وكنت تعلم على اليقين ان ابن عمك نظيف الكف، لأنه نظيف القلب والعقل والروح.

1- 1. إن احقاد معارية وبني أمية هي بالأساس على الإسلام وبين الإسلام وقدروى مطرق بن المغيرة قال: رفدت مع أبي على معاوية فكان ابي يتحدث عنده ثم ينصرف إليه وهو يذكر معارية وعقله ويعجب بما يرى منه وأقبل ذات ليلة رهو غظبان فأمسك عن العشاء فقلت له مالي أراك مهتما منذ الليلة قال : يا بني جئتك من أخبث الناس قلت وما ذالك : قال : خلوت بمعاوية وقلت له إن قد بلغت مناي يا أمير المؤمنين فلو اظهرت عـدلا وبسـطت خير فاتك قـد كبرت ولو نظرت الى اخوتك من بني هاشم فوصـلته ارحامهم فوالله ما عندهم اليوم شـيء تخافه فشـار معاويـة واندفع يقول هيهات هيهات ملك هو يتيم ملك خو نيم فعـدل وفعل فوالله ما عـدا أن ملك فهلك ذكره إلا يقول قائل عمر ثم ملك فهلك رجل لـم يكن أحد في مثل نسبه وفعل ما فعل و عمل به ما عمل فو الله ما عدا ان هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به وإن أخا بني هـاشم بصـاح به في كل يوم خمس مرات اشـهد ان محمـد رسول الله فاي عمل يبقى بعـد هـذا لا أم لك لا والله إلا دفنا دفنا (حياة الإمام الحسين الشيخ باقر شريف القرشي: 152/2).

ومـا كنت تجهـل مطلقـا انه القب الكبير الـذى دار عليه محور الرسـاله وانت تشق بهـا كـل دروبـك، وأنه الأسـاس المتين لكل ما نشأ من حصونـك وأن له كـل حق الجهـاد وكل حق الصـدارة، وإليه يعود فضل النهـج والإخراج وبه تحصـر القربى، وعليه تـدل الوصايات .. لأنه العفيف النزيه، والعالم الكبير، والحجة الغائرة الى كل جذور المنطق .. وأنه الذوق السليم، والقائد الحكيم، والبطل العنيد.

أي شيء كان أحسن لك من أن تجمع صدرك الى روعه، ورايك الى حجاه .. فتشرب دنياك بدينه ، وتصقل دهاك بجرمه .. اذن، لكانت لك الدنيا صحيحة الجوانب متينة القوالب.

اذن اى نفع من الدنيا يتملص منها سمو الشرايع وتتعرى من ثوب الفضائل؟

ولو قدر لك ان ترى كل الذي حصل، من بعد أن تركت الدنيا، لكنت أول الآسفين وأبلغ النادمين.

فلقـد التهب خـط المجازر بحروب أهليـة على طول الرقعـة الممتـدة من خليـج العرب حتى البحر الميت، وهب أكثر من واحـد يطالبون بالخلافة، ليسـقط أخيرا صـريعا في ساحة الوغى، وحوله عشرات الألوف، كلهم من أرومة القحطانيين والعدنانيين .. تارة في (الحرة) وطورة في البصرة) وحينا في (مكة والكعبة) وحينا في (الكوفة).

وهكذا كانت الفتنة تنتقل دوارة من الشام الى العراق ، أو من الشام الى مصر، أو الى مصر والعراق والشام في آن واحد.

ولم يكن اسخى منها مجازر قطعت فيها الرؤوس بالألوف، بأنواع كثيرة التشكيل من الاضطهاد والتنكيل، تتلون بشتى الأساليب .. منها الغدر، ومنها الغيلة، ومنها التسميم.

ولقد كان الحجاج بن يوسف من ابرع هؤلاء وأطولهم باعا، فلم يبق في العراق ولم يذر .. ليتقلص أخيرا مجد الجزيرة، وتنكمش على ذاتها، ويطفر ابناؤها مشتتين، هربا من الظلم والجور والاضطهاد .. ليزيد الحقد في القلوب، ولتنطوي الأغلال في النفوس، من قبيلة الى قبيلة، ومن جبهة الى جبهة، ومنجيل إلى جيل.

ولم تنته سلسلة الاغتيالات..

ولم تتوقف على عثمان بن عفان، أو علي بن ابي طالب، أو الحسن بن علي .. بل بقيت مستمرة الى الحسين بن علي، إلى عبد الله بن الزبير، الى مروان بن الحكم، إلى الوليد بن يزيد، إلى مروان بن محمد ..

وهكذا، بعد تسعة عقود، ضيعت دمشق روعة عرشك الكبير ونعومة ظلك النظير.. ولم يبق لديها ما يذكرها بعصرك إلا المسجد الواسع الفخم تأوي إليه مطمئنة.

وهكذا، يا معاوية ، تنتقل الدنا مشرقة مع الشروق وكالحة مع الغروب، ليبقى وجه ربك الكريم من قبل ومن بعد.

إلى مثل هذه المآذن كان يدعوك ابن ابي طالب ، استخفافا بالدنيا واسجماما لروح..

فضائل يتحتم على المجتمع، حتى يتمكن في ظلها من التنعم بالدنيا بعيدا عن اشباح المخاوف، بعيدا عن الأحقاد والضغائن، بعيدا عن المراوغ والمزاوغ.

ولم يكن ذلك ليتم لمجتمعات العرب في حضن بداوة لا تقيم وزنا للمزايا والصفات، فراحت تتلهى بالحزازات والعصبيات.

ولم يأخذ من الفترة التي انتصرت فيها على عصبياتها وحققت فيها اعز فتوحاتها عبرة كافية تجعلها تتعلق بأسباب انحطاطها.

ان هذا النوع من التربية الصحيحة من كان مسؤولا عن توفيره للمجتمعغير قواده وحكامه.

ولكن الأساليب التي عالج الحكام بها رعاياهم، لم تكن لتأتلف وهذه الغاية من الأداء السليم، لأن التنافس على الرئاسة واحتلال المناصب في سبيل التنعم الوسيع بالدينا لم يكن من شأنه أن يحقق نجاحه الآني إلاباستجداء العصبيات القبلية عن طريق الإغراء بالخيرات الدافقة من الفتوحات.

وأفسد الفتح، وافسد الحكام، وأفسد المجتمع.

وكان اللجوء الى العنق اقرب الطرق لتحقيق استمرار السيطرة والتنعم بها.

وهكذا كانت الدواسة تدور على نفسها لتقرض بنفسها.

فبعد عفوتك الأخيرة، قام عبد الله بن الزبير (1)يستحث الحسين بن علي للمطالبة بحقه في الولاية، وتنكب عن مؤازرته حتى يخلوله الجو.

1- عبد الله بن الزبير بن العوام : هو الاخر من رواة الحديث عند أهل السنة ، وهو من رجال الصحيحين ، ونقل عنه البخاري في صحيحه عشرة أحاديث، وكان من الخوارج والنواصب الألداء الذين نصبوا العداء والبغض للأمام على عليه السلام، وقله تصدى للأمامة في الصلاة في يوم الجمل رغم حضور أبيه الزبير وطلحة . وتنص بعض النصوص على أن عبد الله هو الذي حرض أباه الزبير على أن يعادي علياعليه السلام . قال الإمام علي عليه السلام: ما زال الزبير منا أهل البيت حتى شب ابنه عبد الله. وقد نص بعضها الآخر على أنه عليه السلام حينما التقى بالزبير قبل واقعة الجمل قال له : قد كنا نعلك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء – عبد الله – ففرق بيننا وبينك. وفي يوم الجمل لما انتهي جيش عائشة إلى ماء الحوابه ومعهم عائشة نبحتها كلاب الحواب . فقالت لمحمد بن طلحة : أي ماء هذا ؟ قال : هذا ماء الجواب . فقالت: ما أراني إلا راجعة . قال : ولم ؟ قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله و يقول لنسائه : كاني بإحداكن قد نبحتها كلاب الحواب ، وإياك أن تكوني أنت يا حميراء – عائشة – . فقال لها محمد بن طلحة : تقدمي رحمك الله ودعي هذا القول – أي لا تكوني مفرقة الجمع – واتى عبد الله بن الزبير فحلف لها بالله لقد خلفتيه أول الليل وأتاها ببينة زور من الأعراب – خمسين رجلا – فشهدوا بذلك . فزعموا أنها أول شهادة زور شهد بها في الاسلام والذي قتل ذا الثدية هو أمير المؤمنين عليه السلام ، فعلى هذا فعلي عليه السلام خير الامة جميعا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله و با قرار عائشة ، روى الواقدي وابن الكلبي وغيرهما من رواة السير والمؤرخين ، أنه قد أدى عداء ابن الزبير لعلي عليه السلام إلى حد أنه ما كان يترك فرصة إلا واغتنمها حتي ينال من الأمام على عليه السلام ويشفي غيظه ، وأنه مكث أيام خلافته أربعين جمعة لم يصل فيها على الرسول الكريم صلى الله عليه وآله و حتى أن اعترض عليه بعض الناس وانتقدوه لتركه الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله ، فقال ابن الزبير في جوابهم: إني لا يمنعني من ذكر النبي صلى الله عليه وآله إلا إنه كان له عشيرة لا اريد أن يرفعوا رؤوسهم لذكر النبي صلى الله عليه وآله وإني لا أريد أن نشمخ رجال من عشيرته عليه السلامو بانافها (أضواء على الصحيحين،الشيخ محمد صادق النجمي:105)

وما كان من ابنك يزيـد لا التنكيل بالحسـين، وقطع رأسه، وتقـديمه هديـة حلوة الى اخت الحسـين نفسـها، لتعود به الى كربلاء، ولتصـبح للشـيعة صـيحة جديـدة لم تزل تـدوي حتى اليوم مطالبـة بثارات الحسـين ، ليفتنها فرصة حبلى بالأحقاد عبد الله بن الزبير المؤازر الطامع بالخلافة .. وقد حققها لنفسه مدة تسع سنوات، وحقق معها (صفينا) ثانيا على كل قبائل العرب.

أما مروان بن الحكم، فتلك كانت فرصـته المرتقبـة .. فاسـتلم الخلافـة باسم الدوحة المروانية بعد موت حفيدك معاوية الثاني، وظل يحض باليمنيين على القيسيين، حتى قتلته عاتكة أم خالد تحت الشوادك اشنع قتلة.

أما الحجاج بن يوسف، (1) فلقـد توجه الى الكوفة ليقول: (إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها، وأني لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى). (2)

1- الحجـاج بن يوسف بن الحكم بن عقيـل الثقفي عامـل عبـدالملك بن مروان على العراق وخراسـان . ذكر المسـعودي خبر امه الفارعة وولادتها الحجاج مشوها .. وكان الحجاج يخبر عن نفسه ان اكثر لذاته سـفك الدماء وارتكاب الأمور لا يقدم عليها غيره ، وخير امة مشهور في منبها الى نصـر بن الحجاج بالرغم من أنها تحت المغيرة بن شـعبة وقـد ذكر القصـة أبو الفرج الجوزي وكان للحجاج في القتل وسـفك الـدماء والعقوبات غرائب لم يسـمع بمثلها. ثم قال: إنه اراد التشبيه بزياد بن ابيه في ذلك وقـد بنى الحجاج مدينـة واسط سـنة 86 وسماها واسط لأنها بين البصرة والكوفة وقد توفي الحجاج سنة 95. بواسط في العراق وكان تأمره على الناس عشرين سنة واحصي من قتله مائة ألف وعشـرون الفا مات وفي حبسه خمسون الف رجل وثلاثون الف امرأة منهن سـتة عشـر ألف مجردة وكان يحبس النساء والرجال في موضـع واحد ولم يكن للحبس ستر بستر الناس من الشـمس في الصـيف ولا من المطر والبرد في الشتاء. وفي تاريخ ابن الجوزي كان سجنه حائطا محوطاً لا سقف له (الكنى والألقاب، عباس القمي: 208). .. تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر:127/1.
2- تار يخ مدينه دمشق ،ابن عساكر:1/127.

ولقد احصيت الرؤوس المقطوعة على عهده، فبلغ مجموعها مئة وعشرين ألفا.

كل هذه المجازر رافقت كل أطوار الخلافة الأموية من بعدك، وعشش فيها من البغض والحقد والكيد ما عشش.

ولم تنشأ خلالها أية محاولة فيها، من العطف والحب والتسامح، ما يمحو شيئا من آثارها ويخفف وطأة من اثقالها.

وكانت جميعها تنوخ بثقلها على جميع المسلمين.

وعلى طول هـذه الحقبـة من الزمن، التي لـم تتجاوز السـبعين عاما، ظلت الأحقاد تنمو وتتجمع مـدورة من فينـة إلى فينـة ومن خلافـة الى خلافـة، تعتمد بها الصدور وتنحفز بها الخواطر .. حتى اسـتغلها فرصة بفرصة (السـفاح العباسـي) فكان التنكيل على يديه ثأرا بثأر وتمثيلا بتمثيل .. فإذا الذي كان مدا اصبح جزرا، والذي كان جزرا اصبح أمدا.

وهكذا ترى – يا بن أمية – ان الحقبة التي خفق عليها قميص عثمان قد ضرجت العصر كله بدماء مئات الألوف ومن كل قبائل العرب.

ص: 247

وجمدت الفتوحات تجميدا مخزيا، من حيث اصبحت الجزية تدفع بدل أن تؤخذ، وأصبح كرسي الخلافة دورا بين المدينة والكوفة، وبين الكوفة والشام، وبين الشام وبغداد.

وظلت القبلية نفسها تتناحر وتنتقل مستعرة من جبهة إلى جبهة ومن عصرالى عصر.

ويقي الخلفاء على نمطهم في العيش والبذخ، واستغلال افياء المسلمين وصرفها على اهوائهم وملذاتهم الضارية إلى حد الخلاعة والمجون.

واستمر الشعب راسبا في انحطاطه المستمر البعيد عن نواحي التفكير الصحيح والثقافة المستحلبة من جور الحب والخير والجمال، ولم يستتب للاقتصاد الموجه الحقيقي اية بادرة تجعل الجزيرة تتركز على شيء من الاستقرار، من حيث كانت واجبا - أولا وآخرا - نحت الدولة نحتا دقيقا يحصر كل جهودها في تمثيل الإنسان في الجزيرة واراجه الإخراج المثقف، حتى يصبح مكنة فاعلة قبل طرحه في الميدان الصاخب الذي رمي اليه بعجره ويبجره.

وكانت البادرة الأولى ضعيفة جدا من ناحية هذا المعنى الأصيل.

ورحت - يا بن أمية . بقميص عثمان ترجح به كفة الدنيا الى صدرك فناء بها صدرك كما ناءت بها صدور اهل عصرك .. وتركت العصر يتخبط بمده وبجزره، ليبقى قدوة لما بعده من العصور.

ص: 248

ابن ملجم

لست أول الخارجين عن الخط .. ولن تكون اخرهم..

ولست أول الحاملين اعباء الجريمة .. ولن تكون مطلقا في النهاية .

اتفههم وليس الـدافع فيه لا بالأوهى ولا بالأسـخف.فكل هؤلاء الـذين يقـدمون على مثل هذا الاقتحام هم نملك يحملون هذه العتمة في نفوسهم، وهذا المنطق الأبله في رؤوسهم.

وليست القـذارت التي تتمرغ فيهـا بضـلوعك، والتي تنكب عليهـا بيافوخك، بأقل نجاسـة وأخف تنانـة من تلك التي يتمرغ بها الخنازير في اصطفافهم حول المنانن.

واي شيء يقال فيك، يا حامل الجريمة، أكثر مما يقال في مجرم! ا

وماذا يهمك من النعوت ينكال عليك ابشعها وأنت الذي تجردت من كل خلجة تتأثر بها كرامة حي؟

غير ان الكلام فيك، الـذي لا يفتش عن أن يتنقى من عواهنه، لا يقصـد ان يهاجمك اكثر مما يقصـد ان يهاجم الجريمـة التي ترنحت على يديك، وهي جريمة العصـر، امتصصـتها سـما ذعافا سـكبته على رأس حسامك، فكنت المخرج الأوحد تجمعت فيك مطامير الحقد على بله.

ولقد قالوا: أن امرأة موتورة اغرتك بجمالها ومنتك بدفع نفسها ثمنا لك اذا تحقق في سبيلها البطولة المقصودة.

فاي جمال هذا تحسسته في عتمة نفسك فاقتنصتك حرارة لفحاته ؟!

ولكنه جمال الخفافيش التي لا يمكنها أن ترى إلا في عتمات الكهوف.

ص: 249

ولقد تواقحوا فسموك (صنديدة) .. إذ تمكنت من صرع بطللم تشهد له الجزيرة مثيلا في تاريخها، لا الغابر ولا الحاضر.

وأي بطولة هذه تشحذ سيفها على مشحذين : مشحذ السم، ومشحذالغيلة؟

والغيلة ذاتها كانت بجبن رفيقاتها التي سبقت لم تنجح، والسم وحده الذي فعل.

ولقد تغابوا ونسبوا اليك صفة المنقذ(1)، اذ قصدت ان تخلص الأمة من مسببي ويلاتها ومثيري حروبها.

ويلك ! وويل من تغابى مثلك !!

عمر طويـل من الجهـاد في سبيل رفع المظالم عن كاهل الأمـة وكاهلك، في سبيل تحرير جيلك، وفي سبيل دفع القـدوة الى كل الأجيال التي تتلو عصـرك، في سبيل صـيانة كرامة كل إنسان بجهل انسانيته مثلك، في سبيل نفض الجزيرة – جزيرتك – وترميمها لتصـبح مستحقة للاصطفاف بين المجتمعات المتحضرة.

مـاذا تـدعي يا هـذا؟.. وماذا يـدعي كل الـذين خلفك؟ .. وكل هـذا الـذي مر من جهاد طويل، غمر به ابن أبي طالب كل عمره بالأتعاب والأوصاب بالفقر والحرمان ، بالسهر الطويل والحرص النبيل.

1- حتى قال شاعرهم الخارجي البغيض عمران بن حطان في رثاء أشـقى الأشقياء عبد الرحمن بن ملجم . با ضربة من شقي ما أراد بها*** إلا ليبغ من ذي العرش رضوانا إني لأذكره يوما فاحسـبه*** أوفي البريـة عند الله ميزانا فرد عليه الطبري قائلا: با ضـربة من شـقي ما أراد بها ***إلا ليهدم من ذي العرش بنيانا إني لأذكره يوما فالعنه ***أيها والعن عمران بن حطانا

في سبيل من كان؟

هل كان في سبيل إبادة الأمة بحروب أهلية، أم (هل) (1)في سبيل تطهيرالأمة من رواسب الجهل والانحطاط؟

اتراه كان مجنونا يحاول ان يختطف الأرض ليحطمها بين قوافل النجوم أم تراه كان عاقلا يستنزل السماوات ليفرش بنعيمها جنبات الأرض؟

اتراه استحل خيرات الفتوحات يجمعها الى قصورة تنعما ولـذاذات، أم تراه راح يغني الفتوحات بكنوز المدفتونة، يدفقها من قلبه ومن عقله، ثروان لا تعرف الأرض لها فناء؟

أتراه جاء يهدم أم جاء يبني؟ أتراه جاء يسلب، أم تراه جاء يعطي؟

والرسالة التي عليه كان قوامها وإليه انتهى زمامها؟ .. أتراه خفر الذمام وخان الأمانة؟

اتراه حملها بسيفه وبيانه كما تحمل الريح محامل الغيث الى كل صادية من صحاريك؟

ألم تره تحت ضرية سيفك الغادر على طريق المسجد تحني رأسه جلالات جلالات، تحت قميص مرفوع ، ومدرعة قد انجزت في ساحات الجهاد، تكفكفت قدميه نعل مخصوفة؟

ألم تسمع ابن عباس يسأله عن هـذه النعل .. دخلت على أمير المؤمنين) ب(ذي قار) وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هـذه التعل؟، فقلت لا قيمة لها ، فقال : والله لهي أحب من أمرتكم، إلا أن أقيم حقا أو أدفع باطلا).(2)

1- لا توجد في الأصل ، وضعيت لاستقامة الجملة نحويا.

2- بحار الأنوار، العلامة المجلس76/32.

ألم تسمعه يقول ذلك؟

أم تره بتلك الظاهر المثقلة بالأجل والأبر؟

ولكنك لم تر إليه إلا بالمنظار الذي وضع على عينيك الكفيفتين .. وكان ذلك من تراث عصرك.

ثم ان عصرك كان أكثر اجراما منك، بحيث انه عجز عن اختضان الرجل الضخم، وتغافل عن وجوب رفعه الى السدة المنيعة، حتى لا يجوز لقزم من امثالك أن يتمكن من النظر الى صفحة نعله المخصوفة؟

وكان ذلك بمثابة استهتار العصر برجاله الأفذاذ، من حيث حسبت عليه الجريمة في ميزان التقييم، تخلفا عن ادراك القيم، وتنكبا عن ضبط المثالب، وإن عصرا جائعا إلى الرجال، كعصر الجاهلية بالذات، تمطره السماء بعلي بن ابي طالب غيثا مدرارا ثم ينبذه ليعود فيتعلق بالسراب .. لعصر أقل ما يقال فيه أنه عمي لا تزال تأخذه سنة الدياجير.

أما الرجل الذي خر صريعا أمام مسجد الكوفة، فإن ضربة السيف لم تنل من مقتله، لأن الذين يعالجون الفكر مثله في ابراجها العالية يصبحون في المأمن الحريز من أي ترابي على شكل ابن ملجم.

ولكن الضربة التي هوت على رأس هذا العبقري، رغما عن أنها لم تصب منه إلا التافه(1) من كيانه، فإنها لا تزال تعتبر طعنة في صميم الكرامة الإنسانية، ووصمة على عصر يتنازل عن حقه، تاركا للأجيال شرف تقييم الرجل الذي اهملت تقديره .. من حيث اصبح ابن ابي طالب أوسع واحة يهفو إليها عطش الإنسان، إذ يلهث به تجواله عبر العصور.

1- التافه : من تفه (بكسر الفاء) القليل معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي :

الغروب المشرق

الى اين يستطيع أن يطوف بك الفكر وقد تخليت عن كل القيود التي كانت تشد بك من تلك المطاوف التي كانت تهتز تحت مقارع قبضتيك؟

وكيف أصبحت تنظر إليك الدنيا بعد أن نبذت إليها كل ما كان لك منها كما ينبذ الليل أمام الفجر آخر ذيل من ذيول عتماته.

وكيف بدأت تنظر إليك ساحات الجهاد بعد أن تركت لها السيف الصقيل والرمح الأسيل؟

العمري ! أن التاسع عشر من رمضان لم يكن اليوم الأوحد الذي فيه رزمت حقائبك وشددت رحلك للسفر الطويل .

فلقد تهيأت لاعتلاء المطية البهية منذ اليوم الأول الذي به تكحلت عيناك بذلك الفيض الذي من (غار حراء)، وفقت عليك غموره..

ومنذ ذلك اليوم والدنيا تطأطئ رأسها بين يديك، وتلقي بكل جبروتها تحت نعليك.

ومنذ تلك اللحظة، أصبحت خطواتك تتجه نحو الأقاصي لا تستوقفها الأعاصير، ولا تلهيها رغوات الزبد؟

الدنيا التي قابلتها بخشونة كفك، وصدفت عنها بشمم أنفك، ورميت إليها بطي كشحك .. هي اليوم التي ترنو اليك، كأنها أدركت انك أنعم وشي البرودها،وانك أطرى سحابة مرت تلطف النشفة في أجوائها.

وأنك كنت أعقل معدل في صماماتها .. تارة يطبق عليها الشح فتستند به على اختناق، وطورا يغور بها البطر فتحبل به على انفتاق.

ص: 253

وأنت كنت أجرأ من مد الى خدها البرج يدا فهتك عنه الإزار، ودخل خدرها المنمق فمزق عنه الستار .. فإذا بالوجه السافر تفضح الشمس مساحته، وبالخدر المدلل المغطى بالسجن الوثيرة يتعرى عن كل مفاتنه الوبيئة.

وهكذا اخضعت الدمية الكبيرة وسلختها من أغلفة الأوهام لتلبسها الثوب البسيط المعفف، وسحقت عن أجفافها سقم المراود، وعرضتها للنور تستجمع منه مفاتن الكحل؟

وإن الدنيا هذه إذ تخسر تحت عينيك بريقها الوابق، تكتسب بين راحتيك وهجها الدافق .. فإذا هي دروب آمنة الجوانب، يتمشى عليها العابرون على اتزان . يحدوهم الشوق العفيف، والأمل اللطيف، والمسعى النظيف .. في سبيل الوصول إلى غفوة قريرة، لم تنغصها لا دلجة الطمع ولا لمز الجشع، ولم تهتكها تخاريب الفجور أو تجاويف الغرور، ولم تؤرقها دبابيس المظالم، وليس الفقر فيها بمنئ عن الفضائل، وليس الغني منها بمغنى عن الشمائل.

وهكذا صنت حدود الدنيا إذ كثفت حدودها، واسبغت عليها الكنوز من حيث بعثرت كنوزها.

لذلك، فإنها اصبحت ترجع إليك في كل سائحة تشعر فيها بأنه قد غص بها الطريق وفي دستورك كان لها ذلك المرجع الوثيق، ودستورك كان ذلك الإلمام الفسيح بكل أمور الحياة، ومشاكلها ولواعجها، فلم تعالج شأنا من شؤونها إلا سبرت منه الأغوار وسلطت عليه الأنوار.

أخذت الرسالة، فإذا هي من نور ريك الكبير هداية ما فاتك منها قبس جمعتإليها حجاك ، فشع بها منك الحجا، .. وضممتها الى قواك .. فإذا

صدرك منها كظهر المجن فرحت تغرف وتفرغ، دون أن يوهيك الغرف أو يوهنك التوزيع .. كأنك أليم، ما ملت من مدك الشطآن.

ولم تأخذ كبيرة إلا عالجتها بكبر، ولن تتناول صغيرة إلا أعرتها كل الفكر .. فكأنك كنت على البعد وعلى القرب كالنور، جواد البصيرة جواب النظر

وتهافت حول حياضك الفضائل مترابطة كما تترابط ببعضها البعض خطوط القوافل ، فإذا بها مشدودة الرصف، منسقة القوالب، موزونة الإيقاع ، سلسلة المدارج؟

فكنت الجائد الجواد من حيث كنت الزاهد الزهاد..

وعجنت الدنيا بماء الزهر وخبزتها، فإذا موائد الجود تتفتح على حقيقة السخاء . حتى إذا تناولت الرغيف المقدد تأكله بحبة ملح، كانت لك فيه كل العوافي .. ورغيفك كان كفافك، لأنه كان من الزهد عجينه.. ولن تحسد غيرك على رغيف، لأنه من جود زهدك كان طينه.

وزهدت بالدنيا، لأنك لم تر لها ظلا مقيما ولا عزا مستديما.

ورأيت أن دروبها ليست غير معابر، ورأيت أن الإنسان فيها حثيثا حثيثا إلى الموت سائر، وأنه إلى احضان ريه صائر.

ورأيت ان الفضائل خير حلية تجمع الإنسان في دنياه، يسلكها بتقواه ويتركها بنجواه .. راحة في الحياة وبلغة للممات.

ورأيت ان المثالب بنت المتاعب، تفسد المطالب، تحتضن الأحقاد، وتقض المضاجع .. ولن يكون للإنسان فيها حقيقة مأرب ، بل هل ملجأ العقل الواهي ،ومسلك الطامع الغرور، والجائع النهم .. هدف صغير، وشأو حقير، لن تبني

انسانا يعي حقيقة الوجود، بل بقي لها مصدرا قلق في سباق أليم، ينهكه التزاحم، ويدهمه التحايل والتراوغ.

فمددت باعك الطولي تفرض العفة في المسلك، والصدق في المنطق، والصراحة في الرأي، والحق في الفصل، والعدل في التنفيذ .. فإذا بك تمد الخوان تغنيه الفضائل، وتزينه الشمائل، وتطيبه التقوى، ويشهيه الإيمان.

وعجينك هو العجين المطهر، لم تمتد إليه يد البغي بأصبع .. وكان المأكل منه نعم المأكل .. فيه الغذاء وفيه العزاء، فيه الرضوخ وفيه الرضا، فيه الحب وفيه السماح، وفيه السعي على اباء، وفيه الفكر على نبالة، وفيه يقظة الوجدان، وفيه روعة الإنسان.

هذا ما تركته للدنيا ..

هذا ما تركته للدنيا من حقيقة الدنيا..

فلا عجب تجوع الدنيا من صوانيك كلما غصت بموائدها، أو تتعطش إلى مساقيك كلما غرقت في مناهلها.

والدنيا إنما سغبها في تخمتها، وإنما صداها بفيض غمرها.

أما أن اطباقك كيف لا تتخم ومشاريك كيف لا تغرق، فلأنك الذواق إذ قدمت فن المأكل وفن المشرب.

وهكذا لا تزال الدنيا بأجيالها تعرف الطيب من افاويهك، يا أيها الوجه الكريم من سنا ريك.

ص: 256

المصادر

1.الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ، الطبعة الرابعة، 1979م.

2, أعيان الشيعة : محسن الأمين، حققه وأخرجه حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات بيروت طبعة 403 اه.

3. افحام الأعـداء والخصوم: السـيد ناصـر حسـين الموسوي الهنـدي، اصـدار وتقـديم الدكتور محمد هادي الأميني، الناشـر مكتبة نينوى الحديثة طهران.

4. الأمالي: الشيخ الصدوق، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة الطبعة الأولى1417ه، نشر مؤسسة البعثة.

5.بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي ، الطبعة الثانية المصححة، 403 اه طبع ونشر مؤسسة الوفاء بيروت.

6.البداية والنهاية ، ابن كثير، تحقيق على شيري، الطبعة الأول 08 4 اه طبع و نشر دار احياء التراث العربى

7. تاج العروس : محمد مرتضى الزبيدي، الناشر المكتبة الحياة، بيروت.

8. تاريخ اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، مطبعة دار صادر بيروت،الناشر مؤسسة ونشر فرهنك ، أهل البيت.

9. تاريخ مدينة بغداد : الخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاءالطبعة الأولى 1417ه، طبع و نشر دار الكتب العلمية بيروت.

10. تاريخ مدينة دمشق : ابن عساكر، تحقيق علي شيري طبعة 415 اه، الناشر دار الفكر.

11. حياة الإمام الحسين : الشيخ باقر شريف القرشي، طبع مطبعة الآداب، ط 1299ه، الناشر الأدب النجف الأشرف.

12. الخلاف : الشيخ الطوسي، تحقيق: السيد علي الخراساني، السيد جواد الشهرستاني،محمد مهدي نجف، الطبعة الأولى 1417ه.

13.دار المدرسين:السيد مرتضى العسكرى،سنه الطبعه 1410ه الناشر موسسه النعمان بيروت.

14. زوجات النبي : سعيد ايوب، المطبعة دار الهادي 1997م الناشر دار الهادي.

15. السقيفة وفدك : أبي بكر محمد بن عبد العزيز الجوهري البصري البغدادي، تحقيق محمد هادي الأميني، طبع و نشر الكتبي بيروت، الطبعة الثانية، 1314ه.

16. صحيح البخاري : محمد بن اسماعيل البخاري، طبع و نشر دار الكتببيروت، الطبعة طبعت بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة في استانبول 1401ه.

17. الغدير: عبد الحسين الأميني ، طبع ونشر دار الكتب العربية بيروت، طبعة 1271ه.

18. فضائل الصحابة : أحمد بن شعيب النسائي ، طبع و نشر دار الكتب بيروت لبنان.

19. المعجم الأوسط : سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني تحقيق ابراهيم الحسيني ، طبع و نشر دار الحرمين.

20. ميزان الحكمة: محمد الريشهري، تحقيق دار الحديث الطبعة الأولى، طبع ونشر دارالحديث.

21. الناصريات: الشريف المرتضى، تحقيق مركز البحوث والدراسات العلمية الطبعة 1617ه. الناشر رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية طهران.

22. النصائح الكافية على من يتولى معاوية: محمد بن عقيل بن عبد الله بن عمر بن يحيى العلوي الطبعة الأولى 1412ه الناشر دار الثقافة قم المقدسة.

23. الكنى والألقاب: عباس القمي، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة الأولى 1925الناشرمؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

24.مقاتل الطالبيين : أبي الفرج الأصفهاني، تحقيق كاظم المظفر، الطبعة الثانية الناشرمؤسسة دار الكتب بيروت.

25. فهرست ابن النديم : محمد بن اسحاق ، تحقيق رضا تجدد.

26.الحضارات : لبيب عبد الستار ، الطبعة 16 المطبعة دار المشرق.

27. لسان الميزان : شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الثانى 1290 ه ، الناشر مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت.

28. شرح نهج البلاغة: ابن ابى الحديد، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم المطبعة منشورات مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي، الناشر دار احياء الفكر العربي.

29. نهج البلاغة: خطب الإمام علي، تحقيق: الشيخ محمد عبد، الناشر والمطبعة دار المعرفة بيروت.

30. الإرشاد: الشيخ المفيد، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث نشر وطبع دار المفيد.

31. غريب الحديث : القاسم بن سلام العلوي ابو عبيد تحقيق محمد عبد المعيد خان ، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الهند، الناشر دار الكتاب العربي بيروت.

33. عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى: السيد مرتضى العسكري، الطبعة الثالثة 413 اه، الناشر نشر التوحيد.

34. تاريخ الطبري : ابن جرير الطبري، تحقيق نخبة من العلماء الأجلاء الناشر مؤسسة الأعلمي

بيروت.

35. أحاديث أم المؤمنين عائشة، السيد مرتضى العسكري، مطبعة النهضة، الطبعة الأولى.

36. مستدرك الحاكم: محمد بن محمد الحاكم النيسابوري، تحقيق الدكتور يوسف المرعشي الناشر دار المعرفة بيروت 1909ه.

37. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، التحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف الطبعة 1379 ، المطبعة محمد كاظم الحيدري مطبعة الحيدرية النجف الأشرف.

38. السيرة النبوية : تحقيق مصطفى عبد الواحد، الطبعة الأولى 1396 ، الناشر دار المعرفة بيروت.

39. القاموس المحيط : الفيرزو آبدي.

40. الجواهر السنية في الأحاديث القدسية : الحر العاملي، طبع و نشر مكتبة المفيد قم.

41. ينابيع المودة لـذوي القربي : الشـيخ سـليمان بن ابراهيم القنـدوزي الحنفي، تحقيق سـيد علي جمال شـرف الحسـيني الطبعة الأولى 1416، طبع و نشر دار الأسوة.

42. العمـدة: ابن البطريق الأسـدي الحلي: تحقيق جامعـة المدرسـين قم المطبعة، مطبعة جامعة المدرسـين قم، الطبعة الأولى 1407ه، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم.

43. تفسـير نور الثقلين : الشـيخ عبد علي بن جمعة العروسـي الحويزي، الطبعة الرابعة 1612ه، تحقيق السـيد هاشم الرسولي المحلاتي المطبعة مؤسسة اسماعيليان.

44. شـرح مئـة كلمة: كمال الدين ميثم بن علي البحراني ، تحقيق مير جلال الحسـيني المحدث، الناشـر جماعة المدرسـين في الحموزة العلمية.

45. عيون المواعظ الحكم: علي بن محمد الليثي الواسطي.

46. شـرح الأخبار : القاضـي النعمان المغربي، تحقيق السـيد محمد الحسـيني الجلالي، الطبعة الثانية 1414ه، المطبعة مطبعة مؤسسـة النشر الإسلامي، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.

47. شرح أصول الكافي : مولى محمد صالح المازندراني.

48. الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ، جورج جرداق، الطبعة الأولى 1423ه، دار مكتبة

صعصعة، جدة، حفص، مملكة البحرين.

49. تجمع البحرين: العالم المحدث الفقيه الشيخ فخر الدين الطريحى، تحقيق احمد الحسيني

الطبعة الأولى 1381 دار الثقافة النجف.

50. الكامل في التاريـخ: أبا الحسـين علي بن الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشـيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين ، تحقيق ابي الفداء عبد الله القاضي ، الطبعة الرابعة 434 اه، 2002م دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

51. مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة بيروت.

52. الإمام علي اسد الإسلام وقديسه، روكس بن زائد العزيزي، الطبعة الثانية 1399ه دار الكتاب العربي بيروت.

53. خصائص الوحي المبين، الحافظ ابن البطريق شـمس الدر يحيى بن الحسن الأسدي الربعي الحلي، تحقيق الشيخ مالك المحمودي، الطبعة الأولى 1417ه، الناشر دار القرآن الكريم قم المقدسة.

54. العقد الفريد: ابي عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي شرحه وضبطه ورتب فهارسه ابراهيم الابياري، قدم له د. عمر عبد السلام تدمري، الناشر دار الكتاب العربي بيروت.

55.معجم الأدباء : ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الطبعة الأخيرة، مطبوعات دار المأمون.

56. الحسين ابوالشهداء : عباس محمود العقاد المجموعة الكاملة المجلد الثاني العبقريات الإسلامية، دار الكتاب اللبناني بيروت.

57. صحيح بن حبان : بن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانيةالناشر مؤسسة الرسالة.

58. مناقب أهل البيت : المولى حيدر الشيرواني ، تحقيق الشيخ محمد الحسون سنة الطبع1414ه، مطبعة منشورات الإسلامية.

59. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، تحقيق لجنة من استاذة النجف الأشرف سنة

الطبع 1397ه. المطبعة الحيدرية النجف الأشرف الناشر المكتبة الحيدرية النجف الأشرف.

الفهرست

*مقدمة القسم ...5

*تمهيد...8

*كلمة رئيس اللجنة ...19

*المقدمات...21

*كلمة المؤلف ...65

*الإهداء ...66

*فاتحة...67

*مناجاة... 69

*مدخل...72

*ركائز...76

*الجزيرة العربية ...77

*ولادة النبي...82

*علي بن أبي طالب في اطار تاريخي...86

*شخصية الإنسان...94

*شخصية ابن ابي طالب ...98

*الى ارض الجزيرة ...100

*مولد الرسالة ...102

*قيمة الرسالة...105

*واقع الأحداث ...107

*دور ابن ابي طالب ...109

*تأثير الرسالة ...111

*زيارة الموت – موت النبي ...113

ص: 262

*موت فاطمة ...116

*مجال الصدمات...117

*الإسلام دين جديد...119

*معركة أحد...121

*وقعة الخندق ...124

*خطيئة عبد الرحمن بن عوف...132

*بن عكسين . فراغ يمتلئ ...135

*ملأ يفرغ ...143

*متقل عثمان...147

*أول ثورة في تاريخ الى جزيرة...149

*الساحة المكشوفة ...155

*بين التردد والقبول...158

*العدة الكاملة...161

*الراية الجديدة ...171

*القميص الطائر...181

*الواقع المؤلم ...184

*افق الكوفة وافق الشام ...193

*الكتلة الأولى الشام...196

*الكتلة الثانية الكوفة...199

*عائشة...201

*طلحة والزبير في سطور...204

*معركة جانبية...206

*يوم الجمل ...208

*حق البكارة...209

ص: 263

*تعقيب...211

*صفين في بضع فقرات ...214

*ملحق...215

*خاصرتا ابي موسى الأشعري...217

*ذيول ...219

*الهدنة...221

*19رمضان...224

*معابر نهج البلاغة...225

*دهاة العرب...227

*الى معاوية بن أبي سفيان...239

*ابن ملجم...249

*الغروب المشرق...253

ص: 264

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹